تذهب لقتل رجلها فلا يبقى عندها امرأة، وذلك لكثرة من قتل.
قيل: كان عدد القتلى سبعمائة، وكانت هذه الوقعة لسبع مضين من صفر سنة ثلاثين
ومائة. والله أعلم.
ذكر دخول أبي حمزة المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام
قال: ودخل أبو حمزة المدينة في ثالث عشر صفر، ومضى عبد الواحد إلى الشام.
ولما دخل أبو حمزة رقي المنبر فخطب، وقال: يأهل المدينة، مررت زمان الأحول - يعني
هشام بن عبد الملك - وقد أصاب ثماركم عاهةٌ، فكتبتم إليه تسألونه أ، يضع عنكم
خرصكم. ففعل فزاد الغني غنىً والفقير فقراً، فقلتم له: جزاك الله خيراً، فلا جزاكم الله
خيراً، ولا جزاه. واعلموا يأهل المدينة أنا لم نخرج من ديارنا أشراً ولا بطراً، ولا عبثاً ولا
لدولة ملك نريد أن نخوض فيه ولا لثأر قديم نيل منا، ولكنا لما رأينا مصابيح الحق قد
عطلت، وعنف القائل بالحق، وقتل القائم بالقسط - ضاقت علينا الأرض بما رحبت،
وسمعنا داعياً يدعو إلى طاعة الرحمن وحكم القرآن، فأجبنا داعي الله، ومن لا يجب
داعي الله فليس بمعجزٍ في الأرض؛ فأقبلنا من قبائل شتى، ونحن قليلون مستضعفون في
الأرض، فآوانا وأيدنا بنصره، فأصبحنا بنعمته إخوانا.
ثم لقينا رجالكم فدعوناهم إلى طاعة الرحمن، وحكم القرآن، فدعونا إلى طاعة الشيطان
وحكم بني مروان، فشتان - لعمر الله - ما بين الغي والرشد. ثم أقبلوا يهرعون قد ضرب
الشيطان فيهم بجرانه، وغلت بدمائهم مراجله، وصدق عليهم ظنه، وأقبل أنصار الله تعالى
كتائب بكل مهندٍ ذي رونق، فدارت رحانا، واستدارت رحاهم بضرب يرتاب منه
المبطلون.
وأنتم يأهل المدينة إن تنصروا مروان وآل مروان يسحتكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا،
ويشف صدور قوم مؤمنين.
يأهل المدينة؛ أولكم خير أول، وآخركم شر آخر، يأهل المدينة، أخبروني عن ثمانية أسهم
فرضها الله تعالى في كتابه على القوي والضعيف، فجاء تاسعٌ ليس له فيها سهمٌ، فأخذها
لنفسه مكابراً محاربا ربه.

يأهل المدينة، بلغني أنكم تنتقصون أصحابي، قلتم: شبابٌ أحداث، وأعرابٌ جفاة،
ويحكم وهل كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا شباباً أحداثاً، شباب والله
إنهم مكتهلون في شبابهم، غضةٌ عن الشر أعينهم، ثقيلة عن الحق أقدامهم.
قال: وأحسن لاسرة مع أهل المدينة، واستمال الناس حتى سمعوه يقول: من زنى فهو كافر،
من سرق فهو كافر، ومن شك في كفرهما فهو كافر.
وأقام أبو حمزة بالمدينة ثلاثة أشهر، ثم ودعهم، وقال: يأهل المدينة، إنا خارجون إلى مروان،
فإن نظفر نعدل في أحكامكم ونحملكم على سنة نبيكم، وإن يكن ما تتمنون فسيعلم الذين
ظلموا أي منقلب ينقلبون.
مقتل أبي حمزة
قال: ثم سار أبو حمزة نحو الشام، وكان مروان قد انتخب من عسكره أربعة آلاف فارس،
واستعمل عليهم عبد الملك بن محمد ابن عطية السعدي - سعد هوازن - وأمره أن يجد
السير ويقاتل الخوارج، فإن ظفر فيسير حتى يبلغ اليمن ويقاتل عبد الله بن يحيى طالب
الحق، فسار ابن عطية، فلقى أبا حمزة بوادي القرى، فقال أبو حمزة لأصحابه: لا تقاتلوهم
حتى تختبروهم. فصاحوا بهم: ما تقولون في القرآن والعمل به ؟ فقال ابن عطية: نضعه في
جوف الحوالق. قال: فما تقولون في مال اليتيم ؟ قال ابن عطية: نأكل ماله ونفجر بأمه - في
أشياء سألوه عنها.
فلما سمعوا كلامه قاتلوه حتى أمسوا فصاحوا: ويحك يا بن عطية ! إن الله قد جعل
الليل سكناً، فاسكن.
فأبى وقاتلهم، فانهزم الخوارج، وأتوا المدينة فقتلهم أهلها، وسار ابن عطية إلى المدينة، فأقام
بها شهرا وسار إلى اليمن، واستخلف على المدينة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية،
وعلى مكة رجل من أهل الشام.
مقتل عبد الله بن يحيى
المنعوت بطالب الحق وقتل ابن عطية
قال: وأقبل ابن عطية إلى اليمن، فبلغ عبد الله خبره وهو بصنعاء، فأقبل إليه بمن معه،
والتقوا واقتتلوا، فقتل طالب الحق، وحمل رأسه إلى مروان بالشام، ومضى ابن عطية إلى

صنعاء، فدخلها وأقام بها، فكتب إليه مروان يأمره أن يسرع السير ليحج بالناس؛ فسار في
اثني عشر رجلا ومعه أربعون ألف دينار، وخلف عسكره وخيله بصنعاء؛ فبينا هو يسير
أتاه ابنا جمانة المراديان في جمعٍ كثي، فقالوا له ولأصحابه: أنتم لصوص، فأخرج ابن عطية
عهده على الحج، وقال: هذا عهد أمير المؤمنين، وأنا ابن عطية. فقالوا: هذا باطل، وأنتم
لصوص، فقاتلهم ابن عطية حتى قتل في سنة 1ثلاثين ومائة.
نعود إلى تتمة حوادث سنة 1تسع وعشرين ومائة:
في هذه السنة كان ظهور الدولة العباسية بخراسان على ما نذكره في أخبار الدولة
العباسية.
وفيها غلب عبد الله بن معاوية على فارس على ما نذكر ذلك في أخبار آل أبي طالب.
وحج بالناس في هذه السنة عبد الواحد، وكان هو العامل على مكة والمدينة والطائف
وعلى العراق ابن هبيرة، وعلى خراسان نصر بن سيار، والفتنة قائمة.
سنة 1ثلاثين ومائة:
في هذه السنة دخل أبو مسلم الخراسان مرو، وبايع الناس لبني العباس على ما نذكر ذلك
إن شاء الله تعالى.
وفيها هرب نصر بن سيار عن خراسان.
وفيها كان من أخبار الدولة العباسية ما نذكره إن شاء الله تعالى.
وفيها غزا الوليد بن هشام الصائفة، فنزل العمق وبني حصن مرعش.
وحج بالناس في هذه السنة محمد بن عبد الملك بن مروان، وهو أمير مكة والمدينة
والطائف.
سنة 1احدى وثلاثين ومائة:
في هذه السنة مات نصر بن سيار، ودخل قحطبة الري من قبل أبي مسلم الخراساني، ثم
دخل أصفهان، وفتحت شهرزور لبني العباس، وسار قحطبة إلى العراق لقتال ابن هبيرة.
وحج بالناس في هذه السنة الوليد بن عروة بن محمد بن عطية السعدي، وهو ابن أخي
عبد الملك بن محمد، وكان على الحجاز؛ ولما بلغه قتل عمه عبد الملك توجه إلى الذين
قتلوه فقتل منهم مقتلةً عظيمة؛ وبقر بطون نسائهم، وقتل الصبيان، وحرق بالنار من قدر

عليه منهم، وكان على العراق يزيد بن هبيرة.
سنة 1اثنتين وثلاثين ومائة:
في هذه السنة كانت هزيمة يزيد بن هبيرة عامل العراق.
وفيها خرج محمد بن خالد بن عبد الله القسري مسوداً بالكوفة، وأخرج عامل ابن هبيرة
منها على ما نذكر ذلك إن شاء الله تعالى.
وفيها كان انقضاء الدولة الأموية، وابتداء الدولة العباسية، وبيعة أبي العباس السفاح
بالخلافة.
وسار عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس إلى مروان بن محمد بأمر السفاح، فلقيه
بزاب الموصل، واقتتلوا، فانهزم مروان إلى مصر، فلحقه صالح بن علي أخو عبد الله
ببوصير، فقتله ليلة الأحد لثلاث بقين من ذي الحجة على ما نذكر ذلك إن شاء الله مبيناً
في أخبار الدولة العباسية، جرياً في ذلك على القاعدة التي قدمناها.
ولما قتل مروان بن محمد كان له من العمر تسعٌ وخمسون سنة.
وقيل: أقل من ذلك.
وكانت ولايته إلى أن بويع للسفاح خمس سنين وشهراً، وإلى أن قتل خمس سنين وعشرة
أشهر.
وكان نقش خاتمه: اذكر الموت يا غافل.
وكان له من الأولاد: عبد الله، وعبيد الله؛ هربا بعد قتله. فأما عبد الله فقتله الحبشة،
وعبيد الله أعقب.
وقيل: إنه أخذ وحبس إلى أيام الرشيد، فمات ببغداد، بعد أن أضر.
كاتبه: عبد الحميد بن يحيى مولى بني عامر.
قاضيه: عثمان التيمي.
حاجبه: مقلار مولاه.
الأمراء بمصر: منهم حصان بن عتاهية، أقام ستة عشر يوما ثم وليها حفص بن الوليد، ثم
عزله مروان وولي جوهر بن سهل العجلاني، ثم بعثه مدداً إلى ابن هبية، وولاها المغيرة بن
عيد الله، ثم توفي فولاها عبد الملك بن مروان ابن موسى بن نصير.
القاضي بها: عبد الرحمن بن سالم بعد أن صرف حسين بن نعيم، ولم يزل بها قاضيا إلى
إمارة عبد الملك بن يزيد.
أخبار بني أمية

كانت مدة ولايتهم منذ خلص الأمر لمعاوية بن أبي سفيان وإلى أن قتل مروان بن محمد
إحدى وتسعين سنة وتسعة أشهر وخمسة أيام، منها مدة عبد الله بن الزبير تسع سنين
واثنان وعشرون يوما.
وعدة من ولي منهم أربعة عشر رجلا، وهم: معاوية بن أبي سفيان، يزيد بن معاوية،
الوليد بن يزيد بن عبد الملك. معاوية ابن يزيد بن معاوية. مروان بن الحكم. عبد الملك بن
مروان. هشام ابن عبد الملك. سليمان بن عبد الملك. عمر بن عبد العزيز. رحمه الله
تعالى. يزيد بن عبد الملك. مروان بن محمد بن مروان. الوليد بن يزيد. يزيد ابن الوليد بن
عبد الملك. إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك. يزيد ابن معاوية بن عبد الملك، هذا وعليه
انقرضت دولتهم بالمشرق، ثم قامت لهم دولة بالأندلس، سنذكرها إن شاء الله تعالى بعد
ذكرنا الدولة العباسية، وإنما فصلنا ما بين دولتهم بالمشرق ودولتهم بالمغرب وجعلنا الدولة
العباسية بينهما لتكون أخبار الدولتين سياقةً، ولأن بعض أخبار الدولة العباسية متعلقٌ
بأخبار الدولة الأموية، فإذا ذكرناها بعد لا ينقطع سياق الأخبار، لأن دولتهم بالأندلس لم
تكن تلو دولتهم هذه، بل كانت بعد سنين من قيام الدولة العباسية.
فصاروا إذاً كالخوارج عليهم، والله تعالى الموفق للصواب والهادي له بمنه وكرمه.
الباب الرابع من القسم الخامس من الفن الخامس
أخبار الدولة العباسية
بالعراق وغيره والديار المصرية وما معها خاصة وابتداء أمر الشيعة وظهورهم وما كان
منهم إلى أن أفضى إلى أبي العباس عبد الله السفاح ومن قام بالأمر بعده إلى وقتنا هذا.
دعوة بني العباس وأمر الشيعة
قال ابن الأثير الجزري رحمه الله تعالى في تاريخه الكامل، كان ابتداء ظهور دعوة بني
العباس في خلافة عمر بن عبد العزيز، وذلك أن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس
-وهو والد أبي العباس السفاح- بث دعاته في الآفاق في سنة مائة من الهجرة، وكان ينزل
بأرض الشراة من أعمال البلقاء بالشام، وكان أمر الشيعة بعد قتل الحسين بن علي رضي

الله تعالى عنهما صار إلى أخيه محمد بن الحنفية، وقال بعض المؤرخين إنه صار إلى علي
بن الحسين، ثم إلى محمد بن علي الباقر، ثم إلى جعفر بن محمد، والذي عليه الأكثر أن
محمد بن الحنفية أوصى به إلى ابنه أبي هاشم، فلم يزل قائماً بأمر الشيعة، فلما كان في أيام
سليمان بن عبد الملك وفد عليه فأكرمه سليمان، وقال ما ظننت قرشياً قط يشبه هذا
وقضى حوائجه، ثم شخص من عنده يريد فلسطين، فلما كان ببلد لخم وجذام ضربت له
أبنية في الطريق ومعهم اللبن المسموم، فكلما مر بقوم قالوا: هل لك في الشراب، فيقول جزيتم
خيراً، حتى مر بآخرين فعرضوا عليه، وهو يظنهم أنهم من لخم وجذام، فقال هاتوا
الشراب، فلما استقر في جوفه أحس السم، فقال لأصحابه إني ميت، فانظروا من القوم؟
فنظروا من القوم فإذا هم قوضوا أبنيتهم ورحلوا، فقال ميلوا بي إلى ابن عمي وأسرعوا،
فإني أحسب أني لا ألحقه، وكان محمد بن علي والد أبي العباس السفاح بالحميمية من
أرض الشراة بالشام.

ذكر تفويض أمر الشيعة إلى محمد بن علي بن عبد الله بن العباس وبثه
الدعاة

قال: فلما وصل أبو هاشم إلى محمد بن علي قال: يا ابن عم، إني ميت وأنت صاحب
هذا الأمر، وولدك ابن الحارثية هو القائم به، ثم أخوه من بعده، والله لا يتم هذا الأمر حتى
تخرج الرايات السود من خراسان، ثم ليغلبن على ما بين حضرموت وأقصى أفريقية وما بين
الهند وأقصى فرغانة، فعليك بهؤلاء الشيعة فهم دعاتك وأنصارك ولتكن دعوتك
خراسان، واستبطن هذا الأمر الحي من اليمن، فإن كل ملك لا يقوم بهم، فأمره إلى انتقاض
وأمرهم فليجعلوا اثني عشر نقيباً وبعدهم سبعين نقيباً، فإن الله تعالى لم يصلح بني إسرائيل
إلا بهم، وقد فعل ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فإذا مضت سنة الحمار فوجه رسلك
نحو خراسان، فمنهم من يقتل ومنهم من ينجو، حتى يظهر الله دعوتكم، فقال محمد بن
علي: أبا هاشم وما سنة الحمار، قال إنه لم تمض مائة سنة من نبوة إلا انتقض أمرها، لقوله

تعالى "أو كالذي مر على قرية" إلى قوله "فأماته الله مائة عام".
واعلم أن صاحب هذا الأمر من ولدك عبد الله بن الحارثية، ثم مات أبو هاشم وكان قد
أعلم شيعته من أهل خراسان والعراق عند ترددهم إليه، أن الأمر صائر إلى ولده محمد بن
علي، وأمرهم بقصده بعده، فلما مات أبو هاشم قصدوا محمداً وبايعوه، وعادوا فدعوا
الناس إليه فأجابوهم، وكان الذين سيرهم إلى الآفاق جماعة، فوجه ميسرة إلى العراق،
ومحمد بن خنيس وأبا عكرمة السراج - وهو أبو محمد الصادق - وحيان العطار - خال
إبراهيم بن سلمة - إلى خراسان، وعليها يوم ذاك الجراح الحكمي، وأمرهم بالدعاء إليه
وإلى أهل بيته، فلقوا من لقوا ثم انصرفوا بكتب من استجاب إلى محمد بن علي فدفعوها
إلى ميسرة، فبعث بها إلى محمد، واختار أبو محمد الصادق لمحمد بن علي اثني عشر نقيباً،
منهم سليمان بن كثير الخزاعي، ولاهز بن قريظ التميمي، وقحطبة بن شبيب الطائي،
وموسى ابن كعب التميمي، وخالد بن إبراهيم أبو داود من بني شيبان بن ذهل، والقاسم
بن مجاشع التميمي، وعمران بن إسماعيل أبو النجم مولى أبي معيط، ومالك بن الهيثم
الخزاعي، وطلحة بن زريق الخزاعي، وعمرو ابن أعين أبو حمزة مولى خزاعة، وشبل بن
طهمان أبو علي الهروي مولى لبني حنيفة، وعيسى بن أعين مولى خزاعة، واختار سبعين
رجلاً فكتب إليهم محمد بن علي كتاباً، ليكون لهم مثالاً وسيرة يسيرون بها، وذلك في سنة
مائة من الهجرة.

أبي العباس السفاح

قال: كان عبد الملك بن مروان قد منع محمد بن علي على أباه من زواج أمه، وهي ريطة
بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، ثم منعه الوليد وسليمان بعده لأنهم
كانوا يرون أن ملكهم يزول على يد رجل من بني العباس يقال له ابن الحارثية، فلما ولي عمر
بن عبد العزيز شكى محمد بن علي ذلك، وسأله ألا يمنعه من زواجها وكانت بنت خاله،
فقال له عمر: تزوج من شئت فتزوجها، فولدت له أبا العباس السفاح في شهر ربيع الآخر

سنة أربع ومائة، ووصل إلى أبيه محمد بن علي أبو محمد الصادق من خراسان في عدة من
أصحابه، فأخرج إليهم أبا العباس في خرقة وله خمسة عشر يوماً، وقال لهم هذا صاحبكم
الذي يتم الأمر على يديه، فقبلوا أطرافه، وقال لهم: والله ليتمن هذا الأمر حتى تدركوا
ثأركم من عدوكم.
وفي سنة خمس ومائة: قدم بكير بن ماهان من السند وكان بها مع الجنيد بن عبد
الرحمن، فلما عزل الجنيد قدم بكير إلى الكوفة، ومعه أربع لبنات من فضة ولبنة من ذهب،
فلقي أبا عكرمة الصادق، وميسرة، ومحمد بن خنيس، وسالم الأعين، وأبا يحيى مولى بني
مسلمة، فذكروا له أمر دعوة بني هاشم فقبل ذلك، وأنفق ما معه عليهم ودخل إلى محمد بن
علي، فأقامه مقامه.
وفي سنة سبع ومائة: وجه بكير بن ماهان أبا عكرمة ومحمد بن خنيس وعمار العبادي
وزيادا - خال الوليد بن الأزرق - في عدة من شيعتهم دعاة إلى خراسان، فجاء رجل من
كندة إلى أسد بن عبد الله القسري وهو أمير خراسان، فوشى بهم فأتى بأبي عكرمة
ومحمد بن خنيس وعامة أصحابه، ونجا عمار، فقطع أسد أيدي من ظفر به منهم وصلبه،
وأقبل عمار إلى بكير ابن ماهان فأخرجه، فكتب إلى محمد بن علي بذلك، فأجابه: الحمد
لله الذي صدق دعوتكم ومقالتكم، وقد بقيت منكم قتلى ستقتل. وقيل إن أول من قدم
خراسان من دعاة بني العباس زياد أبو محمد مولى همدان.
وفي سنة تسع ومائة: بعثه محمد بن علي وقال له: انزل اليمن والطف مضر، ونهاه عن
رجل من نيسابور يقال له غالب، فلما قدم دعا إلى بني العباس وذكر سيرة بني أمية
وظلمهم، وأطعم الناس الطعام، وقدم عليه غالب وتناظرا في تفضيل آل علي وآل العباس،
وافترقا وأقام زياد بمرو شتوة يختلف إليه من أهلها يحيى بن عقيل الخزاعي وغيره، فأخبر به
أسد فدعاه وقال له: ما هذا الذي بلغني عنك؟ قال: الباطل، إنما قدمت في تجارة وقد
فرقت مالي على الناس، فإذا اجتمع خرجت، فقال له أسد: اخرج عن بلادي، فانصرف

وعاد إلى أمره، فرفع أمره إلى أسد وخوف جانبه، فأحضره وقتله وقتل معه عشرة من أهل
الكوفة، ولم ينج منهم إلا غلامان استصغرهما وقيل - أمر بزياد أن يوسط بالسيف، فضربوه
فلم يعمل السيف فيه فكبر الناس، فقال أسد: ما هذا؟ فقالوا نبا السيف عنه، ثم ضرب
مرة أخرى فنبا عنه، ثم ضرب الثالثة فقطعه باثنتين، وعرض البراءة منه على أصحابه،
فمن تبرأ خلى سبيله، فتبرأ اثنان فتركا، وأبى البراءة ثمانية فقتلوا، فلما كان الغد أقبل
أحدهما إلى أسد، فقال أسألك أن تلحقني بأصحابي فقتله، وذلك قبل الأضحى بأربعة أيام
من سنة تسع ومائة، ثم قدم بعدهم رجل من أهل الكوفة يسمى كثيرا، فنزل على أبي
النجم وكان يأتيه الذين لقوا زياداً، فكان على ذلك سنة أو سنتين وكان أمياً، فقدم عليه
خداش واسمه عمارة، فغلب كثيراً على أمره. ويقال إن أول من أتى خراسان بكتاب محمد
بن علي حرب بن عثمان مولى بني قيس بن ثعلبة، من أهل بلخ والله تعالى أعلم.
وفي سنة ثماني عشرة ومائة: وجه بكير بن ماهان عمار بن يزيد الخزاعي إلى خراسان
والياً على شيعة بني العباس، فنزل مرو وغير اسمه وتسمى بخداش، ودعا إلى محمد بن
علي فسارع إليه الناس وأطاعوه، ثم غير ما دعاهم إليه وأظهر دين الخرمية، ورخص
لبعضهم في نساء بعض، وقال لهم إنه لا صوم ولا صلاة ولا حج، وأن تأويل الصوم أن يصام
عن ذكر الإمام فلا يباح باسمه، والصلاة الدعاء له، والحج القصد إليه وكان يتأول من القرآن
قوله تعالى "ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا إذا ما اتقوا وآمنوا
وعملوا الصالحات"، قال وكان خداش نصرانياً بالكوفة فأسلم ولحق بخراسان، وكان ممن
اتبعه على مقالته: مالك بن الهيثم، والحريش بن سليم الأعجمي وغيرهما، وأخبرهم أن
محمد بن علي أمره بذلك، فبلغ خبره أسد بن عبد الله فظفر به، فأغلظ القول لأسد فقطع
لسانه وسمل عينيه، وأمر يحيى بن نعيم الشيباني فقتله وصلبه بآمل.
وفيها مات علي بن عبد الله بن عباس بالحميمة من أرض الشراة بالشام، وهو ابن ثمان

أو سبع وسبعين، وهو والد محمد الإمام، وقيل إنه ولد في الليلة التي قتل فيها علي بن أبي
طالب رضي الله تعالى عنه فسماه علياً، وقال سميته باسم أحب الناس إلي، وكناه بأبي
الحسن، فلما قدم على عبد الملك بن مروان أكرمه وأجلسه معه على سريره، وسأله عن
اسمه وكنيته فأخبره، فقال: لا يجتمع هذا الاسم والكنية لأحد في عسكري، وسأله: هل
لك ولد؟ قال: نعم وقد سميته محمداً، قال: فأنت أبو محمد.
وقيل إنه خلف اثنين وعشرين
ولداً.
وفي سنة عشرين ومائة: وجهت الشيعة بخراسان إلى محمد الإمام سليمان بن كثير، ليعلمه
أمرهم وما هم عليه، وكان محمد قد ترك مكاتبتهم ومراسلتهم، لطاعتهم لخداش وقبولهم
منه ما رواه عنه من الكذب، فقدم سليمان على محمد فعنفه محمد في ذلك، ثم صرفه إلى
خراسان ومعه كتاب مختوم، فلم يجدوا فيه إلا البسملة، فعلموا مخالفة خداش لأمره، ثم
وجه محمد إليهم بكير بن ماهان بعد عود سليمان من عنده، وكتب إليهم يعلمهم كذب
خداش فلم يصدقوه واستخفوا به، فانصرف بكير إلى محمد، فبعث معه بعصى مضببة
بعضها بحديد وبعضها بنحاس، فجمع بكير النقباء والشيعة ودفع إلى كل واحد منهم
عصى، فتابوا ورجعوا.
أبي مسلم الخراساني
وابتداء أمره
قال ابن الأثير الجزري في تاريخه الكامل، قد اختلف الناس في أمر أبي مسلم، فقيل كان
حراً، وكان اسمه إبراهيم بن عثمان بن بشار بن سدوس بن جود زده من ولد بزرجمهر
ويكنى أبا إسحاق، ولد بأصفهان ونشأ بالكوفة، وكان أبوه أوصى إلى عيسى بن موسى
السراج فحمله إلى الكوفة وهو ابن سبع سنين، فلما اتصل بإبراهيم بن محمد بن علي بن
عبد الله الإمام قال له: غير اسمك فإنه لا يتم لنا الأمر إلا بتغيير اسمك، على ما وجدته في
الكتب، فسمى نفسه عبد الرحمن بن مسلم وكان يكنى أبا مسلم، ومضى لشأنه، وله
ذؤابة وهو على حمار بإكاف وله تسع عشرة سنة، وزوجه إبراهيم الإمام ابنة عمران بن

إسماعيل الطائي المعروف بأبي النجم، هذا نسبه على زعم من يقول إنه حر، ولما تمكن
وقوي أمره ادعى أنه من ولد سليط بن عبد الله بن عباس، وكان من حديث سليط هذا
أن عبد الله بن عباس كان له جارية مولدة صفراء تخدمه، فواقعها مرة ثم تركها دهراً،
فاستنكحت عبداً من أهل المدينة فولدت له غلاماً، فاستعبده عبد الله بن عباس وسماه
سليطاً، فنشأ جلداً ظريفاً وخدم ابن عباس، ثم صار له من الوليد بن عبد الملك منزلة،
فادعى أنه من ولد عبد الله بن عباس، وأعانه الوليد على ذلك لما كان في نفسه من علي بن
عبد الله بن عباس، وأمره بمخاصمته فخاصمه، واحتال في شهود على إقرار عبد الله أنه
ولده، فشهدوا بذلك عند قاضي دمشق، واتبع القاضي رأي الوليد في ذلك، فأثبتت نسبه
وخاصم علياً في الميراث.
وأما من زعم أنه كان عبداً فإنه حكى، أن بكير بن ماهان كان كاتباً لبعض عمال السند،
فقدم الكوفة فاجتمع بشيعة بني العباس، فغمز بهم فحبس وخلي عن الباقين، وكان في
الحبس أبو عاصم يونس، وعيسى بن معقل العجلي ومعه أبو مسلم يخدمه، فدعاهم بكير
إلى رأيه فأجابوه، ثم قال لعيسى بن معقل: ما هذا منك؟ قال: هو مملوك، قال: أتبيعه؟
قال: هو لك، قال: أحب أن تأخذ ثمنه، قال هو لك بما شئت، فأعطاه أربعمائة درهم، ثم
خرجوا من السجن، فبعث به بكير إلى إبراهيم الإمام، فدفعه إبراهيم إلى موسى السراج
فسمع منه وحفظ، ثم صار يتردد إلى خراسان.
وقيل إنه كان لبعض أهل هراة بوشنج شيخ، فقدم مولاه على إبراهيم الإمام وأبو مسلم
معه، فأعجبه فابتاعه منه وأعتقه، ومكث عنده عدة سنين، وكان يتردد بكتب إلى
خراسان على حمار له بإكاف، ثم ولاه إبراهيم أمر الشيعة بخراسان على ما نذكره إن شاء
الله تعالى.
وفي سنة أربع وعشرين ومائة: مات محمد بن علي بن عبد الله بن عباس في قول بعضهم،
وأوصى إلى ابنه إبراهيم بالقيام بأمر الدعوة، وقيل بل مات في سنة خمس وعشرين ومائة في
ذي القعدة، وهو ابن ثلاث وستين سنة.

وفي سنة ست وعشرين ومائة: وجه إبراهيم بن محمد الإمام أبا هاشم بكير بن ماهان إلى
خراسان، فقدم مرو وجمع النقباء والدعاة ونعى لهم محمد بن علي، ودعاهم إلى ابنه
إبراهيم ودفع إليهم كتابه فقبلوه، ودفعوا له ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة، فقدم بها
بكير على إبراهيم.
وفي سبع وعشرين ومائة: توجه سليمان بن كثير، ولاهز بن قريظ، وقحطبة إلى مكة فلقوا
إبراهيم الإمام بها، وأوصلوا إلى مولى له عشرين ألف دينار ومائتي ألف درهم ومسكاً
ومتاعاً، وكان معهم أبو مسلم.
وفيها كتب بكير بن ماهان إلى إبراهيم بن محمد الإمام يخبره أنه في الموت، وأنه قد
استخلف أبا سلمة حفص بن ماهان وهو رضىً للأمر، فكتب إبراهيم إلى أبي سلمة يأمره
بالقيام بأمر أصحابه، وكتب إلى أهل خراسان يخبرهم أنه قد أسند أمرهم إليه، ومضى أبو
سلمة إليهم فقبلوا أمره، ودفعوا إليه ما اجتمع عندهم من نفقات الشيعة وخمس أموالهم.
ولايته أمر الشيعة
قال وفي سنة ثمان وعشرين ومائة: وجه إبراهيم بن محمد الإمام أبا مسلم الخراساني إلى
خراسان وعمره تسع عشرة سنة، وكتب إلى أصحابه: إني قد أمرته بأمري، فاسمعوا له
وأطيعوا، فإني قد أمرته على خراسان وما غلب عليه بعد ذلك، فأتاهم فلم يقبلوا قوله،
وخرجوا فالتقوا بمكة عند إبراهيم الإمام، فأعلمه أبو مسلم أنهم لم ينفذوا كتابه وأمره،
فقال إبراهيم: هل عرضت هذا الأمر على غير واحد فأبوه علي؟ وكان قد عرضه على
سليمان بن كثير، فقال: لا ألى على اثنين أبدا، ثم عرضه على إبراهيم بن سلمة فأبى،
فأعلمهم أنه قد اجتمع رأيه على أبي مسلم، وأمرهم السمع والطاعة له، ثم قال: إنك رجل
منا أهل البيت، فاحفظ وصيتي: انظر هذا الحي من اليمن فالزمهم، واسكن بين أظهرهم
فإن الله تعالى لا يتم هذا الأمر إلا بهم، واتهم ربيعة في أمرهم، وأما مضر فإنهم العدو
القريب الدار، واقتل من شككت فيه، وإن استطعت ألا تدع بخراسان من يتكلم العربية

فافعل، وأيما غلام بلغ خمسة أشبار تتهمه فاقتله، ولا تخالف هذا الشيخ يعني سليمان بن
كثير ولا تعصه، وإذا أشكل عليك أمر فاكتف به مني.
إظهار الدعوة بخراسان
وفي سنة تسع وعشرين ومائة: كتب إبراهيم الإمام إلى أبي مسلم يستدعيه، فسار في
النصف من جمادى الآخرة مع سبعين من النقباء، فلما وصل إلى قومس أتاه كتاب إبراهيم،
يقول: إني قد بعثت إليك براية النصر، فارجع من حيث لقيك كتابي، ووجه إلى قحطبة
بما معك يوافيني به في الموسم، وكتاباً إلى سليمان بن كثير، فانصرف أبو مسلم إلى
خراسان، ووجه قحطبة إلى إبراهيم بما معه من الأموال والعروض، وقدم أبو مسلم إلى
مرو ودفع كتاب الإمام إلى سليمان بن كثير، يأمره بإظهار الدعوة، فنصبوا أبا مسلم وقالوا
رجل من أهل البيت، ودعوا إلى طاعة بني العباس، وأرسلوا إلى من قرب منهم وبعد ممن
أجابهم بإظهار الدعوة، ونزل أبو مسلم قرية من قرى مرو يقال لها فنين، على أبي الحكم
عيسى بن أعين النقيب، ووجه منها أبا داود النقيب ومعه عمرو بن أعين إلى طخارستان
فما دون بلخ، وأمرهما بإظهار الدعوة في شهر رمضان، وكان نزوله القرية في شعبان، وبث
الدعاة إلى مرو الروذ والطالقان وخوارزم، وأمرهم بإظهار الدعوة في شهر رمضان لخمس
بقين منه، وقال لهم فإن أعجلكم عدوكم دون الوقت بالأذى والمكروه فقد حل لكم أن
تدفعوا عن أنفسكم، وتجردوا السيوف وتجاهدوا أعداء الله، ومن شغله منكم عدوه عن
الوقت فلا حرج عليه أن يظهر بعده، ثم تحرك أبو مسلم فنزل في قرية سفيذنج على كثير بن
سليمان الخزاعي لليلتين خلتا من شهر رمضان، والكرماني وشيبان يقاتلان نصر بن سيار،
فبث أبو مسلم دعاته في الناس وأظهر أمره، فأتاه في ليلة واحدة نحو ستين قرية، فلما كن
ليلة الخميس لخمس بقين من شهر رمضان عقد اللواء، الذي بعث به الإمام إليه ويعى الظل،
على رمح طوله أربعة عشر ذراعاً، وهو يتلو "أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على
نصرهم لقدير"، ولبسوا السواد هو وأخوه سليمان بن كثير ومواليه، ومن كان أجاب الدعوة

من أهل سفيذنج، وأوقدوا النيران ليلتهم لشيعتهم فكانت علامتهم، فتجمعوا إليه حين
أصبحوا معدين، وقدم عليه الدعاة الذين بثهم في الدعوة بمن أجابهم، وذلك بعد ظهوره
بيومين، فلما وافى عيد الفطر أمر أبو مسلم سليمان بن كثير أن يصلى به وبالشيعة،
ونصب له منبراً في العسكر، وأمره أن يبدأ بالصلاة قبل الخطبة بغير أذان ولا إقامة، وكان
بنو أمية يبدوءن بالخطبة قبل الصلاة بأذان وإقامة، وأمره أيضاً أن يكبر ست تكبيرات
تباعاً، ثم يقرأ ويركع بالسابعة، ويكبر في الركعة الثانية خمس تكبيرات تباعاً ثم يقرأ ويركع
بالسادسة، ويفتح الخطبة بالتكبير ويختمها بالقرآن، وكان بنو أمية يكبرون في الأولى أربع
تكبيرات وفي الثانية ثلاثاً، فلما قضى سليمان الصلاة انصرف أبو مسلم والشيعة، إلى طعام
قد أعده لهم فأكلوا مستبشرين. وكتب أبو مسلم إلى نصر بن سيار وبدأ بنفسه، وكتب
إلى نصر ولم يقل إلى الأمير: أما بعد فإن الله تباركت أسماؤه عير أقواماً في القرآن فقال:
"وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إحدى الأمم فلما جاءهم
نذير ما زادهم إلا نفوراً، استكباراً في الأرض ومكر السيء ولا يحيق المكر السيء إلا
بأهله فهل ينظرون إلا سنة الأولين فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلاً"،
فتعاظم نصر الكتاب وكسر له إحدى عينيه، وقال: هذا كتاب له أخوات ثم كان من خبر
الكرماني ومقتله ما قدمناه في أيام مروان، فلما قتل انضم ابنه علي إلى أبي مسلم في جموع
كثيرة، فاستصحبه معه وقاتلوا نصر بن سيار حتى أخرجوه من دار الإمارة، وأقبل أبو
مسلم إلى مرو وأتاه علي بن الكرماني وسلم عليه بالإمارة.

ذكر دخول أبي مسلم مرو والبيعة بها

وفي سنة ثلاثين ومائة: دخل أبو مسلم الخراساني مرو ونزل قصر الإمارة في شهر ربيع
الآخر وقيل في جمادى الأولى، وكان سبب ذلك وسبب اتفاق ابن الكرماني أن ابن
الكرماني ومن معه وسائر القبائل بخراسان كانوا قد تعاقدوا على قتال أبي مسلم، فجمع
أصحابه لحربهم، فكان سليمان بن كثير بإزاء ابن الكرماني، فقال له سليمان إن أبا مسلم:

يقول لك أما تأنف من مصالحة نصر وقد قتل بالأمس أباك وصلبه! وما كنت أحسبك
تجامع نصراً في مسجد تصليان فيه! فرجع ابن الكرماني عن رأيه وانتقض صحل العرب،
فبعث نصر بن سيار إلى أبي مسلم يلتمس منه أن يدخل مع مضر، وبعث أصحاب
الكرماني وهم ربيعة واليمن إلى أبي مسلم بمثل ذلك،
وراسلوه أياماً فأمرهم أبو مسلم أن
يقدم عليه وفد الفريقين، حتى يختار أحدهما ففعلوا، فأمر أبو مسلم الشيعة أن يختاروا
أصحاب الكرماني، فتقدم الوفدان فأجلسهم أبو مسلم، وجمع عنده من الشيعة سبعين
رجلاً، فقال لهم: لتختاروا أحد الفريقين، فقام سليمان بن كثير فتكلم وكان خطيباً مفوهاً،
فاختار ابن الكرماني وأصحابه واختارهم السبعون، فقام وفد نصر وعليهم الكآبة والذلة،
وأرسل إليه ابن الكرماني أن يدخل إلى مدينة مرو من ناحية، ليدخل هو وعشيرته من
الناحية الأخرى، فأرسل إليه أبو مسلم أني لست آمن أن تجمع يدك ويد نصر على
محاربتي، ولكن ادخل أنت وانشب الحرب، ففعل ابن الكرماني ودخل أبو مسلم مرو،
والفريقان يقتتلان فأمرهما بالكف وتلى قوله تعالى: "ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها
فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه... الآية" ومضى أبو مسلم إلى
قصر الإمارة، وأرسل إلى الفريقين أن ينصرف كل منهما إلى عسكره ففعلوا، وصفت مرو
لأبي مسلم وأمر بأخذ البيعة من الجند، وكان الذي يأخذها أبو منصور طلحة بن رزيق
وهو أحد النقباء، وكان عالماً بحجج الهاشمية ومعايب الأموية، وكانت البيعة: أبايعكم على
كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، عليك بذلك عهد الله وميثاقه والطلاق
والعتاق والمشي إلى بيت الله الحرام، وعلى ألا تسألوا رزقاً ولا طمعاً حتى يبدأكم به
ولائكم.

هرب أمير خراسان من مرو

وكان سبب هربه أن أبا مسلم لما دخل مرو أرسل لاهز بن قريظ في جماعة إلى نصر،
يدعوه إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والرضا من آل محمد، فلما نظر ما

جاءه من اليمانية والربيعية والعجم وأنه لا قبل له بهم أظهر
قبول ما أتاه به، وأنه يأتيه
ويبايعه واستمهلهم، وأمر أصحابه بالتهيؤ والخروج إلى مكان
يأمنون فيه، فأشار عليه سلم
بن أحوز بالبيات ليلته تلك والخروج من القابلة، فلما أصبح عبأ
أصحابه وكتائبه إلى بعد
الظهر، فأعاد أبو مسلم إليه لاهز بن قريظ في جماعة، فقال:
ما أسرع ما عدتم، فقال له
لاهز: لا بد لك من ذلك، فاستمهله نصر بقدر ما يتوضأ ويصلي،
ويرسل إلى أبي مسلم
يستأذنه في المضي إليه، فأجابه لاهز، فلما قدم نصر للوضوء تلا
لاهز: "إن الملأ يأتمرون بك
ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين"، فدخل نصر منزله
وأعلمهم أنه ينتظر عود رسوله من
عند أبي مسلم، وأقام حتى جنه الليل فخرج من خلف حجرته،
ومعه تميم ابنه، والحكم
بن نميلة النميري، وامرأته المرزبانة وانطلقوا هرباً، فلما
استبطأه لاهز وأصحابه دخلوا منزله
فوجدوه قد هرب، فلما بلغ أبا مسلم هربه سار إلى عسكر نصر،
وأخذ ثقات أصحابه
وصناديدهم فكتفهم، وفيهم سلم بن أحور صاحب شرطة نصر،
والبختري كاتبه، وابنان
له، ويونس بن عبد ربه، ومحمد بن قطن، ومجاهد بن يحيى بن
حضين وغيرهم، فاستوثق
منهم بالحديد وحبسهم، وسار أبو مسلم وابن الكرماني في
طلب نصر ليلتهما، فأدركا
امرأته قد حلفها، وسار نصر إلى سرخس واجتمع معه ثلاثة آلاف
رجل، ورجع أبو مسلم
وسأل من كان أرسلهم إلى نصر: ما الذي ارتاب به نصر حتى
هرب؟ وهل تكلم أحد
منكم بشيء؟ فذكروا له ما تلاه لاهز بن قريظ، فقال هذا الذي
دعاه للهرب، ثم قال: يا
لاهز تدغل في الدين، وقتله، واستشار أبو مسلم أبا طلحة في
أصحاب نصر، فقال: اجعل
سوطك السيف، وسجنك القبر، فقتلهم وكانوا أربعة وعشرين
رجلاً، وأما نصر فإنه سار
من سرخس إلى طوس فأقام بها، ودخل ابن الكرماني مرو مع
أبي مسلم وتابعه على رأيه.

مقتل ابني الكرماني

وفي سنة ثلاثين ومائة أيضاً: قتل أبو مسلم علياً وعثمان ابني
الكرماني. وكان سبب ذلك

أن أبا مسلم كان وجه موسى بن كعب إلى أبيورد فافتتحها.
ووجه أبا داود إلى بلخ وفيها
زياد بن عبد الرحمن، فلما بلغه قصد أبي داود بلخ خرج في أهلها
وأهل الترمذ وغيرهما من
كور طخارستان إلى الجوزجان. فلما دنا أبو داود منهم انصرفوا
منهزمين إلى ترمذ، ودخل
أبو داود مدينة بلخ. فكتب إليه أبو مسلم بالقدوم عليه، ووجه
مكانه أبا الميلاء يحيى بن
نعيم على بلخ، فلما قدم كاتبه زياد بن عبد الرحمن أن يصير أن
أيديهم واحدة فأجابه،
فرجع زياد ومسلم بن عبد الرحمن بن مسلم الباهلي وعيسى
بن زرعة السلمي وأهل بلخ
وترمذ وملوك طخارستان وما وراء النهر ودونه فنزلوا على
فرسخ من بلخ، وخرج إليهم
يحيى بن نعيم بمن معه، فصارت كلمتهم واحدة - مضر وربيعة
واليمن ومن معهم - على
قتال المسودة، وجعلوا الولاية عليهم لمقاتل بن حيان النبطي،
فأمر مسلم أبا داود بالعود،
فأقبل بمن معه حتى اجتمعوا على نهر السرجنان، وكان زياد
وأصحابه قد وجهوا أبا
سعيد القرشي مسلحة، لئلا يأتيهم أصحاب أبي داود من
خلفهم، وكانت
أعلام أبي سعيد سودا، فلما أقبل أبو سعيد ورأى زياد ومن معه
أعلام أبي سعيد ورياته
سودا ظنوهم كميناً لأبي داود فوقع عامة أصحاب زياد في
النهر، وقتل منهم خلق كثير ممن
تخلف، ونزل أبو داود معسكرهم وحوى ما فيه، ومضى زياد
ويحيى ومن معهما إلى ترمذ،
واستقامت بلخ له فكتب إليه أبو مسلم بالقدوم عليه وقدم أبو
داود على أبي مسلم واتفقا
على أن يفرقا بين ابني الكرماني، فبعث أبو مسلم عثمان بن
الكرماني عاملاً على بلخ، فلما
قدمها أقبلت المضرية من ترمذ وعليهم مسلم بن عبد الرحمن
الباهلي، فالتقوا واقتتلوا
فانهزم أصحاب عثمان وغلب مسلم على بلخ، وكان عثمان بن
الكرماني بمرو الروذ لم
يشهد هذه الوقعة، فلما بلغه الخبر أقبل هو والنضر بن صبيح
المري فهرب أصحاب مسلم
من ليلتهم، فلم يمعن النظر في طلبهم، ولقيهم أصحاب عثمان
فاقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزم
أصحاب عثمان وقتل منهم خلق كثير، ورجع أبو داود من مرو
إلى بلخ، وسار أبو مسلم

إلى نيسابور ومعه علي بن الكرماني، واتفق رأي أبي مسلم ورأي أبي داود على أن يقتلا
ابني الكرماني، فلما قدم أبو داود بلخ بعث عثمان عاملاً على الختل فلما خرج عثمان من
بلخ تبعه أبو داود وأخذه هو وأصحابه فحبسهم جميعاً، ثم ضرب أعناقهم صبراً، وقتل
أبو مسلم في ذلك اليوم علي بن الكرماني، وكان أبو مسلم أمره قبل ذلك أن يسمى له
خاصيته، ليوليهم ويأمر لهم بجوائز وكساوى، فسماهم له فقتلهم جميعاً.

قدوم قحطبة

بن شبيب من قبل إبراهيم الإمام علي بن أبي مسلم

وكان قدومه سنة ثلاثين ومائة فقدم ومعه لواء عقده له إبراهيم، فوجهه أبو مسلم في
مقدمته، وضم إليه الجيوش وجعل إليه العزل والاستعمال، وكتب إلى الجنود بالسمع
والطاعة له.

ذكر مسير قحطبة إلى نيسابور واستيلائه عليها ومن استعمله أبو مسلم على الجهات

قال: ولما استولى أبو مسلم على خراسان وقتل ابنا الكرماني على ما تقدم بعث العمال
على البلاد، فاستعمل سباع بن النعمان الأزدي على سمرقند، وأبا داود خالد بن إبراهيم
على طخارستان، ومحمد بن الأشعث على الطبسين، وجعل مالك بن الهيثم على شرطته،
ووجه قحطبة إلى طوس ومعه عدة من القواد، منهم أبو عون عبد الملك بن يزيد، وخالد
بن برمك، وعثمان بن نهيك، وخازم بن خزيمة وغيرهم، فلقي قحطبة من بطوس فهزمهم،
وبلغ عدة القتلى بضعة عشر ألفاً، ووجه أبو مسلم القاسم ابن مجاشع إلى نيسابور على
طريق المحجة، وكتب إلى قحطبة يأمره بقتال تميم بن نصر بن سيار والنابي بن سويد ومن
لجأ إليهما من أهل خراسان، ووجه أبو مسلم علي بن معقل في عشرة آلاف إلى
تميم بن نصر، وأمره أن يكون مع قحطبة، وسار قحطبة إلى السوذقان - وهو معسكر تميم
بن نصر والنابي بن سويد، وقد عبأ أصحابه فدعاهم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله
عليه وسلم وإلى الرضا من آل محمد فلم يجيبوه، فقاتلهم قتالاً شديداً، فقتل تميم في المعركة،

وقتل من أصحابه خلق كثير، وهرب النابي بن سويد فتحصن بالمدينة، فحصره قحطبة
ونقبوا سورها ودخلوا المدينة فقتلوا النابي ومن كان معه، وبلغ الخبر نصر بن سيار فهرب
إلى قومس وتفرق عنه أصحابه، فسار إلى نباتة بن حنظلة بجرجان، وقدم قحطبة نيسابور
فأقام بها هو ومن معه رمضان وشوال.

مقتل نباتة
بن حنظلة عامل يزيد بن هبيرة على جرجان

قد ذكرنا هرب نصر بن سيار ولحاقه بنباتة بن حنظلة، فلما كان في ذي القعدة أقبل
قحطبة إلى جرجان، وقد نزل نباتة ونصر بن سيار الجورجان، وخندقوا عليهم وهم في
عدد وعُدد، فهابهم أهل خراسان حتى تكلموا بذلك وظهر عليهم، فبلغ قحطبة فقام فيهم
وقوى عزائمهم وشجعهم، وقال: إن الإمام وعدكم المصر عليهم، وقد عهد إلي أنكم تلقونهم
فينصركم الله عليهم، فالتقوا في مستهل ذي الحجة سنة ثلاثين ومائة في يوم الجمعة، وعلى
ميمنة قحطبة ابنه الحسن، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فقتل نباتة وعشرة آلاف من أهل الشام،
وانهزم من بقي منهم، وسار نصر بن سيار وكان بقومس فنزل خوار الري، وكاتب ابن
هبيرة يستمده وهو بواسط مع ناس من وجوه أهل خراسان، وقال له: أمدني بعشرة آلاف
قبل أن تمدني بمائة ألف ثم لا تغني شيئاً، فحبس ابن هبيرة رسله، فأرسل إلى مروان بن
محمد يعلمه ما فعل ابن هبيرة يأمره أن يمده، فجهز ابن هبيرة جيشاً كثيفاً عليهم ابن
عطيف إلى نصر بن سيار، قال: أما قحطبة فإنه بلغه أن أهل جرجان
يريدون الخروج عليه، فاستعرضهم وقتل منهم ما يزيد على ثلاثين ألفاً.

ثم دخلت سنة إحدى وثلاثين ومائة

وفاة نصر
بن سيار ودخول قحطبة الري

قال: ثم وجه قحطبة ابنه الحسن لقتال نصر في المحرم من هذه السنة، ووجه أبا كامل وأبا
القاسم محرز بن إبراهيم، وأبا العباس المروزي إلى الحسن ابنه، فلما كانوا قريباً منه انحاز
أبو كامل وترك عسكره وأتى نصر بن سيار فأعلمه، فصار معه وأعلمه مكان الجند، فوجه

إليهم جنداً فهرب جند قحطبة، وخلفوا شيئاً من متاعهم فأخذه أصحاب نصر، فبعث به
نصر إلى ابن هبيرة، فعرض له ابن عطيف بالري فأخذ الكتاب والمتاع من رسول نصر،
وبعثه إلى ابن هبيرة فغضب نصر، وقال: أما والله لأدعن ابن هبيرة فليعرفن أنه ليس
بشيء، وكان ابن عطيف في ثلاثة آلاف، قد بعثه ابن هبيرة مدداً لنصر، فأقام بالري ولم
يأت نصراً، فسار نصر حتى نزل الري وعليها حبيب بن بديل النهشلي، فلما قدمها سار
ابن عطيف منها إلى همذان، ثم عدل إلى أصفهان إلى عامر بن ضبارة، ولما قدم نصر الري
أقام بها يومين ثم مرض، فحمل إلى ساوة فمات بها لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع
الأول منها، وعمره خمس وثمانون سنة، ودخل أصحابه همذان، ولما مات نصر بعث الحسن
بن قحطبة خازم بن خزيمة إلى سمنان، وأقبل قحطبة من جرجان وقدم أمامه زياد بن
زرارة القشيري، وكان قد ندم على اتباع أبي مسلم، فأخذ طريق أصفهان يريد عامر بن
ضبارة، فوجه قحطبة، المسيب بن زهير الضبي فلحقه، وقاتله فانهزم زياد وقتل عامة من
معه، ورجع المسيب إلى قحطبة، ثم سار قحطبة إلى قومس وبها ابنه الحسن، فقدمه إلى
الري، وبلغ حبيب بن بديل النهشلي ومن معه من أهل الشام مسير الحسن، فخرجوا عن
الري ودخلها الحسن في صفر، وأقام حتى قدم أبوه، فبعثه بعد مقدمه بثلاث ليال إلى
همذان، فسار عنها مالك بن أدهم ومن كان معه من أهل الشام وأهل خراسان إلى نهاوند،
فأقام بها وفارقه ناس كثير، ودخل الحسن همذان وسار منها إلى نهاوند، فنزل على أربعة
فراسخ منها، وأمده أبوه بأبي الجهم بن عطية مولى باهلة في سبعمائة فحصر المدينة.

مقتل عامر
بن ضبارة ودخول قحطبة أصفهان

كان عامر بن ضبارة قد بعثه يزيد بن هبيرة لقتال عبد الله بن معاوية، لما خرج ودعا إلى
نسه على ما نذكره في أخبار آل أبي طالب إن شاء الله، وبعث معه ابنه داود بن يزيد
فهزمه ابن ضبارة، وسار في أثره، فلما بلغ ابن هبيرة مقتل نباتة بن حنظلة بجرجان كتب إلى

عامر وإلى ابنه داود، أن يسيرا إلى قحطبة وكانا بكرمان، فسارا في خمسين ألفاً ونزلوا
بأصفهان، وكان يقال لعسكر ابن ضبارة عسكر العساكر، فبعث قحطبة إليهم جماعة من
القواد عليهم جميعاً مقاتل بن حكيم العكي، فساروا حتى نزلوا قم، وبلغ ابن ضبارة نزول
الحسن بن قحطبة نهاوند، فسار ليفتن من بها من أهلها، فأرسل مقاتل إلى قحطبة يعلمه
بمسيره، فأقبل قحطبة من الري حتى لحق بمقاتل، ثم ساروا والتقوا بعامر بن ضبارة وداود
بن يزيد، وكان عسكر قحطبة عشرين ألفاً فيهم خالد بن برمك، وعسكر ابن ضبارة مائة
ألف وقيل خمسون ومائة ألف، فأمر قحطبة بمصحف فوضع على رمح، ونادى يا أهل الشام
إنما ندعوكم إلى ما في هذا المصحف، فشتموه وفحشوا في القول، فأمر قحطبة أصحابه
بالحملة عليهم، فحمل عليهم العكي وتهايج الناس، ولم يكن بينهم كبير قتال حتى انهزم أهل
الشام، وقتلوا قتلاً ذريعاً، فقتل ابن ضبارة وهرب داود، وأخذ أصحاب قحطبة من
عسكرهم ما لا يعلم قدره، من السلاح والمتاع والرقيق والخيل، وما رئي عسكر قط كان
فيه من أصناف الأشياء ما في هذا العسكر، كان كأنه مدينة، فكان فيه من البرابط
والطنابير والمزامير والخمر ما لا يحصى، وحقيق لعسكر فيه مثل ذلك أن ينهزم، وكانت
هذه الوقعة بنواحي أصفهان في شهر رجب.

دخول قحطبة نهاوند

قال: ولما قتل ابن ضبارة كان الحسن بن قحطبة يحاصر نهاوند، فكتب إليه أبوه بالخبر،
فلما قرأ كتابه كبر هو وجنوده ونادوا بقتله، فقال عاصم بن عمير السعدي: ما نادوا بقتله
إلا وهو حق، فاخرجوا إلى الحسن قبل أن يأتي أبوه أو يمده بمدد، فقالت الرجالة: تخرجون
وأنتم فرسان وتتركونا! فقال مالك بن أدهم: لا أبرح حتى يقدم قحطبة، وأقام قحطبة
بأصفهان عشرين يوماً ثم سار، فقدم على ابنه بنهاوند فحصرهم ثلاثة أشهر آخرها شوال،
ونصب عليهم المجانيق، وأرسل إلى من بنهاوند من أهل خراسان يدعوهم إليه، وبذل لهم
الأمان فأبوا ذلك، فأرسل إلى من بها من أهل الشام بمثل ذلك فأجابوه، وقبلوا أمانه وبعثوا

إليه أن يشغل عنهم أهل البلد بالقتال، ليفتحوا له الباب ففعل ذلك، ففتح أهل الشام الباب
الذي يليهم وخرجوا، فلما رأى أهل البلد ذلك سألوهم عن سبب خروجهم، فقالوا: أخذنا
لنا ولكم الأمان، فخرج رؤساء خراسان، فدفع قحطبة كل رجل منهم إلى قائد من قواده،
ثم أمر فنودي: من كان بيده أسير فليضرب عنقه وليأت برأسه، ففعلوا ذلك، فلم يبق أحد
ممن كان قد هرب من أبي مسلم إلا قتل، إلا أهل الشام فإنه وفى لهم وخلى سبيلهم، وأخذ
عليهم الأيمان والعهود. قال: ولما حاصر قحطبة نهاوند أرسل ابنه إلى مرج القلعة، فقدم
الحسن خازم بن خزيمة إلى حلوان، وعليها عبد الله بن العلاء الكندي، فهرب من
حلوان.

فتح شهرزور

قال: ثم وجه قحطبة أبا عون عبد الملك بن يزيد الخراساني ومالك بن طواف في أربعة
آلاف إلى شهرزور، وبها عثمان بن سفيان على مقدمة عبد الله بن مروان بن محمد، فنزلوا
على فرسخين من شهرزور، في العشرين من ذي الحجة، وقاتلوا عثمان بعد يوم وليلة من
نزولهم، فانهزم أصحاب عثمان وقتل، وأقام أبو عون في بلاد الموصل وقيل إن عثمان لم يقتل
ولكنه هرب إلى عبد الله بن مروان، وغنم أبو عون عسكره، وقتل من أصحابه مقتلة
عظيمة، وسير قحطبة العساكر إلى أبي عون، فاجتمع معه ثلاثون ألفاً، ولما بلغ مروان خبر
أبي عون - بحران - سار منها بجنود الشام والجزيرة والموصل وبني أمية، وأقبل نحو أبي
عون حتى نزل الزاب الأكبر، وقام أبو عون بشهرزور بقية ذي الحجة والمحرم سنة اثنتين
وثلاثين ومائة، وفرض بها لخمسة آلاف.

ودخلت سنة اثنتين وثلاثين ومائة

ذكر مسير قحطبة لقتال ابن هبيرة بالعراق وهلاك قحطبة وهزيمة ابن هبيرة

قال: ولما قدم داود بن يزيد بن عمر بن هبيرة على أبيه منهزماً، خرج يزيد نحو قحطبة في
عدد كثير لا يحصى، ومعه حوثرة بن سهيل الباهلي، وكان مروان قد أمده به، فسار ابن
هبيرة حتى نزل جلولاء، واحتفر الخندق الذي كان العجم احتفرته أيام وقعة جلولاء وأقام

به، وأقبل قحطبة حتى نزل عكبراء، ودخل دجلة ومضى حتى نزل ما دون الأنبار، وأرسل
طائفة من أصحابه إلى الأنبار وغيرها، وأمرهم بإحدار ما فيها من السفن إلى دمما ليعبر
الفرات، فحملوا إليه كل سفينة هناك، فقطع الفرات إلى غريبة، وذلك لثمان مضين من
المحرم، وارتحل ابن هبيرة منصرفاً مبادراً إلى الكوفة، فعبر دجلة من المدائن، واستعمل على
مقدمته حوثرة وأمره بالمسير إلى الكوفة، والفريقان يسيرون على جانبي الفرات، فقال
قحطبة: إن الإمام أخبرني أن لي بهذا المكان وقعة، يكون النصر لنا، واستدل على مخاضة
فعبر منها، وقاتل حوثرة ومحمد بن نباتة فانهزم أهل الشام، وفقد قحطبة فقال أصحابه: من
كان عنده علم من قحطبة فليخبرنا به، فقال مقاتل بن مالك العكي: سمعت قحطبة يقول:
إن حدث بي حدث فالحسن ابني أمير الناس، فبايع الناس حميد بن قحطبة لأخيه الحسن،
وكان أبوه قد سيره في سرية، فأرسلوا إليه فأحضروه وسلموا الأمر إليه، وكشفوا عن
قحطبة فوجدوه في جدول وحرب بن سلم قتيلين، فظنوا أن كل واحد منهما قتل الآخر،
وقيل إن معن بن زائدة ضرب قحطبة، لما عبر الفرات على حبل عاتقه فسقط في الماء،
فقال: شدوا يدي إذا أنا مت وألقوني في الماء، لئلا يعلم الناس بقتلي، وقاتل أهل خراسان
فانهزم محمد بن نباتة وأهل الشام، ومات قحطبة وقال قبل موته: إذا قدمتم الكوفة فوزير آل
محمد أبو سلمة الخلال، فسلموا هذا الأمر إليه، وقيل بل غرق قحطبة. ولما انهزم ابن نباتة
وحوثرة لحقا بابن هبيرة فانهزم لهزيمتهم، ولحقوا بواسط وتركوا عسكرهم وما فيه من
الأموال والسلاح وغير ذلك، فأمر الحسن بن قحطبة بجمع ذلك فجمع وغنموه.

خروج محمد القسري مسوّدا

في هذه السنة خرج محمد بن خالد بن عبد الله القسري بالكوفة وسوّد قبل أن يدخلها
الحسن بن قحطبة، وأخرج عامل ابن هبيرة، وكان خروجه ليلة عاشوراء سنة اثنتين
وثلاثين ومائة، وكان على الكوفة يوم ذاك زياد بن صالح الحارثي، فسار محمد إلى القصر

ودخله، وارتحل زياد ومن معه من أهل الشام، وسمع حوثرة الخبر فسار نحو الكوفة، فتفرق
عن محمد عامة من معه، فأرسل أبو سلمة الخلال إليه يأمره بالخروج من القصر، خوفاً عليه
من حوثرة، هذا ولم يبلغ أحداً من الفريقين بهلاك قحطبة، فأبى محمد أن يخرج وبلغ حوثرة
تفرق أصحاب محمد عنه فتهيأ لقصده، فبينما محمد في القصر إذ أتاه بعض طلائعه، فقال
له: قد جاءت خيل من أهل الشام، فوجه إليهم عدة من مواليه، فناداهم الشاميون: نحن
جئنا لندخل في طاعة الأمير، ودخلوا وفيهم مليح بن خالد البجلي، ثم جاءه جهم بن
الأصبح الكناني في خيل أعظم من تلك، ثم جاءت خيل أعظم منها مع رجل من آل
بحدل، فلما رأى حوثرة ذلك من صنع أصحابه ارتحل نحو واسط، وكتب محمد بن خالد
إلى قحطبة يعلمه أنه قد ظفر بالكوفة، فقدم القاصد على الحسن بن قحطبة، فقرأ الكتاب
على الناس وارتحل نحو الكوفة، فوصلها يوم الاثنين، وقد قيل إن الحسن بن قحطبة أقبل
نحو الكوفة، بعد هزيمة ابن هبيرة وعليها عبد الرحمن بن بشير العجلي فهرب منها، فسود
محمد بن خالد، وخرج في أحد عشر رجلاً وبايع الناس، ودخلها الحسن من الغد ولما دخل
الحسن وأصحابه الكوفة أتوا أبا سلمة الخلال وهو في بني سلمة، فاستخرجوه وكان مختفياً،
فعسكر بالنخيلة يومين ثم ارتحل إلى حمام أعين، ووجه الحسن بن قحطبة إلى واسط لقتال
ابن هبيرة، وبايع أبا سلمة الناس وكان يقال وزير آل محمد، وهو أبو سلمة حفص بن
سليمان مولى السبيع، واستعمل محمد بن خالد على الكوفة، ووجه حميد بن قحطبة إلى
المدائن في جماعة من القواد، وبعث المسيب بن زهير وخالد بن برمك إلى ديرقنى، وبعث
المهلبي وشرحبيل إلى عين التمر، وبعث بسام بن إبراهيم بن بسام إلى الأهواز وبها عبد
الواحد بن عمر بن هبيرة، فقاتله وأخرجه منها فالتحق عبد الواحد بالبصرة، وبعث إلى
البصرة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب عاملاً عليها وعليها سلم، وقد لحق به عبد
الواحد فأرسل سفيان إليه، يأمره بالتحول من دار الإمارة فأبى، وقاتل ونادى من جاء برأس

فله خمسمائة ومن جاء بأسير فله ألف درهم، فقتل معاوية وأتى برأسه إلى سلم فأعطى
قاتله عشرة آلاف، وانكسر سفيان لقتل ابنه فانهزم وذلك في صفر.
مقتل إبراهيم
بن محمد الإمام
وكان مقتله في سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وسبب ذلك أن مروان بن محمد أرسل للقبض
عليه بالحميمية، ووصف للرسول صفة أبي العباس السفاح، لأنه كان يجد في الكتب: أن
من هذه صفته يقتلهم ويسلبهم ملكهم، وسمى لرسوله إبراهيم بن محمد، فقدم الرسول فأخذ
أبا العباس بالصفة، فلما ظهر إبراهيم وأمن قيل للرسول إنما أمرت بإبراهيم وهذا عبد الله،
فترك أبا العباس وأخذ إبراهيم، وانطلق به إلى مروان، فلما أتاه به قال: ليس هذه الصفة
التي وصفت لك، فقال رسله قد رأينا الصفة وإنما سميت إبراهيم، وهذا إبراهيم فحبسه
بحران، وأعاد الرسل في طلب أبي العباس فلم يظفروا به، وكان قد توجه إلى الكوفة على
ما نذكره إن شاء الله تعالى. وقد اختلف في قتل إبراهيم، فقيل إن مروان لما حبسه حبس
سعيد بن هشام بن عبد الملك وابنيه عثمان ومروان، وعبد الله بن عمر بن عبد العزيز،
والعباس بن الوليد بن بعد الملك، وأبا محمد السفياني، فهلك إبراهيم في السجن في وباء
وقع بحران، وهلك العباس بن الوليد، وعبد الله بن عمر، فلما كان قبل هزيمة مروان من
الزاب بجمعة خرج سعيد بن هشام ومن معه، وقتلوا صاحب السجن فقتلهم أهل حران،
وتخلف أبو محمد بالسجن فلم يخرج فيمن خرج هو وغيره، فلما قدم مروان من الزاب خلى
عنهم. وقيل إن مروان هدم على إبراهيم بيتاً فقتله. وقيل بل جعل رأسه في جراب مملوء
نورة فمات، وقيل إن شراحيل بن مسلمة بن عبد الملك كان محبوساً مع إبراهيم، فكانا
يتزاوران وصار بينهما مودة، فأتى رسول من عند شراحيل إلى إبراهيم يوماً بلبن، فقال:
يقول لك أخوك إني شربت من هذا اللبن فاستطبته، فأحببت أن تشرب منه، فشرب منه
فشكى من ساعته، وكان يوماً يزور فيه شراحيل فأبطأ عليه، فأرسل إليه شراحيل: إنك

قد أبطأت فما حبسك عني؟ فأعاد عليه إني لما شربت اللبن الذي بعثت به إلي
فاشتكيت، فأتاه شراحيل - وحلف بالله أنه ما شرب لبناً في يومه، ولا بعث به إليك
واسترجع، وقال: احتيل والله عليك، فبات إبراهيم ليلته وأصبح ميتاً. وكان إبراهيم
خيراً فاضلاً كريماً، قدم المدينة مرة ففرق في أهلها مالاً جليلاً، فنال بعضهم منه ألف دينار
- وخمسمائة دينار - وأربعمائة دينار، وكانت هذه عطاياه وهباته. وكان مولده في سنة
اثنتين وثمانين، وأمه أم ولد بربرية اسمها سلمى.
قال: ولما قبض على إبراهيم بالحميمية نعى نفسه إلى أهل بيته، وأمرهم بالمسير إلى الكوفة
مع أخيه أبي العباس عبد الله بن محمد - وهو السفاح، وأوصاهم بالسمع والطاعة له،
وأوصاه وجعله الخليفة من بعده وودعهم، وسار فهلك على ما ذكرنا، وكان من أمر أبي
العباس ما نذكره إن شاء الله تعالى.
ذكر ابتداء الدولة العباسية وانقضاء الدولة الأموية
بيعة أبي العباس
عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس عم رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وهو ابن الحارثية الذي نص عليه هاشم محمد بن الحنفية، لما فوض أمر الشيعة إلى والده،
ووعدهم أنه صاحب الأمر، وكان ذلك قبل مولد أبي العباس على ما قدمنا، وأمه ريطة
بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان الحارثي، بويع له بالخلافة يوم الجمعة لثلاث
عشرة خلت من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة، وذلك أنه لما قبض على أخيه
إبراهيم بن محمد الإمام عهد إليه كما ذكرناه، وأمره بالمسير إلى الكوفة، سار من الحميمية
ومعه أهل بيته وأخوه أبو جعفر المنصور، وعبد الوهاب ومحمد ابنا أخيه إبراهيم،
وعمومته داود، وعيسى، وصالح، وإسماعيل وعبد الله وعبد الصمد - بنو علي بن عبد
الله بن عباس، وموسى ابن عمه داود، وابن أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي،
ويحيى بن جعفر بن تمام بن العباس، فقدموا الكوفة في صفر من هذه السنة، وشيعتهم من
أهل خراسان بظاهر الكوفة بحمام أعين، فأنزلهم أبو سلمة الخلال دار الوليد بن سعد مولى

بني هاشم في بني أود، وكتم أمرهم من جميع القواد نحو أربعين ليلة، وأراد فيما ذكر أن
يحول الأمر إلى آل طالب، لما بلغه موت إبراهيم الإمام، فكان أبو الجهم يقول له: ما فعل
الإمام، فيقول لم يقدم بعد، وكان أبو سلمة إذا سئل عن الإمام يقول: لا تعجلوا، فلم يزل هذا
دأبه حتى دخل أبو حميد محمد بن إبراهيم الحميري من حمام أعين يريد الكناسة، فلقي
خادماً لإبراهيم الإمام يقال له سابق الخوارزمي فعرفه، فقال له ما فعل إبراهيم؟ فأخبره أن
مروان قتله، وأنه أوصى إلى أخيه أبي العباس من بعده، وأنه قدم الكوفة ومعه عامة أهل
بيته، فسأله أبو حميد أن ينطلق به إليهم فقال له سابق: الوعد بيني وبينك غداً في هذا
الموضع، وكره سابق أن يأتيهم به إلا بإذنهم، فرجع أبو حميد إلى أبي الجهم وأخبره، وهو في
عسكر أبي سلمة، فأمره أن يتلطف للقائهم، فرجع أبو حميد إلى موضع ميعاد سابق، فلقيه
وانطلق به إليهم، فلما دخل سأل من الخليفة منهم؟ فقال له داود بن علي: هذا إمامكم
وخليفتكم، وأشار إلى أبي العباس، فسلم عليه بالخلافة وقبل يديه ورجليه وعزاه
بإبراهيم، وقال: مرنا بأمرك، ثم رجع وصحبه إبراهيم بن سلمة - رجل كان يخدم بني
العباس - إلى أبي الجهم، فأخبره عن منزلتهم وأن الإمام بعثه إلى أبي سلمة، يسأله مائة
دينار يعطيها أجرة الجمال التي حملتهم، فلم يبعث بها إليهم، فمشى أبو الجهم وأبو حميد
وإبراهيم بن سلمة إلى موسى بن كعب، وقصوا عليه القصة، وبعثوا إلى الإمام بمائتي دينار
مع إبراهيم بن سلمة، واتفق رأي القواد أن يلقوا الإمام، فمضى موسى بن كعب وأبو الجهم
وغيرهم من القواد إلى أبي العباس، وبلغ ذلك أبا سلمة فسأل عنهم، فقيل له إنهم دخلوا
الكوفة لحاجة لهم، وأتى القوم إليهم فقالوا: أيكم عبد الله بن محمد بن الحارثية ؟ فقالوا:
هذا - فسلموا عليه بالخلافة وعزوه بإبراهيم، ورجع موسى بن كعب وأبو الجهم، وأمر أبو
الجهم بقية القواد فتخلفوا عند الإمام، فأرسل أبو سلمة إلى أبي الجهم: أين كنت؟ قال:
ركبت إلى إمامي، فركب أبو سلمة إلى الإمام، فأرسل أبو الجهم إلى أبي حميد: أن أبا سلمة

قد أتاكم، فلا يدخلن على الإمام إلا وحده، فلما انتهى إليهم أدخلوه وحده ومنعوا حفدته
من الدخول، فسلم بالخلافة، فقال له رجل منهم: على رغم أنفك يا ماص بظر أمه، فنهاه أبو
العباس وأمر أبا سلمة بالعود إلى معسكره فعاد، وأصبح الناس يوم الجمعة لاثنتي عشرة ليلة
خلت من شهر ربيع الأول فلبسوا السلاح، واصطفوا لخروج أبي العباس، وأتوه بالدواب،
فركب برذوناً أبلق، وركب معه أهل بيته فدخلوا دار الإمارة، ثم خرج إلى المسجد فخطب
وصلى بالناس، ثم صعد المنبر ثانية فقام في أعلاه، وصعد عمه داود فقام دونه، فتكلم أبو
العباس فقال:
الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه، فكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا، وأيده بنا
وجعلنا أهله وكهفه وحصنه، والقوام به والذابين عنه والناصرين له، وألزمنا كلمة التقوى
وجعلنا أحق بها وأهلها، وخصنا برحم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرابته، وأنشأنا
من آبائه، وأنبتنا من شجرته، واشتقنا من نبعته، جعله من أنفسنا عزيزاً عليه ما عنتنا،
حريصاً علينا بالمؤمنين رءوفاً رحيماً، ووضعنا من الإسلام وأهله بالموضع الرفيع، وأنزل
بذلك كتاباً على أهل الإيمان يتلى عليهم فقال تبارك وتعالى فيما أنزل في محكم كتابه: "إنما
يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً" وقال تعالى: "قل لا أسألكم
عليه أجراً إلا المودة في القربى" وقال: "وأنذر عشيرتك الأقربين" وقال: "ما أفاء الله على
رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى" وقال: "واعلموا أنما غنمتم من
شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى" فأعلمهم جل ثناؤه فضلنا، وأوجب
حقنا ومودتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا، تكرمة لنا وفضلاً علينا، والله ذو
الفضل العظيم، وزعمت السباية الضلال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا
فشاهت وجوههم، ثم ولم أيها الناس؟ وبنا هدى الله الناس بعد ضلالتهم، وبصرهم بعد
جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم، وأظهر بنا الحق وأدحض بنا الباطل، وأصلح بنا منهم ما

كان فاسداً، ورفع بنا الخسيسة، وتمم بنا النقيصة، وجمع الفرقة، حتى عاد الناس بعد
العداوة أهل تعاطف وبر ومواساة في دينهم، وإخواناً على سرر متقابلين في آخرتهم، فتح الله
ذلك منة ومنحة لمحمد صلى الله عليه وسلم، فلما قبضه الله قام بالأمر من بعده أصحابه
شورى بينهم، فحووا مواريث الأمم فعدلوا فيها، ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها،
وخرجوا خماصاً منها، ثم وثب بنو حرب وبنو مروان فابتزوها وتداولوها، فجاروا فيها
واستأثروا بها وظلموا أهلها، فأملى الله لهم حيناً حتى آسفوه، فلما آسفوه انتقم منهم
بأيدينا، ورد علينا حقنا، وتدارك بنا أمتنا، وولى نصرنا والقيام بأمرنا، ليمن بنا على الذين
استضعفوا في الأرض، وختم بنا كما افتتح بنا، وإني لأرجو ألا يأتيكم الجور من حيث
جاءكم الخير، ولا الفساد من حيث جاءكم الصلاح، وما توفيقنا أهل البيت إلا بالله. يا
أهل الكوفة، أنتم أهل محبتنا، ومنزل مودتنا، أنتم الذين لم تتغيروا عن ذلك، ولم يثنكم عنه
تحامل أهل الجور عليكم، حتى أدرككم زماننا، وأتاكم الله بدولتنا، وأنتم أسعد الناس بنا
وأكرمهم علينا، وقد زدتكم في أعطياتكم مائة درهم، فاستعدوا فأنا السفاح المبيح، والثائر
المنيح.
وكان موعكاً فاشتد عليه الوعك، فجلس على المنبر وقام عمه داود على مراقي المنبر،
فقال:
الحمد لله شكراً الذي أهلك عدونا، وأصار إلينا ميراثنا من نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم. أيها الناس: الآن قد قشعت حنادس الدنيا، وانكشف غطاؤها وأشرقت أرضها
وسماؤها، وطلعت الشمس من مطالعها، وبزغ القمر من مبزغه، وأخذ القوس باريها، وعاد
السهم إلى منزعه، ورجع الحق إلى نصابه، في أهل بيت نبيكم أهل الرأفة والرحمة والعطف
عليكم.
أيها الناس: والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكنز لجينا، ولا عقيانا، ولا نحفر نهراً،
ولا نبني قصراً، وإنما أخرجتنا الأنفة من ابتزازهم حقنا، والغضب لبني عمنا، وما كرهنا

من أموركم، فلقد كانت أموركم ترمضنا، ونحن على فراشنا، وتشتد علينا سوء سيرة بني
أمية فيكم واستذلالهم لكم، واستئثارهم بفيئكم وصدقاتكم ومغانمكم عليكم، لكم ذمة
الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم، تباً تباً لبني حرب وبني أمية، آثروا
مدتهم العاجلة على الآجلة، والدار الفانية على الدار الباقية، فركبوا الآثام، وظلموا الأنام،
وانتهكوا المحارم، وغشوا الجرائم، وجاروا في سيرتهم في العباد وسنتهم في البلاد، ومرحوا
في أعنة المعاصي، وركضوا في ميدان الغي، جهلاً باستدراج الله، وأمناً لمكر الله فأتاهم
بأس الله بياتاً وهم نائمون. فأصبحوا أحاديث ومزقوا كل ممزق، فبعداً للقوم الظالمين، وأدالنا
الله من مروان وقد غره بالله الغرور، وأرسل لعدو الله في عنانه حتى عثر في فضل
خطامه. أظن عدو الله أن لن يقدر عليه. فنادى حزبه، وجمع مكايده. ورمى بكتائبه.
فوجد أمامه ووراءه. وعن يمينه وشماله. من مكر الله وبأسه ونقمته. ما أمات باطله.
ومحق ضلاله. وجعل دائرة السوء به. وأحيا شرفنا وعزنا. ورد إلينا حقنا وإرثنا.
أيها الناس: إن أمير المؤمنين - نصره الله نصراً عزيزاً - إنما عاد إلى المنبر بعد الصلاة، لأنه
كره أن يخلط بكلام الجمعة غيره، وإنما قطعه عن استتمام الكلام شدة الوعك، فادعوا الله
لأمير المؤمنين بالعافية، فقد أبدلكم الله بمروان، عدو الرحمن وخليفة الشيطان، المتبع
السفلة الذين أفسدوا في الأرض بعد صلاحها الشاب المكتهل المتمهل، المقتدي بسلفه
الأبرار الأخيار، الذين أصلحوا الأرض بعد إفسادها بمعالم الهدى ومناهج التقوى. فعج
الناس بالدعاء له ثم قال:
يا أهل الكوفة: إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا، حتى أتاح الله لنا شيعتنا
أهل خراسان، فأحيا بهم حقنا، وأفلج بهم حجتنا، وأظهر بهم دولتنا، فأراكم الله بهم ما
كنتم تنتظرون، وأظهر فيكم الخليفة من هاشم، وبيض به وجوهكم، وأدالكم على أهل
الشام، ونقل إليكم السلطان وعز الإسلام، ومن عليكم بإمام منحه العدالة، وأعطاه حسن

الإيالة، فخذوا ما أتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا، ولا تخدعوا عن أنفسكم، فإن الأمر
أمركم، وإن لكل أهل بيت مصراً، وإنكم مصرنا، ألا وإنه ما صعد منبركم هذا خليفة بعد
رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين عبد
الله بن محمد - وأشار بيده إلى أبي العباس -. واعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج
منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه وسلم، والحمد لله على ما أبلانا
وأولانا.
ثم نزلا، وداود أمامه حتى دخل القصر، وأجلس أخاه أبا جعفر المنصور يأخذ البيعة
على الناس في المسجد، فلم يزل يأخذها عليهم حتى صلى بهم العصر ثم المغرب وجنهم
الليل، وخرج أبو العباس فعسكر بحمام أعين في عسكر أبي سلمة، ونزل معه في حجرته
بينهما ستر، وحاجب السفاح يومئذ عبد الله بن بسام، واستخلف على الكوفة وأرضها
عمه داود بن علي، وبعث عمه عبد الله بن علي إلى أبي عون بن يزيد بشهرزور، وبعث
ابن أخيه عيسى بن موسى إلى الحسن بن قحطبة، وهو يومئذ يحاصر ابن هبيرة بواسط،
وبعث يحيى بن جعفر بن تمام بن عباس إلى حميد بن قحطبة بالمدائن، وبعث أبا اليقظان
عثمان بن عروة بن محمد بن عمار بن ياسر إلى بسام بن إبراهيم بن بسام بالأهواز، وبعث
سلمة بن عمرو بن عثمان إلى مالك بن الطواف. وأقام السفاح بالعسكر أشهراً، ثم ارتحل
فنزل المدينة الهاشمية بقصر الإمارة، وكان قد تنكر لأبي سلمة قبل تحوله حتى عرف ذلك
منه.

هزيمة مروان بالزاب

قد ذكرنا أن قحطبة أرسل أبا عون عبد الملك بن يزيد الأزدي إلى شهرزور، وأنه سار إلى
ناحية الموصل، وأن مروان سار من حران حتى بلغ الزاب وحفر خندقاً، وكان في عشرين
ومائة ألف، وسار أبو عون إلى الزاب، فوجه أبو سلمة إلى أبي عون عيينة بن موسى،
والمنهال بن فتان، وإسحاق بن طلحة، كل واحد في ثلاثة آلاف، فلما ظهر أبو العباس بعث

سلمة بن محمد في ألفين، وعبد الله الطائي في ألف وخمسمائة، وعبد الحميد ربعي الطائي في
ألفين، ووداس بن نضلة في خمسمائة - إلى أبي عون، ثم قال: من يسير إلى مروان من أهل
بيتي؟ قال عبد الله بن علي: أنا، فسيره إلى أبي عون فقدم عليه، فتحول أبو عون عن
سرادقه له، فلما كان لليلتين خلتا من شهر جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة سأل
عبد الله ابن علي عن مخاضة بالزاب فدل عليها، فأمر عيينة بن موسى فعبر في خمسة
آلاف، فانتهى إلى عسكر مروان فقاتلهم حتى أمسوا، ورجع إلى عبد الله، وأصبح مروان
فعقد جسراً وعبر النهر، وسير ابنه عبد الله فنزل أسفل من عسكر عبد الله، فبعث عبد
الله بن علي المخارق بن غفار في أربعة آلاف نحو عبد الله بن مروان، فبعث ابن مروان
إليه الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم فالتقيا، فانهزم أصحاب المخارق وثبت هو، فأسر
في جماعة وسيروهم إلى مروان، فأمر أن يؤتى برجل من الأسرى، فأتي بالمخارق، فقال له:
أنت المخارق، قال: لا بل أنا من عبيد أهل العسكر، قال: أفتعرف المخارق؟ قال: نعم،
قال: فانظر هل تراه في هذه الرؤوس؟ فنظر إلى رأس منها فقال: هذا هو المخارق، فخلى
سبيله، ولما بلغت الهزيمة عبد الله بن علي أرسل إلى طريق المنهزمين من يمنعهم من دخول
العسكر، وأشار عليه أبو عون أن يبادر مروان بالقتال، قبل أن يظهر أمر المخارق، فنادى في
الناس بلبس السلاح والخروج إلى الحرب فركبوا، وسار نحو مروان، وكان عسكره عشرين
ألفاً وقيل اثنا عشر ألفاً، فلما التقى العسكران قال مروان لعبد العزيز بن عمر بن عبد
العزيز: إن زالت الشمس اليوم ولم يقاتلونا كنا الذين ندفعها إلى عيسى بن مريم، فإن قاتلونا
قبل الزوال فإنا لله وإنا إليه راجعون، فأرسل مروان إلى عبد الله يسأله الموادعة، فقال عبد
الله: كذب، لا تزول الشمس حتى أوطئه الخيل إن شاء الله، ثم التقوا واقتتلوا فجعل عبد
الله بن علي يقول: يا رب حتى متى نقتل فيك!! ونادى: يا أهل خراسان، يا لثارات يا
لثارات إبراهيم واشتد القتال، فأمر مروان بالأموال فأخرجت، وقال للناس: اصبروا وقاتلوا

فهذه الأموال لكم، فجعل ناس يصيبون منها، فقيل له: إن الناس قد مالوا على المال، ولا
نأمنهم أن يذهبوا به، فأرسل إلى ابنه عبد الله أن يسير فيقتل من أخذ من المال شيئاً، فمال
عبد الله برايته وأصحابه، فقال الناس: الهزيمة، الهزيمة، فانهزموا وانهزم مروان وقطع الجسر،
وكان من غرق يومئذ أكثر ممن قتل، وكان ممن غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد المخلوع،
فاستخرجوه في الغرقى، فقرأ عبد الله: "وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون
وأنتم تنظرون"، وقيل بل قتله عبد الله بالشام، وحوى عبد الله عسكر مروان بما فيه،
فوجد سلاحاً كثيراً وأموالاً وكتب إلى السفاح بالفتح، فلما أتاه الكتاب أمر لكل من شهد
الوقعة بخمسمائة خمسمائة، ورفع أرزاقهم، وكانت هزيمة مروان بالزاب يوم السبت لإحدى
عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة من هذه السنة.

مقتل مروان بن محمد
ودخول أهل الشام وغيرهم في الطاعة

قال: ولما انهزم مروان أتى مدينة الموصل، وعليها هشام بن عمرو التغلبي وبشر بن خزيمة
الأسدي فقطعا الجسر، فناداهم أهل الشام: هذا أمير المؤمنين مروان، فقالوا: كذبتم، لا
يفر، وسبه أهل الموصل، وقالوا له: يا جعدي، يا معطل، الحمد لله الذي أزال سلطانكم،
وذهب بدولتكم، الحمد لله الذي أتانا بأهل بيت نبينا، فسار إلى حران فأقام بها نيفاً
وعشرين يوماً، وسار عبد الله حتى دخل الموصل فعزل هشاماً، واستعمل عليها محمد بن
صول، ثم سار في أثر مروان، فلما دنا منه حمل مروان أهله وعياله ومضى منهزماً، وخلف
بحران ابن أخيه إبان بن يزيد، فقدم عبد الله حران فلقيه إبان مسوداً مبايعاً، فبايعه وأمنه
هو ومن كان معه بحران والجزيرة، ومضى مروان إلى حمص فلقيه أهلها بالطاعة، وأقام يومين
أو ثلاثاً وسار، فلما رأوا قلة من معه طمعوا فيه، وقالوا: مرعوب منهزم فاتبعوه، والتقوا
فقاتلهم وهزمهم، وأتى مروان دمشق وعليها الوليد بن معاوية بن مروان، فحلفه بها ومضى
إلى فلسطين. قال: وكان السفاح قد كتب إلى عبد الله بن علي باتباع مروان، فسار من

حران بعد أن هدم الدار التي كان إبراهيم قد حبس بها، ووصل إلى منبج وقد سودوا
فأقام بها، وأتته بيعة أهل قنسرين، وقدم عليه أخوه عبد الصمد بن علي مدداً من قبل
السفاح في أربعة آلاف، فسار عبد الله إلى قنسرين ثم إلى حمص فبايع أهلها، وأقام بها
أياماً ثم سار إلى بعلبك فأقام بها يومين، ثم سار فنزل قرية مزة، ونزل أخوه صالح بن علي
مرج عذراء في ثمانية آلاف، وكان السفاح قد بثعه مدداً لعبد الله، ثم تقدم عبد الله فنزل
على الباب الشرقي، ونزل صالح على باب الجابية، وأبو عون على باب كيسان، وبسام بن
إبراهيم على الباب الصغير، وحميد بن قحطبة على باب توما، وعبد الصمد ويحيى بن
صفوان والعباس بن يزيد على باب الفراديس، وبدمشق يومئذ الوليد بن معاوية فحصروه بها
ودخلوها عنوة في يوم الأربعاء لخمس مضين من شهر رمضان منها، فقاتلوا فيها ثلاث
ساعات، وقتل الوليد بن معاوية فيمن قتل، وأقام عبد الله بدمشق خمسة عشر يوماً، ثم
سار يريد فلسطين فلقيه أهل الأردن وقد سودوا، فأقام بفلسطين، وأتاه كتاب السفاح يأمره
بإرسال صالح بن علي في طلب مروان، فسار صالح في ذي القعدة، ومعه ابن فتان، وعامر
بن إسماعيل الحارثي، وأبو عون - فبلغوا العريش، وأحرق مروان ما كان حوله من علف
وطعام وهرب إلى جهة مصر، وسار صالح فنزل النيل، ثم نزل الفسطاط، ثم سار ونزل
موضعاً يقال له ذات الساحل، وهرب مروان إلى الصعيد، وقدم صالح أبا عون، وعامر بن
إسماعيل الحارثي وشعبة بن كثير المازني - فساروا، فلقوا خيلاً لمروان فهزموهم وأسروا
منهم رجالاً، فسألوهم عن مروان فأخبروهم بمكانه على أن يؤمنوهم فأمنوهم، وساروا
فوجدوه نازلاً في كنيسة ببوصير فقاتلوه ليلاً، وكان أصحاب أبي عون قليلاً، فقال لهم عامر
بن إسماعيل: إن أصبحنا ورأوا قلتنا أهلكونا، فكسر جفن سيفه وفعل أصحابه مثله،
وحملوا على أصحاب مروان فانهزموا، وحمل رجل على مروان فطعنه وهو لا يعرفه
فصرعه، وصاح صالح جرح أمير المؤمنين فابتدروه، فسبق إليه رجل من أهل الكوفة -

كان يبيع الرمان - فاحتز رأسه، فأخذه عامر بن إسماعيل فبعث به إلى أبي عون، وبعثه
أبو عون إلى صالح، فلما وصل إليه أمر أن يقص ويقطع لسانه فأخذته هرة، فقال صالح: لو لم
ترنا الأيام من عجائبها إلا لسان مروان في فم هرة لكفانا،
وقيل: إن عبد الله بن علي هو
الذي قال هذا، قال: وسيره صالح إلى عبد الله فبعثه إلى السفاح، وكان قتله لليلتين من ذى
الحجة، ورجع صالح إلى الشام، وخلف أبا عون بمصر. ولما وصل الرأس إلى السفاح كان
بالكوفة، فلما رآه سجد ثم رفع رأسه، فقال: الحمد لله الذي أظهرني عليك، وأظفرني بك،
ولم يبق ثأري قبلك وقبل رهطك أعداء الدين، ثم تمثل:

لو يشربون دمي لم يرو شاربهم ولا دماؤهم للغيظ ترويني

قال: ولما قتل مروان قصد عامر الكنيسة التي فيها حرم مروان، وكان قد وكل بهن خادماً
له، وأمره أن يقتلهن بعده، فأخذه عامر وأخذهن، وهن نساء مروان وبناته، فسيرهن إلى
صالح بن علي، فلما دخلن عليه تكلمت ابنة مروان الكبرى فقالت: يا عم أمير المؤمنين،
حفظ الله لك من أمرك ما تحب حفظه، نحن بناتك وبنات أخيك وابن عمك، فليسعنا
من عفوك ما وسعكم من جورنا، قال: إذن لا أستبقي منكن واحدة، ألم يقتل أبوك ابن
أخي إبراهيم؟! ألم يقتل هشام بن عبد الملك زيد بن علي بن الحسين وصلبه في
الكوفة؟! ألم يقتل الوليد بن يزيد - يحيى بن زيد وصلبه بخراسان؟! ألم يقتل ابن زياد
الدعي مسلم بن عقيل؟! ألم يقتل يزيد بن معاوية - الحسين بن علي وأهل بيته؟! ألم يخرج
إليه بحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم سبايا فوقفهن موقف السبي؟! ألم يحمل إليه
رأس الحسين وقد فرغ دماغه؟! فما الذي يحملني على الإبقاء عليكن؟! قالت: فليسعنا
عفوكم، أما هذا فنعم، وإن أحببت زوجتك ابني الفضل، فقالت: بل تحملنا إلى حران،
فحملهن إليها.

من قتل من بني أمية
بعد مقتل مروان بن محمد

قال: دخل سديف مولى للسفاح عليه وعنده سليمان بن هشام بن عبد الملك وقد أكرمه
السفاح، فقال سديف:

لايغرنك ما ترى من رجال إن تحت الضلوع داءً دويا
فضع السيف وارفع السوط حتى لا ترى فوق ظهرها أمويا
فقال سليمان قتلتني يا شيخ ودخل السفاح، وأخذ سليمان فقتل، قال: ودخل شبل بن
عبد الله مولى بني هاشم على عبد الله بن علي وعنده من بني أمية نحو تسعين رجلاً على
الطعام، فأقبل عليه شبل فقال:
أصبح الملك ثابت الأساس بالبهاليل من بني العباس
طلبوا وتر هاشم فشفوها بعد ميل من الزمان وباس
لا تقيلن عبد شمس عثارا واقطعن كل رقلة وغراس
ذلها أظهر التودد منها وبها منكم كحر المواسي
فلقد غاظني وغاظ سوائي قربهم من نمارق وكراسي
أنزلوها بحيث أنزلها اللـ ـه بذات الهوان والإتعاس
واذكروا مصرع الحسين وزيداً وقتيلاً بجانب المهراس
والقتيل الذي بحران أضحى ثاوياً بين غربة وتناسي
فأمر بهم عبد الله فضربوا بالعمد حتى قتلوا، وبسط عليهم الأنطاع فأكل الطعام عليها،
وهو يسمع أنين بعضهم حتى ماتوا جميعاً، وأمر عبد الله بن علي بنبش قبور بني أمية
بدمشق، فنبش قبر معاوية بن أبي سفيان فلم يجدوا فيه إلا خيطاً مثل الهباء، ونبش قبر
يزيد بن معاوية فوجدوا فيه حطاماً كالرماد، ونبش قبر عبد الملك بن مروان فوجدوا فيه
جمجمة، وكان يوجد في القبر العضو بعد العضو، غير هشام بن عبد الملك فإنه وجد
صحيحاً، لم يبل منه إلا أرنبة أنفه، فضربه بالسياط ثم صلبه ثم حرقه وذراه في الريح، وتتبع
بني أمية من أولاد الخلفاء وغيرهم فأخذهم، فلم يفلت منهم إلا رضيع أو من هرب إلى
الأندلس، واستصفى مالهم من أموال وغيرها، فلما فرغ منهم قال:
بني أمية قد أفنيت جمعكم فكيف لي منكم بالأول الماضي
يطيب النفس إن النار تجمعكم عوضتم من لظاها شر معتاض
إن كان غيظي لفوت منكم فلقد رضيت منكم بما ربي به راض
وقيل إن سديفاً أفسد الشعر، الذي ذكرناه عنه للسفاح ومعه كانت الحادثة، وقتل سليمان
بن علي بن عبد الله بن العباس بالبصرة منهم جماعة، وألقاهم على الطريق فأكلتهم
الكلاب، فاختفى من قدر من بني أمية، وتشتت شملهم، وكان ممن اختفى منهم عمرو بن

معاوية بن عمرو بن سفيان بن عتبة بن أبي سفيان، قال: فكنت لا آتي مكاناً إلا عرفت
فيه، فضاقت علي الأرض فقصدت سليمان بن علي، وهو لا يعرفني، فقلت له: لفظتني
البلاد إليك، ودلني فضلك عليك، فإما قتلتني فاسترحت، وإما رددتني سالماً فأمنت، فقال
من أنت؟ فعرفته بنفسي فعرفني، فقال: مرحباً بك، حاجتك؟ فقلت: إن الحرم التي أنت
أولى الناس بهن، وأقربهم إليهن قد خفن لخوفنا، ومن خاف خيف عليه، فبكى كثيراً ثم
قال: بل يحقن الله دمك، ويوفر مالك، ويحفظ حرمك، ثم كتب إلى السفاح: يا أمير المؤمنين،
إنه قد وفد وافد بني أمية علينا، وإنا إنما قتلناهم على عقوقهم لا على أرحامهم، فإنا
يجمعنا وإياهم عبد مناف، فالرحم تبل ولا تفل، وترفع ولا توضع، فإن رأى أمير المؤمنين أن
يهبهم لي فليفعل، وإن فعل فليجعل كتاباً عاماً إلى البلدان، شكراً لله تعالى على نعمه عندنا
وإحسانه إلينا، فأجابه إلى ذلك. وكتب لهم أماناً، وكان هذا أول أمان بني أمية.
ذكر الخلاف على أبي العباس السفاح وأخبار من خالف وخلع
في هذه السنة: خلع حبيب بن مرة المري، ومعه أهل البثنية وحوران، وكان من قواد
مروان، فحمله الخوف على نفسه على الخلاف، فخرج إليه عبد الله بن علي وقاتله
دفعات، ثم صالحه عبد الله لما خلع أبو الورد.
ذكر خلع أبي الورد وأهل قنسرين ودمشق
وفيها خلع أبو الورد مجزأة بن الكوثر بن زفر بن الحارث الكلابي، وكان من أصحاب
مروان وقواده، وكان قد بايع عبد الله بن علي وأقام بقنسرين، وكان ولد مسلمة بن عبد
الملك مجاورين له ببالس والناعورة، فقدم قائد من قواد عبد الله إلى بالس، فبعث بولد
مسلمة ونسائهم، فشكى بعضهم ذلك إلى أبي الورد، فقتل ذلك القائد ومن معه وأظهر الخلع
لعبد الله، ودعا أهل قنسرين إلى ذلك فبيضوا بأجمعهم، والسفاح يومئذ بالحيرة وعبد الله
بن علي يقاتل حبيب بن مرة، فلما بلغ عبد الله ذلك صالح حبيب بن مرة وأمنه، وسار إلى
قنسرين للقاء أبي الورد، فمر بدمشق فخلف بها أبا غانم عبد الحميد بن ربعي الطائي في

أربعة آلاف، وكان بدمشق أهل عبد الله وأمهات أولاده وثقله، فلما قدم حمص انتقض أهل
دمشق وبيضوا، وقاموا مع عثمان بن عبد الأعلى بن سراقة الأزدي فلقوا أبا غانم ومن
معه فهزموه، وقتلوا من أصحابه مقتلة عظيمة، وانتهبوا ثقل عبد الله ولم يتعرضوا لأهله،
وأجمعوا على الخلاف، وسار عبد الله وكان قد اجتمع مع أبي الورد جماعة أهل قنسرين،
وكاتبوا من يليهم من أهل حمص وتدمر، فقدم منهم ألوف، وقدموا عليهم أبا محمد بن عبد
الله بن يزيد بن معاوية ودعوا إليه، وقالوا هو السفياني، واجتمعوا في نحو أربعين ألفاً
فعسكروا بمرج الأخرم، ودنا عبد الله منهم ووجه إليهم عبد الصمد بن علي في عشرة
آلاف، وكان أبو الورد هو المدبر لعسكر قنسرين وصاحب القتال، فناهضهم واقتتلوا وكثر
القتل بينهم فانكشف عبد الصمد، ولحق بأخيه عبد الله فأقبل عبد الله والتقوا بمرج
الأخرم، واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم أصحاب أبي الورد، وثبت هو في خمسمائة من قومه
فقتلوا جميعاً، وهرب أبو محمد ومن معه حتى لحقوا بتدمر، وأمن عبد الله أهل قنسرين
وسودوا، وبايعوه ودخلوا في طاعته، ثم انصرف راجعاً إلى دمشق، فلما دنا منها هرب
الناس بغير قتال، فأمن عبد الله أهلها ولم يؤاخذهم وبايعوه، وأما أبو محمد السفياني فتغيب
إلى أيام المنصور، ولحق بالحجاز، فكان كذلك إلى أن بلغ زياد بن عبد الله الحارثي عامل
المنصور مكانه، فبعث إليه خيلاً فقاتلوه فقتلوه. وقيل إن حرب أبي الورد كانت في سلخ
ذى الحجة سنة ثلاث وثلاثين.

أهل الجزيرة وخلعهم

قال: وفي هذه السنة بيض أهل الجزيرة وخلعوا السفاح، وساروا إلى حران وبها موسى بن
كعب في ثلاثة آلاف من جند السفاح فحاصروه بها، وليس على أهل الجزيرة رأس تجمعهم،
فقدم عليهم إسحاق بن مسلم العقيلي من أرمينية فاجتمع عليه أهل الجزيرة، وحاصر
موسى بن كعب نحواً من شهر، فوجه أبو العباس السفاح أخاه أبا جعفر فيمن كان معه من
الجنود بواسط محاصرين ابن هبيرة فساروا، واجتاز بقرقيسيا والرقة وقد بيض أهلها، فلما

انتهى إلى حران رحل إسحاق بن مسلم إلى الرها، وذلك في سنة ثلاث وثلاثين، وخرج
موسى بن كعب إليه، ووجه إسحاق بن مسلم أخاه بكار بن مسلم إلى جماعة ربيعة بدارا
وماردين، ورئيس ربيعة يومئذ رجل من الحرورية يقال له بريكة، فعمد إليهم أبو جعفر
فقاتلهم قتالاً شديداً، فقتل بريكة في المعركة، وانصرف بكار بن مسلم إلى أخيه بالرها
فخلفه إسحاق بها، وسار إلى سميساط فسار حتى نزل بإزاء إسحاق بها، وإسحاق
يومئذ في ستين ألفاً وبينهم الفرات، وأقبل أبو جعفر من الرها وحاصر إسحاق بسميساط
سبعة أشهر، وكان إسحاق يقول: في عنقي بيعة، فأنا لا أدعها حتى أعلم أن صاحبها مات
أو قتل، فلما تيقن قتله طلب الصلح والأمان، فكتبوا بينهم كتاباً بذلك، وخرج إسحاق إلى
أبي جعفر وكان عنده من آثر أصحابه، فاستقام أهل الجزيرة والشام، واستعمل أبو العباس
السفاح أبا جعفر على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان، فلم يزل عليها حتى استخلف.

قتل أبي سلمة الخلال

وسليمان بن كثير

قد ذكرنا ما كان من أمر أبي سلمة مع أبي العباس السفاح في مبتدأ الأمر، وما عامله به
عند مقدمه وتنكر السفاح له، فلما فارق العسكر ونزل المدينة الهاشمية كتب إلى أبي مسلم
الخراساني، يعلمه بخبره وما كان من أمره، فكتب إليه: إن كان أمير المؤمنين قد اطلع على
ذلك فليقتله، فلما قدم عليه كتابه قال داود بن علي: لا تفعل يا أمير المؤمنين فيحتج بها أبو
مسلم عليك، وأهل خراسان الذين معك أصحابه، ولكن اكتب إلى أبي مسلم أن يبعث
إليه من يقتله، فكتب إليه فبعث أبو مسلم مرار بن أنس الضبي ليقتله، فقدم على السفاح
وأعلمه، فأمر السفاح منادياً فنادى: إن أمير المؤمنين قد رضي على أبي سلمة، ودعاه
فكساه، ثم دخل بعد ذلك عليه في ليلة فلم يزل عنده حتى ذهب عامة الليل، وانصرف إلى
منزله وحده فقتله مرار بن أنس، وقالوا قتله الخوارج، ثم أخرج من الغد فصلى عليه يحيى
بن محمد أخو السفاح، ودفن بالمدينة الهاشمية فقال سليمان بن المهاجر البجلي فيه:

إن الوزير وزير آل محمد أودى فمن يشناك صار وزيرا
وكان يقال لأبي سلمة وزير آل محمد، ولأبي مسلم أمين آل محمد، قال: فلما قتل وجه
السفاح أخاه أبا جعفر إلى أبي مسلم، فلما قدم سايره عبيد الله بن الحسن الأعرج
وسليمان بن كثير، فقال سليمان لأبي جعفر: يا هذا إنا كنا نرجو أن يتم أمركم، فإذا شئتم
فادعونا إلى ما تريدون، فظن عبيد الله أنه دسيس من أبي مسلم، فأتى إلى أبي مسلم
وأخبره بمقالة سليمان، فأحضر أبو مسلم سليمان بن كثير وقال له: أتحفظ قول الإمام - من
اتهمته فاقتله - قال: نعم، قال فإني قد اتهمتك، قال: أنشدك الله!! قال لا تناشدني فأنت
منطو على غش الإمام، وأمر به فضربت عنقه، ورجع أبو جعفر إلى السفاح فقال له: لست
خليفة ولا أمرك بشيء إن تركت أبا مسلم ولم تقتله، وقال: وكيف؟ قال: والله ما يصنع إلا
ما أراد، قال السفاح: فاكتمها.
ووجه أبو مسلم الخراساني محمد بن الأشعث على فارس، وأمره أن يقتل عمال أبي سلمة
ففعل ذلك، فوجه السفاح عمه عيسى بن علي على فارس وعليها محمد بن الأشعث،
فأراد محمد قتل عيسى فقيل له: إن هذا لا يسوغ لك، فقال: بلى، أمرني أبو مسلم أن لا
يقدم علي أحد يدعي الولاية من غيره إلا قتلته، ثم ترك عيسى خوفاً من عاقبة قتله،
واستحلف عيسى الأيمان المغلظة: أن لا يعلو منبراً، ولا يتقلد سيفاً إلا في جهاد، فلم يل
عيسى بعدها ولاية، ولا تقلد سيفاً إلا في غزوة، ثم وجه السفاح بعد ذلك إسماعيل بن
علي والياً على فارس.

أخبار ابن هبيرة

وما كان من أمره

قد ذكرنا أنه كان قد تحصن بواسط، وأرسل أبو سلمة الحسن بن قحطبة لحصاره فحصره
بواسط، وكانت بينهم وقعات أكثرها على ابن هبيرة، فلما ظهر السفاح بعث أخاه أبا
جعفر، لقتال ابن هبيرة بعد رجوعه من خراسان، وكتب إلى الحسن: إن العسكر
عسكرك، والقواد قوادك، ولكن أحببت أن يكون أخي حاضراً فاسمع له وأطع، وأحسن

مؤازرته، وكتب إلى مالك بن الهيثم بمثل ذلك، فلما قدم تحول الحسن عن خيمته وأنزله
فيها، ودام حصاره لابن هبيرة بواسط أحد عشر شهراً، اقتتلوا فيها عدة وقعات، فلما
بلغهم مقتل مروان طلبوا الصلح، وكان ابن هبيرة أراد أن يدعو إلى محمد بن عبد الله بن
الحسن بن الحسن بن علي، فكتب إليه فأبطأ جوابه، وكاتب السفاح اليمانية من أصحاب
ابن هبيرة وأطمعهم، فخرج إليه زياد بن صالح وزياد بن عبيد الله الحارثيان، ووعدا ابن
هبيرة أن يصلحا له ناحية السفاح فلم يفعلا، وخرجت السفراء بين أبي جعفر وابن هبيرة،
حتى جعل له أماناً وكتب له كتاباً، مكث ابن هبيرة يشاور العلماء فيه أربعين يوماً حتى
رضيه، وأمر السفاح بإمضائه، وكان رأي أبي جعفر الوفاء له بما أعطاه، وكان السفاح لا
يقطع أمراً دون أبي مسلم، فكتب السفاح إليه بخبر ابن هبيرة، فكتب أبو مسلم إليه: إن
الطريق السهل إذا ألقيت فيه الحجارة فسد، لا والله لا يصلح طريق فيه ابن هبيرة.
قال: ولما تم الكتاب خرج ابن هبيرة إلى أبي جعفر في ألف وثلاثمائة، وأراد أن يدخل على
دابته، فقام إليه الحاجب سلام بن سليم فقال: مرحباً يا أبا خالد، انزل راشداً فنزل، وقد
أطاف بحجرة المنصور عشرة آلاف من أهل خراسان، فأدخل ابن هبيرة وحده فحادثه
ساعة، ثم مكث يأتيه يوماً ويتركه يوماً، وكان يأتيه في خمسمائة فارس وثلاثمائة، فقيل لأبي
جعفر: إن ابن هبيرة ليأتي فيتضعضع له العسكر، فأنقص من سلطانه شيئاً، فأمره أبو
جعفر ألا يأتي إلا في حاشيته، فكان يأتي في ثلاثين ثم صار يأتي ثلاثة أو أربعة، وألح
السفاح على أبي جعفر بقتل ابن هبيرة وهو يراجعه، حتى كتب له: والله لتقتلنه أو لأرسلن
إليه من يخرجه من حجرتك ويتولى قتله، فبعث أبو جعفر من ختم بيوت الأموال، ثم بعث
إلى وجوه من مع ابن هبيرة فأحضرهم، فأقبل محمد بن نباتة، وحوثرة بن سهيل في اثنين
وعشرين رجلاً، فأدخل الحاجب حوثرة وابن نباتة فنزعت سيوفهما وكتفا، واستدعى أبو
جعفر رجلين رجلين ففعل بهما كذلك، فقال بعضهم: أعطيتمونا عهد الله وغدرتم، إنا لنرجو

أن يدرككم الله، وبعث خازم بن خزيمة والهيثم بن شعبة في مائة إلى ابن هبيرة، فقالوا:
نريد حمل المال، فقال لحاجبه دلهم على الخزائن ففعل، فأقاموا عند كل بيت نفراً، وأقبلوا
نحوه وعنده ابنه داود وعدة من مواليه وبني له صغير في حجره، فقام حاجبه في وجوههم
فضربه الهيثم على حبل عاتقه فصرعه، وقاتل ابنه داود فقتل، وقتل مواليه، ونحى ابنه من
حجره وقال: دونكم وهذا الصبي وخر ساجداً فقتل، وحملت رءوسهم إلى أبي جعفر،
فأمر فنودي بالأمان للناس إلا الحكم بن عبد الملك وخالد بن سلمة المخزومي، فهرب
الحكم وأمن أبو جعفر خالداً فقتله السفاح، ولم يجز أمان أبي جعفر.

ولاية يحيى
بن محمد الموصل ومن قتله بها

وفي هذه السنة استعمل السفاح أخاه يحيى على الموصل، وسبب ذلك أن أهل الموصل
امتنعوا من طاعة عاملهم محمد بن صول، وقالوا: لا يلي علينا مولى لخثعم، وأخرجوه
عنهم، فكتب بذلك إلى السفاح، فاستعمل عليهم أخاه يحيى وسيره إليها في اثني عشر ألفاً،
فنزل قصر الإمارة ولم يظهر لهم ما يكرهونه ولا عارضهم في أمر، ثم دعاهم فقتل منهم اثني
عشر رجلاً، فنفر أهل البلد وحملوا السلاح فأعطاهم الأمان، وأمر فنودي من دخل الجامع
فهو آمن، فأتاه الناس يهرعون، فأقام يحيى الرجال على أبواب الجامع فقتلوا الناس قتلاً
ذريعاً، أسرفوا فيه فقيل إنه قتل عشرين ألفاً ممن له خاتم، ومن ليس له خاتم ما شاء الله،
فلما كان الليل سمع يحيى صراخ النساء يبكين رجالهن، فقال: إذا كان الغد فاقتلوا النساء
والصبيان، فقتلوا منهم ثلاثة أيام، وكان في عسكره قائد معه أربعة آلاف زنجي، فأخذوا
النساء قهراً، فلما فرغ يحيى من قتل أهل الموصل ركب في اليوم الرابع، وبين يديه الحراب
والسيوف مصلته، فاعترضته امرأة وأخذت بعنان دابته، فأراد أصحابه قتلها فنهاهم،
فقالت له: ألست من بني هاشم؟! ألست من بني عم رسول الله؟! أما تأنف للعربيات
المسلمات أن ينكحهن الزنج؟!! فأمسك عن جوابها وبعث معها من أبلغها مأمنها، فلما

كان الغد جمع الزنج للعطاء فاجتمعوا، فأمر بهم فقتلوا عن آخرهم. وقيل: كان السبب في
قتل أهل الموصل ما ظهر منهم من كراهية بني العباس، وأن امرأة غسلت رأسها وألقت
الخطمي من السطح، فوقع على رأس بعض الخراسانية فظنها فعلت ذلك تعمداً، فاقتحم
الدار وقتل أهلها، فثار أهل البلد وقتلوه وثارت الفتنة، وممن قتل معروف بن أبي معروف،
وكان من الزهاد العباد قد أدرك كثيراً من الصحابة رضي الله عنهم وروى عنهم.

عمال السفاح

في هذه السنة كان العامل على مكة والمدينة واليمن واليمامة داود بن علي عم السفاح،
وكان قبل ذلك على الكوفة وسوادها فنقله واستعمل على الكوفة وسوادها ابن أخيه
عيسى بن موسى، واستقضى على الكوفة ابن أبي ليلى، وكان العامل على البصرة سفيان
بن معاوية المهلبي، وعلى قضائها الحجاج بن أرطاة، وعلى السند منصور بن جمهور، وعلى
فارس محمد بن الأشعث، وعلى الجزيرة وأرمينية وأذربيجان أبا جعفر عبد الله بن محمد
بن علي، وعلى الشام عبد الله بن علي، وعلى مصر أبا عون عبد الملك بن يزيد، وعلى
الموصل يحيى بن محمد، وعلى خراسان والجبال أبا مسلم، وعلى ديوان الخراج خالد بن
برمك. وحج بالناس في هذه السنة داود بن علي.

ودخلت سنة ثلاث وثلاثين ومائة

دخول ملك الروم ملطية وقاليقلا

في هذه السنة أقبل قسطنطين ملك الروم إلى ملطية وكمخ، فنزل كمخ فاستنجد أهلها بأهل
ملطية فسار إليهم منها ثمانمائة مقاتل، فقاتلهم الروم فانهزم المسلمون، ونازل الروم ملطية
وحصروها، والجزيرة يومئذ مفتونة بما ذكرناه، وعاملها موسى بن كعب بحران، فأرسل
قسطنطين إلى أهل ملطية: إني لم أحصركم إلا على علم من اختلاف المسلمين، فلكم
الأمان وتعودون إلى بلاد المسلمين حتى أخرب ملطية، فلم يجيبوه، فنصب المجانيق فأذعنوا
وسلموا البلد بالأمان، وانتقلوا إلى بلاد الإسلام، فخربها الروم ورحلوا عنها، وسار ملك
الروم إلى قاليقلا فنزل مرج الخصي، وأرسل كوشان الأرمني فحصرها، فنقب أخوان من

الأرمن من أهل المدينة سورها، فدخل كوشان ومن معه البلد فغلبوا عليها، وقاتلوا الرجال
وسبوا النساء والذرية، وساق الغنائم إلى ملك الروم.
وفيها وجه السفاح عمه سليمان والياً على البصرة وأعمالها وكور دجلة والبحرين ومهرجا
نقذق واستعمل عمه إسماعيل بن علي على الأهواز. وفيها مات داود بن علي في شهر
ربيع الأول واستخلف ابنه موسى، فاستعمل السفاح على مكة والمدينة والطائف واليمامة
خاله زياد بن عبيد الله بن عبد المدان الحارثي، ووجه محمد بن يزيد بن عبد المدان
الحارثي على اليمن. وفيها توجه محمد بن الأشعث إلى أفريقية فقاتل أهلها حتى فتحها.
وفيها خرج شريك بن شيخ المهري ببخارى على أبي مسلم، ونقم عليه وقال: ما على
هذا اتبعنا آل محمد، نسفك الدماء ونعمل بغير الحق، وتبعه أكثر من ثلاثين ألفاً، ووجه إليه
أبو مسلم زياد بن صالح الخزاعي فقتله زياد.
وفيها عزل يحيى بن محمد عن الموصل واستعمل مكانه إسماعيل بن علي وفيها توجه أبو
داود خالد بن إبراهيم إلى الختل فتحصن ملكها منه هو وأناس، فألح عليه أبو داود فخرج
هو ومن معه من دهاقينه، فسار حتى انتهى إلى أرض فرغانة، ودخل بلد الترك وانتهى إلى
ملك الصين، وأخذ أبو داود من ظفر به منهم، فبعث بهم إلى أبي مسلم.
وحج بالناس في هذه السنة زياد بن عبيد الله.
ودخلت سنة أربع وثلاثين ومائة.
خلع بسام
بن إبراهيم وما كان من أمره وقتل أخوال السفاح
في هذه السنة خلع بسام بن إبراهيم، وكان من فرسان أهل خراسان، وسار من عسكر
السفاح هو وجماعة على رأيه سراً إلى المدائن، فوجه إليهم السفاح خازم بن خزيمة فاقتتلوا،
فانهزم بسام وقتل أكثر من معه واستبيح عسكرهم، وتبعهم خازم إلى أن بلغ ماه، ثم
انصرف فمر بذات المطامير، وبها أخوال السفاح من بني عبد المدان وهم خمسة وثلاثون
رجلاً، ومن غيرهم ثمانية عشر ومن مواليهم سبعة عشر، فلم يسلم عليهم فلما جاوزهم
شتموه، وكان في قلبه منهم، لأنه بلغه أن المغيرة بن الفزع من أصحاب بسام لجأ إليهم، فرجع

إليهم فسألهم عن المغيرة، فقالوا: مر بنا رجل مجتاز لا نعرفه، فأقام في قريتنا ليلة ثم خرج
منها، فقال لهم: أنتم أخوال أمير المؤمنين يأتيكم عدوه فيأمن في قريتكم!! فهلا اجتمعتم
فأخذتموه!! فأغلظوا له في الجواب فأمر بهم فضربت أعناقهم جميعاً، وهدم دورهم ونهب
أموالهم ثم انصرف، فبلغ ذلك اليمانية فاجتمعوا، ودخل زياد بن عبيد الله الحارثي معهم
على السفاح، فقالوا: إن خازماً اجترأ عليك واستخف بحقك، وقتل أخوالك الذين قطعوا
البلاد وأتوك، معتزين بك طالبين معروفك، حتى إذا صاروا في جوارك قتلهم خازم، ونهب
أموالهم وهدم دورهم بلا حدث أحدثوه، فهم بقتل خازم، فبلغ ذلك موسى بن كعب وأبا
الجهم بن عطية، فدخلا على السفاح وصرفوه عن ذلك، وقالا إن له سابقة وإن كنت لا بد
قاتله فابعثه لأمر، إن قتل فيه فقد بلغت الذي تريد، وإن ظفر كان ظفره لك، وأشاروا عليه
بتوجيهه إلى من بعمان من الخوارج، وإلى الخوارج الذين بجزيرة ابركاوان مع شيبان بن عبد
العزيز اليشكري، وأمر السفاح بتوجيهه مع سبعمائة رجل، وكتب إلى سليمان بن علي وهو
بالبصرة بحملهم في السفن إلى جزيرة ابراكاوان وعمان، فسار خازم.

خبر الخوارج وقتل شيبان بن عبد العزيز

قال: وسار خازم إلى البصرة وقد انتخب من أهله وعشيرته ومواليه ومن أهل مرو الروذ
من يثق به، ثم سار فلما وصل إلى البصرة انضم إليه عدة من بني تميم، فساروا في البحر
إلى جزيرة ابراكاوان، فوجه خازم نضلة بن نعيم النهشلي في خمسمائة إلى شيبان، فالتقوا
واقتتلوا قتالاً شديداً، فركب شيبان وأصحابه في السفن إلى عمان وهم صفرية، فقاتلهم
الجلندي وأصحابه وهم أباضية، واشتد القتال بينهم فقتل شيبان ومن معه، وقد ذكرنا في
سنة تسع وعشرين ومائة في أخبار مروان بن محمد قتل شيبان هذا، وليس هو شيبان
الذي قتل بخراسان، ذاك شيبان بن سلمة، ثم سار خازم في البحر بمن معه حتى أرسلوا
بساحل عمان، فخرجوا فلقيهم الجلندي وأصحابه، فاقتتلوا قتالاً شديداً وكثر القتل بينهم،

ثم اقتتلوا من الغد فقتل من الخوارج نحو تسعمائة، وأحرقوا منهم نحو تسعين رجلاً، ثم
التقوا بعد سبعة أيام من مقدم خازم، وجعلوا النفط على اسنة رماحهم، وأضرموا بيوت
أصحاب الجلندي وكانت من خشب فاحترقت، واشتغلوا بها وبمن فيها من أولادهم
وأموالهم، فحمل عليهم أصحاب خازم فقتل الجلندي، وبلغ عدة القتلى عشرة آلاف، فبعث
برءوسهم إلى البصرة ثم إلى السفاح، واستقدم خازماً بعد ذلك بشهر فقدم عليه.
وفيها وجه السفاح موسى بن كعب إلى السند لقتال منصور بن جمهور، فسار إليه والتقوا
فانهزم منصور ومن معه، فمات عطشاً في الرمال، وقيل أصابته بطنة فمات، وسمع خليفته
على السند بهزيمته فرحل بعيال منصور، فدخل بهم بلاد الخزر.
وفيها توفي محمد بن يزيد وهو على اليمن، فاستعمل السفاح مكانه على ابن الربيع بن عبيد
الله. وفيها تحول السفاح من الحيرة إلى الأنبار في ذى الحجة.
وفيها ضرب المنار والأميال
من الكوفة إلى مكة المشرفة. وحج بالناس عيسى بن موسى وهو على الكوفة.
ودخلت سنة خمس وثلاثين ومائة
خروج زياد بن صالح
في هذه السنة خرج زياد بن صالح وراء النهر، فسار إليه أبو مسلم من مرو، وبعث أبو
داود خالد بن إبراهيم - نصر بن راشد إلى ترمذ، مخافة أن يبعث زياد بن صالح إلى
الحصن والسفن فيأخذها، ففعل ذلك نصر وأقام بها، فخرج عليه ناس من الطالقان مع رجل
يكنى أبا إسحاق فقتلوا نصراً، فبعث أبو داود عيسى بن ماهان فقتل قتلة نصر، ومضى
أبو مسلم مسرعاً حتى انتهى إلى آمل ومعه سباع بن النعمان الأزدي، وكان السفاح قد
أرسله لقتال زياد بن صالح، وأمره إن رأى فرصة أن يثب على أبي مسلم ويقتله، فأخبر أبا
مسلم بذلك فحبس سباعاً بآمل، وغزا أبو مسلم حتى نزل بخارى، فأتاه عدة من قواد زياد
قد خلعوا زياداً، وأخبروا أبا مسلم أن سباع بن النعمان أفسد زياداً، فكتب إلى عامله
بآمل أن يقتله فقتله، ولجأ زياد إلى دهقان هناك فقتله، وحمل رأسه إلى أبي مسلم، فرجع

إلى مرو. وفيها غزا عبد الرحمن بن حبيب جزيرة صقلية فغنم ونهب وسبى بعد أن غزا
تلمسان. وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن علي.
ودخلت سنة ست وثلاثين ومائة
وفاة السفاح
في هذه السنة: توفي أبو العباس عبد الله بن محمد السفاح، وكانت وفاته بالأنبار بالمدينة
التي بناها وسماها الهاشمية، لثلاث عشرة ليلة خلت من ذى الحجة - وقيل لاثنتي عشرة
ليلة مضت منه - بمرض الجدري، وله ثلاث وثلاثون سنة، وقيل ست وثلاثون، وقيل ثمان
وعشرون، وكانت ولايته من لدن قتل مروان إلى أن توفي أربع سنين، ومن لدن بويع بالخلافة
أربع سنين وتسعة أشهر، وكان جعداً أبيض طويلاً، أقنى الأنف حسن الوجه واللحية،
وقيل إنه سم.
وحكى: أنه وصل عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بألفي ألف
درهم، ولم يعط خليفة هذه الجملة. وكان نقش خاتمه: الله ثقة عبد الله وبه يؤمن. أولاده:
محمد مات صغيراً ورايطة تزوجها المهدي. وزراؤه: أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال،
وهو أول من لقب بالوزارة، ولم يكن خلالاً وإنما كان منزله بالكوفة بقرب الخلالين، فكان
يجلس عندهم فسمى الخلال، ثم قتله على ما قدمناه واستوزر خالد بن برمك وقد قدمنا
أنه كان على الخراج. وكانت الدفاتر في الدواوين صحفاً مدرجة، فأول من جعلها دفاتر من
جلود خالد بن برمك. قضاته: ابن أبي ليلى الأنصاري ثم يحيى بن سعيد الأنصاري.
حاجبه: أبو غسان صالح بن الهيثم مولاه.
الأمير بمصر: صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، ثم سار عنها واستخلف أبا عون
عبد الملك بن يزيد، ثم عاد صالح بن علي وقد جمع له مصر وفلسطين وأفريقية، فسير أبا
عون إلى أفريقية. قاضيه بها عبد الرحمن بن سالم إلى أن صرفه أبو عون وأعاد حسين بن
نعيم، ثم اعتزل وولى أبو عون - عون بن سليمان.
قال: ولما مات السفاح صلى عليه عمه عيسى بن علي، ودفنه بالأنبار العتيقة. وخلف
تسع جباب وأربعة أقمصة وخمس سراويلات وأربعة طيالسة وثلاث مطارف خز.

قيل: نظر السفاح يوماً في المرآة فقال: اللهم إني لا أقول كما قال سليمان بن عبد الملك: أنا الملك الشاب، ولكني أقول: اللهم عمرني طويلاً في طاعتك، متمتعاً بالعافية، فما استتم كلامه حتى سمع غلاماً يقول لغلام: الأجل بيني وبينك شهران وخمسة أيام، فتطير من كلامه، وقال: حسبي الله ولا قوة إلا بالله عليه توكلت وبه أستعين. فما مضت الأيام حتى أخذته الحمى، ومات بعد شهرين وخمسة أيام.

خلافة المنصور

هو أبو جعفر عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، وأمه سلامة بنت بشر بن يزيد، وهو الثاني من خلفاء بني العباس. وكان أخوه السفاح قبل وفاته قد عقد البيعة له في هذه السنة، وجعله ولي عهد المسلمين من بعده، وجعل من بعده ولد أخيه عيسى بن موسى بن محمد بن علي، وجعل العهد في ثوب وختمه بخاتمه وخواتيم أهل بيته ودفعه إلى عيسى بن موسى، فلما توفي السفاح كان أبو جعفر بمكة، فأخذ البيعة له عيسى بن موسى، وكتب إلى أبي جعفر يعلمه بوفاة السفاح والبيعة له، فلقيه الرسول بمنزل صفية، فقال: صفت لنا إن شاء الله، وكتب إلى أبي مسلم يستدعيه، وكان قد حج أيضاً وقد تقدم المنصور فأقبل إليه، فلما جلس ألقى إليه الكتاب فقرأه وبكى واسترجع، ونظر إلى أبي جعفر وقد جزع جزعاً شديداً، فقال: ما هذا الجزع وقد أتتك الخلافة؟ فقال أتخوف شر عمي عبد الله وشيعة علي، فقال: لا تخفه فأنا أكفيكه إن شاء الله تعالى، إنما عامة جنده ومن معه أهل خراسان، وهم لا يعصونني فسرى عنه، وبايع له أبو مسلم، وأقبلا حتى قدما الكوفة، قال: ولما بايع عيسى بن موسى الناس لأبي جعفر أرسل إلى عبد الله بن علي بالشام، يخبره بوفاة السفاح وبيعة المنصور، وأمره أن يأخذ البيعة للمنصور فبايع لنفسه.

ثم دخلت سنة سبع وثلاثين ومائة.

في هذه السنة قدم أبو جعفر المنصور من مكة إلى الكوفة، فصلى بأهلها الجمعة وخطبهم، وسار إلى الأنبار فأقام بها وجمع أطرافه، وكان عيسى بن موسى قد أحرز بيوت الأموال والخزائن والدواوين حتى قدم فسلم الأمر إليه.

خروج عبد الله
بن علي وقتاله وهزيمته
كان عبد الله بن علي قدم على السفاح، فجعله على الصائفة وسير معه أهل الشام
وخراسان، فسار حتى بلغ دلوك ولم يدرب، فأتاه الخبر بوفاة السفاح وبيعة المنصور، فرجع
وبايع لنفسه وأعلم الناس أن السفاح لما وجه الجنود إلى مروان بن محمد دعا أهل بيته،
وقال: من انتدب منكم لقتال مروان وسار إليه فهو ولي عهدي، فلم ينتدب غيري وعلى
هذا خرجت من عنده، وقتلت من قتلت، وشهد له أبو غانم الطائي وخفاف المروروزي
وغيرهما من القواد فبايعوه، ومنهم حميد بن قحطبة وغيره، ثم سار عبد الله حتى أتى
حران، وبها مقاتل العكي قد استخلفه أبو جعفر لما سار إلى مكة، فتحصن منه مقاتل
فحصره أربعين يوماً، وكان أبو مسلم قد عاد من الحج مع المنصور كما ذكرناه، فقال
للمنصور: إن شئت جمعت ثيابي في منطقتي وخدمتك، وإن شئت أتيت خراسان
وأمددتك بالجنود، وإن شئت سرت إلى حرب عبد الله بن علي، فأمره بالمسير لحرب عبد
الله، فسار نحوه في الجنود ولم يتخلف عنه أحد، فلما بلغ عبد الله إقبال أبي مسلم
الخراساني أعطى العكي أماناً، فنزل إليه فيمن معه فوجهه إلى عثمان بن عبد الأعلى
الأزدي بالرقة، ومعه ابناه، وكتب معه كتاباً، فلما قدموا على عثمان دفع العكي الكتاب
إليه فقتله واحتبس أولاده، قال: وخشى عبد الله ألا يناصحه أهل خراسان فقتل منهم
نحواً من سبعة عشر ألفاً، واستعمل حميد بن قحطبة على حلب، وكتب معه كتاباً إلى زفر
بن عاصم يأمره بقتل حميد إذا قدم عليه، فلما كان ببعض الطريق قرأه، فإذا فيه قتله،
فأعلم خاصته بما فيه وانقلب إلى العراق على الرصافة، فتبعه ناس كثير، وأمر المنصور
محمد بن صول بالمسير إلى عبد الله بن علي ليمكر به، فلما أتاه قال له: سمعت أبا العباس
يقول: الخليفة بعدي عمي عبد الله، فقال له: كذبت إنما وضعك أبو جعفر وضرب عنقه،
ثم أقبل عبد الله حتى نزل نصيبين وخندق عليه، وقدم أبو مسلم ناحية نصيبين وأخذ

طريق الشام ولم يعرض لعبد الله، وكتب إليه: لم أومر بقتالك، وإنما أمير المؤمنين ولاني الشام،
فأنا أريدها، فقال من كان مع عبد الله من أهل الشام له: كيف نقيم معك؟ وهذا يأتي
بلادنا فيقتل من قدر عليه من رجالنا، ويسبى ذرارينا، ولكنا نخرج إلى بلادنا فنمنعه
ونقاتله، فقال لهم عبد الله: والله ما يريد الشام وما توجه إلا لقتالكم، ولئن أقمتم ليأتينكم،
فأبوا إلا المسير إلى الشام، فارتحل عبد الله نحو الشام، فنزل أبو مسلم في معسكر عبد
الله، وغور ما حوله من المياه، فقال لأصحابه: ألم أقل لكم، ورجع فنزل في مكان عسكر
أبي مسلم الذي كان به أولاً، ثم التقوا واقتتلوا خمسة أشهر عدة وقعات، حتى كادت
الهزيمة تكون على أصحاب أبي مسلم، وانهزم بعضهم، فكان أبو مسلم يرتجز في ذلك
فيقول:
من كان ينوي أهله فلا رجع فر من الموت وفي الموت وقع
فلما كان يوم الثلاثاء أو الأربعاء لسبع خلون من جمادى الآخرة سبع وثلاثين التقوا واقتتلوا،
فانهزم أصحاب عبد الله وتركوا معسكرهم فحواه أبو مسلم، وكتب بذلك إلى المنصور،
فأرسل أبا الخصيب مولاه يحصي ما أصابوا من العسكر، فغضب أبو مسلم. قال: ومضى
عبد الله وعبد الصمد ابنا علي، فقدم عبد الصمد الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى
المنصور، وأما عبد الله فإنه أتى أخاه سليمان بن علي بالبصرة، فأقام عنده زماناً متوارياً.
مقتل أبي مسلم الخراساني
وكان مقتله لخمس بقين من شعبان سنة سبع وثلاثين ومائة، قال: وسبب ذلك أن المنصور
كان قد حقد عليه أشياء كثيرة، منها أن أبا مسلم كان قد كتب إلى السفاح يستأذنه فأذن
له، وكتب السفاح إلى المنصور - وهو على الجزيرة وأرمينية وأذربيجان - أن أبا مسلم
استأذنني في الحج وأذنت له، وهو يريد أن أوليه الموسم فاستأذني أنت في الحج، فإنك إذا
كنت بمكة لا يطمع أن يتقدمك، فكتب المنصور إلى السفاح يستأذنه في الحج فأذن له، فقال
أبو مسلم: ما وجد أبو جعفر عاماً يحج فيه غير هذا!! وحجا معاً، فكان أبو مسلم

يكسو الأعراب، ويصلح الآبار والطرق، فصار الذكر له، فلما صدر الناس عن الموسم تقدم
أبو مسلم في الطريق على المنصور، وأتاه خبر السفاح كما قدمناه، فكتب إلى أبي جعفر
يعزيه بالسفاح ولم يهنئه بالولاية، ولم يقم حتى يلحقه ولم يرجع، فغضب المنصور لذلك وكتب
كتاباً غليظاً، فلما أتاه الكتاب كتب إليه يهئنه بالخلافة، وتقدم أبو مسلم فأتى الأنبار، فدعا
عيسى بن موسى إلى أن يبايع له، فأبى عيسى وقد قيل في أمره ما قدمناه، ثم جهزه لمحاربة
عبد الله بن علي ومعه الحسن بن قحطبة، فأرسل الحسن إلى أبي أيوب وزير المنصور يقول:
إني قد ارتبت من أبي مسلم، فإنه يأتيه كتاب أمير المؤمنين فيقرأه ثم يلقيه إلى أبي الهيثم
ويضحكان استهزاءً، فقال أبو أيوب: نحن لأبي مسلم أشد تهمة منا لعبد الله.
فلما انهزم عبد الله وبعث المنصور أبا الخصيب يجمع الأموال، فأراد أبو مسلم قتله فكلم
فيه فخلى سبيله، وقال: أنا أمين على الدماء خائن في الأموال، وشتم المنصور فرجع أبو
الخصيب وأخبر المنصور، فخاف أن يمضي أبو مسلم إلى خراسان، فكتب إليه: إني قد
وليتك مصر والشام، فهي خير لك من خراسان، فوجه إلى مصر من أحببت وأقم بالشام،
فتكون بقرب أمير المؤمنين، فإن أحب لقاءك أتيته من قرب، فلما أتاه الكتاب غضب وقال:
يوليني مصر والشام وخراسان لي!! فكتب الرسول إلى المنصور بذلك.
وأقبل أبو مسلم من الجزيرة وقد أجمع على الخلاف، وخرج يريد خراسان، وسار المنصور
من الأنبار إلى المدائن، وكتب إلى أبي مسلم في المسير إليه، فكتب إليه أبو مسلم وهو
بالزاب: إنه لم يبق لأمير المؤمنين عدو إلا أمكنه الله منه، وقد كنا نروي عن ملوك بني
ساسان: إن أخوف ما يكون الوزراء إذا سكنت الدهماء، فنحن نافرون من قربك،
حريصون على الوفاء لك ما وفيت، حريون بالسمع والطاعة، غير أنها من بعيد حيث
تقارنها السلامة، فإن أرضاك ذلك فأنا كأحسن عبيدك، وإن أبيت إلا أن تعطي نفسك
إرادتها نقضت ما أبرمت من عهدك ضناً بنفسي، فلما وصل الكتاب إلى المنصور كتب

إليه: قد فهمت كتابك، وليست صفتك صفة أولئك الوزراء الغشيشة ملوكهم، الذين يتمنون
اضطراب حبل الدولة لكثرة جرائمهم، وأنت في طاعتك ومناصحتك واضطلاعك بما
حملت من أعباء هذا الأمر ما أنت به، وليس من الشريطة التي أوجبت منك سمعاً ولا
طاعة، وحمل إليك أمير المؤمنين عيسى بن موسى رسالة، لتسكن إليها أن أصغيت،
وأسأل الله أن يحول بين الشيطان ونزاغته وبينك، فإنه لم يجد باباً يفسد به ذات بينك أوكد
عنده وأقرب من الباب الذي فتحه عليك.
وقيل إن مكاتبة أبي مسلم إلى المنصور كانت على خلاف ما قدمناه. وأن المنصور لما
سار إلى المدائن أخذ أبو مسلم طريق حلوان. فقال المنصور لعمه عيسى بن علي ولمن
حضره من بني هاشم: اكتبوا إلى أبي مسلم، فكتبوا إليه يعظمون أمره ويشكرونه، ويسألونه
أن يتم ما كان منه وعليه من الطاعة، ويحذرونه عاقبة البغي، ويأمرونه بالرجوع إلى
المنصور، وبعث المنصور الكتب مع أبي حميد المرورذي وقال له: كلم أبا مسلم بالين ما
تكلم به أحداً، ومنه وأعلمه أني رافعه وصانع به ما لم أصنع بأحد - إن هو صلح وراجع
فله ما أحب، فإن أبى فقل له: يقول لك أمير المؤمنين: لست للعباس وأنا بريء من محمد إن
مضيت مشاقاً ولم تأتني، إن وكلت أمرك إلى أحد سواي، وإن لم آل طلبك وقتالك بنفسى،
ولو خضت البحر لخضته، ولو اقتحمت النار لاقتحمتها، حتى أقتلك أو أموت قبل ذلك،
وأوصاه ألا يقول له هذا القول إلا بعد الإياس منه، فسار أبو حميد وقدم على أبي مسلم
بحلوان، فدفع إليه الكتب وقال: إن الناس يبلغونك على أمير المؤمنين ما لم يقله، وخلاف ما
عليه رأيه فيك - حسداً وبغياً، يريدون إزال النعمة وتغييرها، فلا تفسد ما كان منك،
وقال له: يا أبا مسلم إنك لم تزل أمين آل محمد، يعرفك بذلك الناس وما ذخره الله لك في
ذلك من الأجر عنده مما أنت فيه من دنياك، فلا تحبط أجرك ولا يستهونك الشيطان، فقال
له: متى كنت تكلمني بهذا الكلام!! فقال أبو حميد: إنك دعوتنا إلى هذا الأمر وإلى طاعة

أهل بيت النبي صلى الله عليه وسلم في بني العباس، وأمرتنا بقتال من خالف، فدعوتنا من
أرضين متفرقة وأسباب مختلفة فجمعنا الله على طاعتهم، وألف بين قلوبنا حتى أتيناهم في
بلادهم ببصائر نافذة، وطاعة خالصة، أفتريد حين بلغنا غاية منانا ومنتهى أملنا أن يفسد
أمرنا وتفرق كلمتنا! وقد قلت لنا: من خالفكم فاقتلوه، وإن خالفتم فاقتلوني، فأقبل أبو
مسلم على أبي نصر مالك بن الهيثم، وقال: أما تسمع كلامه لي!! ما هذا بكلامه، فقال
مالك: لا تسمع كلامه ولا يهولنك هذا منه، فلعمري ما هذا كلامه، فقال مالك: لا تسمع
كلامه ولا يهولنك هذا منه، فلعمري ما هذا كلامه، ولما بعد هذا أشد منه، فامض لأمرك
ولا ترجع، فوالله لئن لأتيته ليقتلنك، ولقد وقع في نفسه منك ما لا يأمنك معه أبداً، فأمرهم
بالقيام فنهضوا.
وأرسل أبو مسلم الكتب إلى نيزك فقال: لا أرى أن تأتيه، وأرى أن تأتي الري فتقيم بها،
فتصير ما بين خراسان والري لك، وهم جندك لا يخالفونك، فإن استقام لك استقمت له،
وإن أبى كنت في جندك، وكانت خراسان من ورائك، وأنت ورأيك.
فدعا أبا حميد وقال له: ارجع إلى صاحبك فليس من رأيي أن آتيه، قال: قد عزمت على
خلافه، قال: لا تفعل، قال لا أعود أبداً، فلما أيس منه أبلغه الرسالة، فوجم طويلاً ثم قال:
قم كررها وارتاع لقوله. وكان المنصور قد كتب لأبي داود - خليفة أبي مسلم بخراسان -
حين اتهم أبا مسلم: أن لك إمرة خراسان، فكتب أبو داود إلى أبي مسلم:
إنا لم نخرج لمعصية خلفاء الله وأهل بيت نبيه صلى الله عليه وسلم، فلا تخالفن إمامك
ولا ترجع إلا بأمره، فوافاه كتابه وهو على تلك الحال فزاده رعباً، فأرسل إلى أبي حميد
فقال له: إني كنت عازماً على المضي إلى خراسان، ثم رأيت أن أوجه أبا إسحاق إلى أمير
المؤمنين فيأتيني برأيه، فإنه ممن أثق به فوجهه، فلما قدم تلقاه بنو هاشم بكل ما يحب، وقال
له المنصور: اصرفه عن وجهه ولك ولاية خراسان وأجازه، فرجع أبو إسحاق إلى أبي

مسلم وقال: ما أنكرت شيئاً، ورأيتهم معظمين لحقك، يرون لك ما يرون لأنفسهم، وأشار
عليه أن يرجع إلى المنصور فيعتذر إليه، فقال له نيزك: قد أجمعت على الرجوع؟ قال: نعم،
وتمثل:
ما للرجال مع القضاء محالة غلب القضاء بحيلة الأقوام
قال: فإذا عزمت على هذا فخار الله لك، احفظ عني واحدة: إذا دخلت عليه فاقتله، ثم
بايع لمن شئت، فإن الناس لا يخالفونك.
وكتب أبو مسلم إلى المنصور إنه منصرف إليه، وسار نحوه واستخلف أبا نصر مالك بن
الهيثم على عسكره، وقال له: أقم حتى يأتيك كتابي، فإن أتاك مختوماً بنصف خاتم فأنا
كتبته، وإن أتاك بخاتمي كله فلم أختمه، وقدم المدائن في ثلاثة آلاف رجل وخلف الناس
بحلوان. قال: ولما دنا أبو مسلم من المنصور أمر الناس بتلقيه، فتلقاه بنو هاشم والناس، ثم
قدم فدخل على المنصور فقبل يده، فأمره أن ينصرف يستريح ليلته ويدخل الحمام فانصرف.
فلما كان من الغد دعا المنصور عثمان بن نهيك وأربعة من الحراس، فأمرهم أنه إذا صفق
بيده أن يقتلوا أبا مسلم وتركهم خلف الرواق، واستدعى أبا مسلم فدخل عليه، فقال له
المنصور: أخبرني عن نصلين أصبتهما مع عبد الله بن علي،
قال: هذا أحدهما، قال: أرنيه
فانتضاه وناوله إياه، فوضعه المنصور تحت فراشه، وأقبل يعاتبه وقال له: أخبرني عن كتابك
إلى السفاح تنهاه عن الموات، أردت أن تعلمنا الدين!؟ قال: ظننت إن أخذه لا يحل، فلما
أتاني كتابه علمت أنه وأهل بيته معدن العلم، قال: أخبرني عن تقدمك إياي بطريق مكة،
قال: كرهت اجتماعنا على الماء فيضر ذلك بالناس، فتقدمت للرفق، وذكره بذنوبه وما
أنكره عليه، وكان من جملة ما ذكر له - ألست الكاتب إلي تبدأ بنفسك، وتخطب عمتي
آمنة بنت علي، وتزعم أنك ابن سليط بن عبد الله بن عباس، لقد ارتقيت - لا أم لك -
مرتقىً صعباً، ثم قال: وما الذي دعاك إلى قتل سليمان بن كثير؟ مع أثره في دعوتنا وهو
أحد نقبائنا قبل أن يدخلك في هذا الأمر! قال: أراد الخلاف علي وعصياني فقتلته، فلما

طال عتاب المنصور له قال: لا يقال هذا بعد بلائي وما كان
مني! قال: يا ابن الخبيثة، والله
لو كانت أمة مكانك لأجزأت، إنما عملت في دولتنا وبريحنا، ولو
كان ذلك إليك ما قطعت
فتيلاً، فأخذ أبو مسلم يد المنصور يقبلها ويعتذر إليه، فقال:
والله ما رأيت كاليوم، والله ما
زدتني إلا غضباً، فقال أبو مسلم: دع هذا، فوالله قد أصبحت ما
أخاف إلا الله، فشتمه
المنصور وصفق بيده على الأخرى، فخرج إليه الحرس فضربه
عثمان بن نهيك فقطع حبائل
سيفه، فقال: استبقني لعدوك يا أمير المؤمنين، فقال: لا
أبقاني الله إذن، وأي عدو أعدى لي
منك؟! وأخذته سيوف الحرس حتى قتلوه، وهو ينادي العفو
العفو، فقال المنصور يا ابن
اللخناء والسيوف قد اعتورتك!! وأنشد المنصور:

اشرب بكأس كنت تسقي بها أمر في فيك من العلقم
زعمت أن الدين لا يقتضى كذبت والله أبا مجرم

قال: وكان أبو مسلم قد قتل ستمائة ألف صبراً، قال: ولما قتل
قال لأصحابه اجتمعوا،
فاجتمعوا فنثرت عليهم بدرة، فلما أكبوا ليلتقطوها طرح عليهم
رأس أبي مسلم، فلما رأوه
تخاذلوا وتفرقوا، قال: ثم خطب المنصور بعد مقتل أبي مسلم
فقال:
أيها الناس لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا
تمشوا في ظلمة الباطل بعد
سعيكم في ضياء الحق، إن أبا مسلم أحسن مبتدأً وأساء معقباً،
وأخذ من الناس أكثر
مما أعطانا، ورجح قبيح باطنه على حسن ظاهره، وعلمنا من
خبث سريرته وفساد نيته
ما لو علمه اللائم لنا فيه لعذرنا في قتله، وعنفنا في إمهاله،
وما زال ينقض بيعته ويخفر ذمته
حتى أحل لنا عقوبته، وأباحنا دمه فحكمنا فيه حكمه لنا في
غيره، ولم يمنعنا الحق له من
إمضاء الحق فيه، وما أحسن ما قال النابغة الذبياني:

فمن أطاعك فانفعه بطاعته كما أطاعك وادلله على الرشد
ومن عصاك فعاقبه معاقبة تنهى الظلوم ولا تقعد على
الصمد

ثم نزل.
قال: وكان أبو مسلم قد سمع الحديث من عكرمة وأبي الزبير
المكي وثابت البناني ومحمد
بن علي بن عبد الله بن عباس والسدي وروى عنه إبراهيم بن
ميمون الصائغ وعبد الله

بن المبارك وغيرهما، وقيل لعبد الله بن المبارك: أبو مسلم كان خيراً أو الحجاج؟ قال: لا
أقول إن أبا مسلم خير من أحد، ولكن الحجاج كان شراً منه، وكان أبو مسلم فاتكاً
شجاعاً ذا رأي وتدبير وحزم وعقل ومروءة.
قال: ولما قتل كتب المنصور إلى أبي نصر مالك بن الهيثم عن لسان أبي مسلم يأمره بحمل
ثقله، وما خلف عنده، وأن يقدم، وختم الكتاب بخاتم أبي مسلم، فلما رأى الخاتم تاماً علم
أن أبا مسلم لم يكتبه، فقال: أفعلتموها، وانحدر إلى همذان وهو يريد خراسان، فكتب
المنصور له عهد على شهرزور، وكتب إلى زهير بن التركي وهو على همذان، إن مر بك أبو
نصر فاحبسه، فأتاه الكتاب وهو بهمذان، فقال له زهير: قد صنعت لك طعاماً، فلو
أكرمتني بدخول منزلي، فحضر عنده فأخذه زهير وحبسه، وقدم صاحب العهد على أبي
نصر فخلى زهير سبيله لهواه فيه فخرج، ثم كتب المنصور إلى زهير بقتله، فقال جاءني
كتاب بعهده فخليت سبيله، ثم قدم أبو نصر على المنصور فقال: أشت على أبي مسلم
بالمضي إلى خراسان، قال: نعم، كانت له عندي أياد فنصحته، وإن اصطنعني أمير المؤمنين
نصحت له وشكرت، فعفا عنه، فلما كان يوم الراوندية قام أبو نصر على باب القصر، وقال:
أنا البواب اليوم، لا يدخل أحد وأنا حي، فعلم المنصور أنه نصح له، وقيل إن زهيراً سير أبا
نصر إلى المنصور مقيداً، فمن عليه واستعمله على الموصل والله أعلم.

خروج سنباذ بخراسان

وفي هذه السنة خرج سنباذ بخراسان يطلب بدم أبي مسلم، وكان مجوسياً من قرية من
قرى نيسابور يقال اهروانه، وكان من صنائع أبي مسلم فخرج غضباً لقتله، وكثر أتباعه
وكان عامتهم من أهل الجبال، فغلب على نيسابور وقومس والري وتسمى فيروز إصبهبذ،
فلما صار بالري أخذ خزائن أبي مسلم التي كان خلفها هناك لما حج، وسبى الحرم ونهب
الأموال ولم يتعرض للتجار، وأظهر أنه يريد قصد الكعبة ليهدمها، فوجه إليه المنصور جمهور
بن مرار العجلي في عشرة آلاف فارس، فالتقوا بين همذان والريي على طرف المفازة، فعزم

جمهور على مطاولته فلما التقوا قدم سنباذ النساء من سبايا المسلمات على الجمال في
المحامل، فلما رأين عسكر المسلمين قمن في المحامل ونادين: وامحمداه!! ذهب الإسلام،
وقعقعت الريح في أثوابهن فنفرت الإبل، وعادت على عسكر المجوس فتفرقوا، وكانت الهزيمة
عليهم وتبع المسلمون الإبل، فوضعوا السيوف في المجوس ومن معه فقتلوهم كيف شاءوا،
وكان عدد القتلى نحواً من ستين ألفاً وسبى ذراريهم ونساءهم، ثم قتل سنباذ بين طبرستان
وقومس، وكان بين مخرجه وقتله سبعون ليلة، وكان سبب قتله أنه قصد طبرستان ملتجئاً
إلى صاحبها، فأرسل إلى طريقه غلاماً له اسم طوس، فضرب عنق سنباذ وأخذ ما معه
من الأموال، وكتب إلى المنصور بقتله، فطلب المنصور الأموال التي كانت معه من صاحب
طبرستان فأنكرها، فسير الجنود فهرب إلى بلاد الديلم.

خروج ملبد الشيباني
وقتله

وفي هذه السنة خرج ملبد بن حرملة الشيباني فحكم بناحية الجزيرة، فسار إليه روابط
الجزيرة وهم نحو ألف فارس، فقاتلهم فهزمهم، ثم سار إليه يزيد بن حاتم المهلبي فهزمه ملبد،
فوجه إليه المنصور مولاه مهلهل بن صفوان في ألفين نخبة الجند فهزمهم، واستباح
عسكرهم، ثم وجه إليه نزاراً قائداً من قواد خراسان، فقتله ملبد وهزم أصحابه، ثم وجه
إليه زياد بن مشكان في جمع كثير فهزمهم، فوجه إليه صالح بن صبيح في جيش كثيف
وخيل كثيرة وعدة فهزمهم، ثم سار إليه حميد بن قحطبة - وهو يومئذ على الجزيرة -
فهزمه ملبد، وتحصن منه حميد وأعطاه مائة ألف درهم، على أن يكف عنه، فلما بلغ ذلك
المنصور وجه إليه عبد العزيز بن عبد الرحمن، وضم إليه زياد بن مشكان، فأكمن له ملبد
مائة فارس، فلما التقوا خرج الكمين عليهم، فانهزم عبد العزيز وقتل عامة أصحابه، فوجه
إليه خازم بن خزيمة في نحو ثمانية آلاف من المروروذية،
والتقوا واقتتلوا مرة بعد أخرى،
فانهزمت ميمنة خازم وميسرته وثبت هو في القلب، فنادى في أصحابه: الأرض، الأرض،

فنزلوا وعقروا عامة دوابهم وضربوا بالسيوف حتى تقطعت، وتراجع أصحاب خازم
ورشقوا أصحاب ملبد بالسهام، فقتل ملبد في ثمانمائة رجل بالنشاب - وكانوا قد ترجلوا،
وقتل منهم قبل ذلك ثلاثمائة، وهرب الباقون فاتبعهم أصحاب خازم، فقتل منهم مائة
وخمسون رجلاً، وذلك في سنة ثمان وثلاثين ومائة. وقيل إن خروجه كان فيها.
وحج بالناس في هذه السنة إسماعيل بن علي بن عبد الله بن عباس وهو على الموصل.
ودخلت سنة ثمان وثلاثين ومائة.
خلع جمهور بن مرار
وقتله
في هذه السنة خلع جمهور بن مرار العجلي، وسبب ذلك أنه لما هزم سنباذ حوى ما في
عسكره، وكان فيه خزائن أبي مسلم فلم يوجهها إلى المنصور، فخاف فخلع، فوجه
المنصور لحربه محمد بن الأشعث في جيش عظيم، فسار نحو الري ففارقها جمهور نحو
أصفهان فملكها، فأرسل محمد عسكراً وأقام هو بالري، فأشار على جمهور بعض أصحابه
أن يسير في نخبة عسكره نحو محمد، فسار إليه فبلغ محمداً الخبر فاحتاط وحذر، وأتاه
عسكر من خراسان فقوي بهم، والتقوا بقصر الفيروزان بين الري وأصفهان، واقتتلوا قتالاً
شديداً فانهزم أصحاب جمهور، ولحق بأذربيجان، وقتل من أصحابه خلق كثير، ثم قتله
أصحابه باسباذروا وحملوا رأسه إلى المنصور.
وفي هذه السنة خرج قسطنطين - ملك الروم - إلى بلاد الإسلام، فدخل ملطية عنوة وقهر
أهلها وهدم سورها، وعفا عمن فيها من المقاتلة والذرية، ثم بنى صالح بن علي ما هدمه
الروم من سورها.
وفيها بايع عبد الله بن علي للمنصور في المسجد الحرام. وحج بالناس في هذه السنة
الفضل بن صالح بن علي.
ودخلت سنة تسع وثلاثين ومائة.
في هذه السنة: كان الفداء بين المنصور وملك الروم، فاستنقذ المنصور أسرى قاليقلا
وغيرهم من الروم، وعمرها ورد أهلها إليها، وندب إليها جنداً من أهل الجزيرة وغيرهم.

وفيها استولى عبد الرحمن بن معاوية على بلاد الأندلس، على ما نذكره في أخبار الدولة
الأموية بالمغرب. وفيها عزل المنصور سليمان بن علي عن البصرة، فاختفى أخوه عبد الله
بن علي ومن معه من أصحابه، خوفاً من المنصور، فأرسل المنصور إلى سليمان وعيسى
ابني علي في إحضار عبد الله، وأمنه فأحضراه إليه وقواده ومواليه في ذى الحجة، فحبسه
المنصور ومن معه من أصحابه، ثم قتل بعضهم بحضرته، وبعث بقيتهم إلى خالد بن إبراهيم
- عامل خراسان - فقتلهم بها، واستعمل على البصرة سفيان بن معاوية. وحج بالناس
العباس بن محمد بن علي.
ودخلت سنة أربعين ومائة.
في هذه السنة: هلك أبو داود خالد بن إبراهيم الذهلي عامل خراسان، وكان سبب
هلاكه أن ناساً من الجند ثاروا به - وهو بكشماهن - ووصلوا إلى المنزل الذي هو فيه،
فأشرف عليهم من الحائط ووطيء حرف آجرة، وجعل ينادي أصحابه ليعرفوا صوته،
فانكسرت الآجرة به عند الصباح، فسقط على الأرض فانكسر ظهره فمات عند صلاة
العصر، فاستعمل المنصور عبد الجبار بن عبد الرحمن الأزدي، فقدم وأخذ جماعة من
القواد الذين أتهمهم بالدعاء لولد علي بن أبي طالب فقتلهم، وحبس جماعة.
وفيها سير المنصور عبد الوهاب ابن أخيه إبراهيم الإمام، والحسن بن قحطبة، في سبعين
ألف مقاتل إلى ملطية، فعمروا ما كان خربه الروم منها في ستة أشهر، وأسكنها أربعة آلاف
من الجند، وأكثر فيها السلاح والذخائر، وبنى حصن قلوذية، فعاد إلى ملطية من كان جلا
منها.
وفيها حج المنصور فأحرم من الحيرة، فلما قضى حجه توجه إلى البيت المقدس، ثم سار
منه إلى الرقة فقتل بها منصور بن جعونة العامري، وعاد إلى هاشمية الكوفة.
وفيها أمر المنصور بعمارة مدينة المصيصة على يد جبريل بن يحيى، وكان سورها قد
تشعث من الزلازل وأهلها قليل، فبنى السور وسماها المعمورة، وبنى بها مسجداً جامعاً،
وفرض فيه لألف رجل، وأسكنها كثيراً من أهلها.

ودخلت سنة إحدى وأربعين ومائة.
خروج الراوندية
على المنصور وقتلهم
والراوندية قوم من أهل خراسان يقولون بتناسخ الأرواح، ويزعمون أن روح آدم حلت في
عثمان بن نهيك، وأن ربهم الذي يطعمهم ويسقيهم هو المنصور، وأن جبريل هو الهيثم بن
معاوية، فلما ظهروا وأتوا قصر المنصور فقالوا: هذا قصر المنصور، فقالوا هذا قصر ربنا،
فأخذ المنصور رؤساءهم فحبس منهم ثمانين رجلاً، فغضب أصحابهم، وأخذوا نعشاً
فحملوه وليس فيه أحد، فمروا على باب السجن ورموا النعش، وحملوا على الناس
ودخلوا السجن وأخرجوا أصحابهم، وقصدوا المنصور وهم ستمائة رجل، فغلقت أبواب
المدينة، وخرج المنصور من القصر ماشياً، ولم يكن في القصر دابة، ثم أتى بدابة فركبها،
وأمر بعد ذلك اليوم أن تربط دابة معه في القصر، وخرج المنصور لهم فتكاثروا عليه حتى
كادوا يقتلونه، وجاء معن بن زائدة الشيباني - وكان مستخفياً من المنصور لقتاله مع ابن
هبيرة، وكان المنصور شديد الطلب له، وقد بذل فيه مالاً كثيراً، فتلثم وترجل وقاتل قتالاً
شديداً، وكان المنصور على بغلة ولجامها بيد الربيع حاجبه، فأتاه معن بن زائدة وقال: يا
شيخ أنا أحق بهذا اللجام منك في هذا الوقت وأعظم غناء، فقال المنصور: صدق، فدفعه
إليه، فلم يزل يقاتل حتى حصل الظفر بالراوندية، فقال له المنصور: من أنت؟ قال: طلبتك يا
أمير المؤمنين معن بن زائدة، فقال: قد آمنك الله على نفسك ومالك وأهلك، مثلك يصطنع،
وجاء أبو نصر مالك بن الهيثم فوقف على باب المنصور، وقال: أنا البواب كما ذكرنا ذلك،
ونودي في أهل السوق فقاتلوهم، وفتح باب المدينة فدخل الناس، فحمل عليهم خازم بن
خزيمة حتى ألجأهم إلى حائط، ثم حملوا عليه فكشفوه مرتين، فقال الهيثم بن شعبة: إذا
كروا علينا فاسبقهم إلى الحائط، فإذا رجعوا فقاتلهم، ففعل ذلك فقتلوا جميعاً، وكان ذلك
بالمدينة الهاشمية، وأصيب يومئذ عثمان بن نهيك بسهم، فمرض أيام ومات فصلى عليه

المنصور، وجعل على الحرس أبا العباس الطوسي ثم ولى المنصور معن بن زائدة اليمن.

خلع عبد الجبار

بخراسان ومسير المهدي إليه

وفي هذه السنة خلع عبد الجبار بن عبد الرحمن - عامل خراسان - المنصور، وكان

سبب ذلك أنه لما استعمله المنصور على خراسان عمد إلى القواد، فقتل بعضهم وحبس

بعضهم، فبلغ ذلك المنصور، وأتاه كتاب بعضهم يقول: قد نغل الأديم، فقال المنصور لأبي

أيوب: إن عبد الجبار قد أفنى شيعتنا، وما فعل ذلك إلا وهو يريد أن يخلع، فقال اكتب

إليه: إنك تريد غزو الروم فليوجه إليك الجنود من خراسان، وعليهم فرسانهم ووجوهم،

فإذا خرجوا منها فابعث إليه من شئت فلا يمتنع، فكتب إليه المنصور فأجابه أن الترك قد

جاشت، وإن فرقت الجند ذهبت خراسان، فألقى الكتاب إلى أبي أيوب وقال: ما ترى،

فقال: قد أمكنك من قياده، اكتب إليه: إن خراسان أهم إلي من غيرها، وأنا موجه إليك

الجنود، ثم وجه الجنود ليكونوا بخراسان، فإن هم بخلع أخذوا بعنقه، فلما ورد الكتاب

على عبد الجبار أجابه: إن خراسان لم تكن أسوأ حالاً منها العام، وإن دخلها الجنود

هلكوا لضيق ما هم فيه من الغلاء، فلما أتاه الكتاب ألقاه إلى أبي أيوب، فقال له أبو أيوب:

قد أبدى صفحته، وقد خلع فلا تناظره، فوجه المنصور إليه المهدي، وأمره بنزول الري،

فسار المهدي ووجه خازم بن خزيمة بين يديه لحرب عبد الجبار، ونزل المهدي نيسابور، فلما

بلغ ذلك أهل مرو الروذ ساروا إلى عبد الجبار، وقاتلوه قتالاً شديداً فانهزم منهم، والتجأ إلى

مقطنة فتوارى فيها، فعبر إليه المجشر بن مزاحم من أهل مرو الروذ فأخذه أسيراً، فلما قدم

خازم أتاه به وألبسه جبة صوف، وحمله على بعير وجعل وجهه مما يلي عجز البعير،

وحمله إلى المنصور ومعه ولده وأصحابه، فبسط عليهم العذاب واستخرج منهم الأموال، ثم

أمر فقطعت يد عبد الجبار ورجلاه وضربت عنقه، وأمر بتسيير ولده إلى دهلك – جزيرة

باليمن، فلم يزالوا بها حتى أغار عليهم الهند فسبوهم فيمن سبوا، ثم فودوا بعد ذلك.

وقيل كان أمر عبد الجبار في سنة اثنتين وأربعين في شهر ربيع الأول.

فتح طبرستان

قال: ولما ظفر المهدي بعبد الجبار بغير تعب كره المنصور أن تبطل تلك النفقات التي أنفقت على المهدي، فكتب إليه أن يغزو طبرستان وينزل الري، ويوجه أبا الخصيب وخازم بن خزيمة والجنود إلى الإصبهبذ، وكان الإصبهبذ يومئذ محارباً المصمغان ملك دنباوند، فبلغه دخول الجند بلاده، ثم قال المصمغان للإصبهبذ متى قهروك صاروا إلي، فاجتمعوا على حرب المسلمين وطالت تلك الحروب، فوجه المنصور عمر بن العلاء إلى طبرستان، وهو الذي يقول فيه بشار:

إذا أيقظتك حروب العدا فنبه لها عمراً ثم نم

وكان عالماً ببلاد طبرستان، فأخذ الجنود وقصد الرويان ففتحها وأخذ قلعة الطاق وما فيها، وطالت الحرب وألح خازم بالقتال ففتح طبرستان وقتل منهم وأكثر، وصار الإصبهبذ إلى قلعته وطلب الأمان، على أن يسلم القلعة وما فيها من الذخائر، فكتب المهدي بذلك إلى المنصور، فوجه المنصور صالحاً صاحب المصلى فأحصى ما في الحصن وانصرفوا، ودخل الإصبهبذ بلاد جيلان من الديلم، وأخذت ابنته وهي أم إبراهيم بن العباس بن محمد، وقصدت الجنود المصمغان فظفروا به.

وفيها عزل زياد بن عبيد الله الحارثي عن مكة والمدينة والطائف، واستعمل على المدينة محمد بن خالد بن عبد الله القسري في شهر رجب، وعلى مكة والطائف الهيثم بن معاوية العتكي من أهل خراسان. وحج بالناس في هذه السنة صالح بن علي بن عبد الله بن عباس وهو يومئذ على الشام.

ودخلت سنة اثنتين وأربعين ومائة.

خلع عيينة بن موسى

في هذه السنة خلع عيينة بن موسى بن كعب بالسند وكان عاملاً عليها، وسبب خلعه أن أباه كان يستخلف المسيب بن زهير على الشرط، فلما مات موسى أقام المسيب على ما كان يلي من الشرط، وخاف أن المنصور يحضر عيينة فيوليه ما كان إلى أبيه، فكتب

إليه بيت شعر ولم ينسب الكتاب إلى نفسه:
فأرضك أرضك إن تأتنا تنم نومة ليس فيها حلم
فخلع الطاعة، فلما بلغ المنصور الخبر سار بعسكره حتى نزل جسر البصرة، ووجه عمر
بن حفص بن أبي صفرة العتكي عاملاً على السند، وأمره بمحاربة عيينة فسار وغلب
على السند.
نكث الإصبهبذ
في هذه السنة: نقض الإصبهبذ بطبرستان العهد بينه وبين المسلمين، وقتل من كان ببلاده
منهم، فلما انتهى الخبر إلى المنصور سير مولاه أبا الخصيب، وخازم بن خزيمة، وروح بن
حاتم، وأقاموا يحاصرون الحصن وهو فيه، ولما طال عليهم المقام احتال أبو الخصيب في
ذلك، فقال لأصحابه: اضربوني واحلقوا رأسي ولحيتي ففعلوا ذلك به، ولحق بالإصبهبذ
فقال له: إنهم فعلوا بي هذا لأنهم تهموني أن هواي معك، وقال له: إنما أدلك على عورة
عسكرهم، فقبل الإصبهبذ ذلك وجعله في خاصته، وكان باب حصنه من حجر، وكان
يوكل بفتحه وغلقه ثقات أصحابه نوباً بينهم، فلما وثق الإصبهبذ بأبي الخصيب وكله بالباب
فتولى فتحه وغلقه، فكتب أبو الخصيب إلى روح وخازم وأعلمهم أنه قد ظفر، وأوعدهم
ليلة بفتح الباب، فلما كان في تلك الليلة فتح لهم، فدخلوا الحصن فقتلوا من فيه من المقاتلة
وسبوا الذرية، وأخذوا شكلة أمر إبراهيم بن المهدي، وكان مع الإصبهبذ سم فشربه
فمات، وقيل إن ذلك كان في سنة ثلاث وأربعين.
وفي هذه السننة مات سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس في جمادى الآخرة وعمره
تسع وخمسون سنة، وفيها عزل نوفل بن الفرات عن مصر، ووليها حميد بن قحطبة، وولى
المنصور أخاه العباس بن محمد على الجزيرة والثغور والعواصم، وعزل عمه إسماعيل عن
الموصل واستعمل عليها مالك بن الهيثم الخزاعي. وحج بالناس إسماعيل بن علي بن عبد
الله بن عباس.
ودخلت سنة ثلاث وأربعين ومائة.
في هذه السنة: ثار الديلم بالمسلمين فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، فندب الناس المنصور إلى

قتال الديلم وجهادهم، وفيها عزل الهيثم بن معاوية عن مكة والطائف، واستعمل السري بن
عبد الله بن الحارث بن العباس، وفيها عزل حميد بن قحطبة عن مصر واستعمل عليها
يزيد بن حاتم، وحج بالناس في هذه السنة عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد
الله.
ودخلت سنة أربع وأربعين ومائة.
في هذه السنة: سير المنصور الناس من أهل الكوفة والبصرة والجزيرة والموصل إلى غزو
الديلم، واستعمل عليهم محمد بن أبي العباس السفاح. وفيها عزل المنصور عن المدينة
محمد بن خالد بن عبد الله القسري، واستعمل عليها رياح بن عثمان المري، وكان سبب
ذلك أن المنصور كان يتطلب محمد بن عبد الله بن الحسن وأخاه إبراهيم بن عبد الله،
فلما استعمل محمد بن خالد على المدينة أمره بطلبهما، فقدم المدينة وأنفق أأموالاً عظيمة في
طلبهما، فلم يظفر بهما فعزله واستعمل رياحاً، وأمره بمطالبة القسري بالأموال وطلب محمد
وإبراهيم، فقدم المدينة وطالب محمد بن خالد بالمال وضربه وسجنه، وأخذ كاتبه رزاماً
وعاقبه، وألزمه أن يذكر له ما أخذ محمد من الأموال، فلم يجبه إلى ذلك، فلما طال عليه
الأمر وشدد عليه العذاب أجابه، فقال له رياح: أحضر الرقيعة وقت اجتماع الناس، فلما
اجتمع الناس أحضره، فقال: أيها الناس إن الأمير أمرني أن أرفع على محمد بن خالد، وقد
كتبت كتاباً وأنا أشهدكم أن كل ما فيه باطل، فأمر به رياح فضرب مائة سوط ورده إلى
السجن.
وفيها حج المنصور فلما عاد من حجه إلى المدينة لم يدخلها، ونزلل الربذة، وكان قد أمر
رياحاً بحبس أولاد الحسن فحبسهم، فلما رجع أمر بحملهم إلى العراق، فأخرجهم من
السجن إلى الربذة والأغلال في أعناقهم وأرجلهم، وحملوا بغير وطاء، وحبسهم بقصر ابن
هبيرة، وضرب محمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان - وكان قد حبسه معهم - خمسين
ومائة سوط، فسالت إحدى عينيه بضربة أصابتها، ومحمد هذا هو الذي يسمى الديباج،

كل ذلك لخوفه من ظهور محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن حسن على ما نذكره إن شاء الله
تعالى.
ودخلت سنة خمس وأربعين ومائة.
ظهور محمد بن عبد الله
في هذه السنة: ظهر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
بالمدينة، وأخرج محمد بن خالد القسري من الحبس، واستعمل العمال على المدينة ومكة
والطائف واليمن، وكان خروجه لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة منها، وكان بينه وبين
المنصور مكاتبات سنذكرها في أخبار محمد بن عبد الله، ولم تغن شيئاً، فندب المنصور
لقتاله عيسى بن موسى بن محمد بن عبد الله بن العباس، فالتقوا فقتل محمد في يوم الاثنين
بعد العصر لأربع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان منها، وقتل معه جماعة سنذكر ذلك
مستوفى في أخباره إن شاء الله.
وفيها ظهر إبراهيم بن عبد الله بن الحسن - وهو أخو محمد - بالبصرة، وبايع الناس،
وكان ظهوره في أول شهر رمضان، وقتل يوم الاثنين لخمس بقين من ذى القعدة منها.
وسنذكر ذلك مستوفى في موضعه إن شاء الله تعالى.
وثوب السودان بالمدينة
وفي هذه السنة: ثار السودان بالمدينة على عاملها عبد الله بن الربيع الحارثي فهرب منهم،
وسبب ذلك أن المنصور لما استعمله قدم المدينة لخمس بقين من شوال، فنازع جنده التجار
في بعض ما يشترونه منهم، فشكوا ذلك إليه فانتهر التجار وشتمهم، فتزايد طمع الجند
فعدوا على صيرفي فنازعوه كيسه، فاستعان بالناس فخلصوه منه، وشكا أهل المدينة إلى
ابن الربيع فلم ينكره، ثم جاء رجل من الجند إلى جزار، فاشترى منه لحماً في يوم جمعة فلم
يعطه الثمن، وشهر عليه السيف فضربه الجزار بشفرة في خاصرته فقتله، واجتمع الجزارون
وتنادى السودان فقاتلوهم، ونفخوا في بوق لهم فسمع السودان من العالية والسافلة
فاجتمعوا، وكان رؤساؤهم ثلاثة، وهم: وثيق ويعقل وزمعة، فقتلوا في الجند حتى أمسوا،
وقصدوا ابن الربيع فهرب منهم، وأتى بطن نخل على ليلتين من المدينة فنزل به، وانتهب

السودان طعاماً للمنصور وزيتاً وغيره، فباعوا الحمل الدقيق بدرهمين، والرواية الزيت بأربعة
دراهم، ولم يصل الناس في ذلك اليوم جمعة، فذهب محمد بن عمران ومحمد بن عبد العزيز
وغيرهما إلى العبيد فكلموهم، فقالوا: مرحباً بموالينا، والله ما قمنا إلا أنفة بما عمل بكم،
فأمرنا إليكم، فأقبلوا بهم إلى المسجد فخطبهم ابن أبي سبرة، وحثهم على الطاعة
فتراجعوا، ثم قال لهم - من الغد إنكم كان منكم ما كان بالأمس - نهبتم طعام أمير
المؤمنين. فلا يبقين عند أحد منه شيء إلا رده فردوه، ورجع ابن الربيع إلى المدينة فقطع يد
وثيق ويعقل وغيرهما.

بناء بغداد

وانتقال أبي جعفر المنصور إليها

وفي هذه السنة ابتدأ المنصور في بناء مدينة بغداد، وسبب ذلك أنه كان قد ابتنى المدينة
الهاشمية بنواحي الكوفة، فلما ثارت الراوندية فيها كره سكناها لذلك، ولجوار أهل الكوفة
فإنه كان لا يأمنهم على نفسه، فخرج يرتاد موضعاً لبنائها، وكان بعض جنده قد تخلف عنه
بالمدائن لرمد أصابه، فسأله الطبيب الذي يعالجه عن سبب حركة المنصور فأخبره، فقال
الطبيب: إنا نجد في كتاب عندنا أن رجلاً يدعى مقلاصاً يبني مدينة، بين دجلة والصراة
تدعى الزوراء، فإذا أسسها وبنى بعضها أتاه فتق من الحجاز، فقطع بناءها وأصلح ذلك
الفتق، ثم أتاه فتق من البصرة أعظم منه، فلم يلبث الفتقان أن يلتئما، ثم يعود إلى بناءها
فيتمه، ثم يعمر زمناً طويلاً ويبقى الملك في عقبه، فقدم ذلك الجندي على المنصور وأخبره
الخبر، فقال: أنا والله كنت أدعى مقلاصاً ثم زال عني، وسار حتى نزل الدير - هو جوار
قصره المعروف بالخلد، ودعا صاحب الدير والبطريق وغيرهما، فاتفق رأيهم على عمارتها
في موضعها، وابتدأ بعمارتها في سنة خمس وأربعين ومائة، وكتب إلى سائر البلاد في إنفاذ
الصناع والفعلة، وأمر أن يختار له من أهل الفضل والعدالة والفقه والأمانة والمعرفة
بالهندسة، فكان ممن أحضر لذلك الحجاج بن أرطاة وأبو حنيفة، وأمر فخطت المدينة

بالرماد، فشقها ورآها، ثم أمر أن يجعل على الرماد حب القطن ويشعل بالنار، ونظر إليها
وهي تشتعل ففهمها، وأمر بحفر أساسها على ذلك الرسم، ووكل بها أربعة من القواد، كل
قائد على ربع، ووكل أبا حنيفة بعد الآجر واللبن، وكان قبل ذلك أراده المنصور على ولاية
القضاء والمظالم فلم يجب، فحلف المنصور أنه لا بد أن يعمل له، فأجابه أن ينظر في عمارة
بغداد، ويعد الآجر واللبن بالقصب - وهو أول من فعل ذلك، وجعل المنصور عرض أساس
السور من أسفله خمسين ذراعاً ومن أعلاه عشرين ذراعاً، وجعل في البناء القصب
والخشب، ووضع بيده أول لبنة وقال: بسم الله والحمد لله والأرض لله يورثها من يشاء من
عباده والعاقبة للمتقين، ثم قال: ابنو على بركة الله، فلما بلغ السور قدر قامة جاء الخبر
بظهور محمد بن عبد الله فقطع البناء وأقام بالكوفة حتى فرغ من حرب محمد وأخيه
إبراهيم، ثم عاد إلى بغداد فأتم بناءها، وكان المنصور قد أعد جميع ما تحتاج إليه المدينة،
من آلات البناء والخشب والساج وغيره، واستخلف حين شخص إلى الكوفة على إصلاح
ما أعد سلم مولاه، فبلغه أن إبراهيم قد هزم عسكر المنصور فأحرق جميع ذلك.
قال: ولما انقضى أمر إبراهيم عاد المنصور إلى بغداد في صفر سنة ست وأربعين ومائة،
واستشار خالد بن برمك في نقض المدائن وإيوان كسرى، ونقل النقاضة إلى بغداد، فقال: لا
أدري ذلك لأنه علم من أعلام الإسلام، فقال له: أبيت إلا الميل إلى أصحابك العجم!!
وأمر بنقض القصر الأبيض فنقضت ناحية منه، فلم يوف ما تحصل من النقاضة بما عزم
عليه من الكلفة، فاستشار خالد بن برمك فقال: كنت لا أرى ذلك قبل، أما إذ فعلت
فأرى أن يهدم لئلا يقال عجزت عن هدم ما بناه غيرك، فأعرض عنه وترك هدمه، ونقل
أبواب مدينة واسط فجعلها على بغداد، وباباً جيء به من الشام، وباباً من الكوفة كان
عمله خالد القسري، وجعل المدينة مدورة لئلا يكون بعض الناس أقرب إلى السلطان من
بعض، وجعل لها سورين، فالسور الداخل أعلى من الخارج، وبنى قصره في وسطها،

والمسجد الجامع بجانب القصر، وكان اللبن الذي يبنى به ذراع في ذراع، ووزن بعض اللبن لما
نقص فكان مائة رطل وسبعة عشر رطلاً، وكانت الأسواق في المدينة فجاء رسول لملك
الروم، فأمر أن يطاف به المدينة، ثم قال له: كيف رأيت؟ فقال: رأيت بناء حسناً إلا أن
أعداءك معك، وهم السوقة، فأمر المنصور بإخراجهم إلى الكرخ.
قال ابن الأثير: وكان مقدار النفقة على بنائها وبناء المسجد والقصر والأسواق والفصلان
والخنادق والأبواب أربعة آلاف ألف وثمانمائة وثلاثة وثلاثين درهماً، وكان الأستاذ من البنائين
يعمل يومه بقيراط فضة، والروز كاري بجبتين، وحاسب القواد عند الفراغ وأخذ منهم ما
بقي عندهم، فبقي عند خالد بن الصلت خمسة عشر درهماً فحبسه عليها وأخذها
منه.
وفي سنة خمس وأربعين خرجت الترك والخزر بباب الأبواب فقتلوا من المسلمين بأرمينية
جماعة كثيرة وحج بالناس السري بن عبد الله بن الحارث بن العباس.
ودخلت سنة ست وأربعين ومائة.
في هذه السنة كملت عمارة بغداد، وقد تقدم ذكر ذلك. وفيها عزل سلم بن قتيبة عن
البصرة واستعمل عليها محمد بن سليمان، وعزل عن المدينة عبد الله بن الربيع، واستعمل
عليها جعفر بن سليمان، وعزل عن مكة السري بن عبد الله، ووليها عبد الصمد بن
علي. وحج بالناس في هذه السنة عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام.
ودخلت سنة سبع وأربعين ومائة.
في هذه السنة أغار استرخان الخوارزمي في جمع من الترك بناحية أرمينية، فسبى من
المسلمين وأهل الذمة خلقاً كثيراً، ودخلوا تفليس، وكان حرب بن عبد الله مقيماً بالموصل
في ألفين من الجند لمكان الخوارج الذين بالجزيرة، فسير المنصور لمحاربة الترك جبريل بن يحيى
وحرب بن عبد الله، فقاتلهم فقتل حرب وهزم جبريل بن يحيى، وقتل خلق من أصحابه.
البيعة للمهدي
وخلع عيسى بن موسى
في هذه السنة: كلم المنصور عيسى بن موسى في أن يخلع نفسه من ولاية العهد، وتقدم

للمهدي فامتنع من ذلك، فاطرحه المنصور وحط من رتبته، وقدم المهدي عليه في الجلوس،
وأذاه بأنواع الأذى وأهانه بأنواع الإهانة، وآخر الأمر إن المنصور أمر الربيع أن يخنق عيسى
بحمائل سيفه، فخنقه وهو يستغيث: الله الله في دمي يا أمير المؤمنين، والمنصور يقول: ازهق
نفسه، هذا بحضور أبيه موسى، فقام أبوه عند ذلك وبايع للمهدي، ثم جعل عيسى بن
موسى بعده، فقال الناس: هذا الذي كان غداً فأصبح بعد غد هذا أحد الأقوال في خلعه،
وقيل بل شهد عليه ثلاثون نفراً من شيعة المنصور، أنه خلع نفسه وبايع للمهدي فأنكر ذلك،
فلم يسمع منه، وقيل بل اشترى المنصور ولاية العهد منه بأحد عشر ألف ألف درهم،
وكانت مدة ولاية عيسى الكوفة ثلاث عشرة سنة، وعزله المنصور واستعمل محمد بن
سليمان.

ذكر وفاة عبد الله بن علي وخبر عيسى بن موسى

قال: كان المنصور قد أحضر عيسى بن موسى بعد أن خلع نفسه، وسلم إليه عمه عبد
الله بن علي وأمره بقتله، وقال: إن الخلافة صائرة إليك بعد المهدي، فاضرب عنقه وإياك أن
تضعف، فينتقض علي أمري الذي دبرته، ثم مضى المنصور إلى مكة وكتب إلى عيسى من
الطريق يستعلم منه: ما فعل في الذي أمره، فكتب إليه عيسى: قد أنفذت ما أمرت به، فلم
يشك أنه قتله، وكان عيسى حين أخذ عبد الله من المنصور دعا كاتبه يونس بن أبي فروة،
واستشاره في أمره، فقال: إنما أراد المنصور أن يقتله ثم يقتلك به، لأنه أمرك بقتله سراً ثم
يدعيه عليك علانية، فلا تقتله ولا تدفعه إليه سراً أبداً، واكتم أمره، ففعل عيسى ذلك،
فلما قدم المنصور وضع على أعمامه من حركهم على الشفاعة في أخيهم عبد الله، ففعلوا
فشفعهم فيه، وقال لعيسى: إني دفعت إليك عمي وعمك عبد الله ليكون في منزلك، وقد
كلمني عمومتك فيه وقد صفحت عنه فإيتنا به، فقال: يا أمير المؤمنين ألم تأمرني بقتله!!
قال: ما أمرتك إلا بحبسه، قال: بلى، قد أمرتني، فكذبه، ثم قال لعمومته: إن هذا قد أقر
بقتل أخيكم، قالوا: فادفعه لنا نقيده به، فسلمه إليهم فخرجوا به إلى الرحبة واجتمع

الناس، وقام أحدهم ليقتله فقال عيسى: أفاعل أنت!! قال: إي والله، فقال: ردوني إلى
أمير المؤمنين فردوه إليه، فقال: إنما أردت بقتله أن تقتلني، هذا عمك حي سوي، قال: إيتنا
به فأتاه به، فقال المنصور: يدخل حتى أرى فيه رأيي ثم صرفهم، وجعله في بيت أساسه
ملح، ثم أجرى الماء على أساسه فسقط عليه البيت فمات، ودفن بمقابر المسلمين بباب
الشام وهو أول من دفن فيها، وكان عمره اثنتين وخمسين سنة.

وحج المنصور في هذه السنة بالناس.

ودخلت سنة ثمان وأربعين ومائة.

خروج حسان

بن مجالد بن يحيى بن مالك بن الأجدع الهمداني

قال: وكان خروجه بنواحي الموصل بقرية بافخارى - وهي قرب الموصل على دجلة،
فخرج إليه عسكر الموصل فهزمهم وعليهم الصقر بن نجدة، ثم سار حسان إلى الرقة ومنها
إلى البحر، ودخل بلد السند ثم عاد إلى الموصل، فخرج إليه الصقر أيضاً والحسن بن صالح
بن حسان الهمداني وبلال القيسي والتقوا، فانهزم الصقر وأسر الحسن بن صالح وبلال، فقتل
حسان بلالاً واستبقى الحسن لأنه من همدان، ففارقه بعض أصحابه لهذا.

وفي هذه السنة استعمل الأغلب بن سالم بن عقال بن خفاجة التميمي على أفريقية، وبعث
بعهده إليه بها، وحج المنصور بالناس في هذه السنة.

ودخلت سنة تسع وأربعين ومائة.

في هذه السنة غزا العباس بن محمد الصائفة أرض الروم، ومعه الحسن بن قحطبة ومحمد
بن الأشعث فمات محمد في الطريق وفيها استتم المنصور بناء سور بغداد وخندقها، وفرغ
من جميع أمورها وسار إلى حديثة الموصل وعاد. وحج بالناس محمد بن إبراهيم بن محمد
بن علي بن عبد الله بن عباس.

ودخلت سنة خمسين ومائة.

خروج استاذ سيس

في هذه السنة خرج استاذ سيس في أهل هراة وباذغيس وسجستان وغيرها من
خراسان، فكان - مما قيل - في ثلاثمائة ألف مقاتل فغلبوا على عامة خراسان وسار حتى

التقى هو وأهل مرو الروذ وعليهم الأجثم المرورذي، فاقتتلوا فقتل الأجثم، وهزم استاذ
سيس عدة من القواد، فوجه المنصور خازم بن خزيمة لحربه وضم إليه القواد، فسار خازم
والتقوا واقتتلوا، وكانت بينهم حروب آخرها أن استاذ سيس انهزم، وأكثر المسلمون القتل
في أصحابه، فكان عدة من قتل سبعين ألفاً، وأسروا أربعة عشر ألفاً، ونجا استاذ سيس
إلى جبل في نفر يسير، فحصرهم خازم وقتل الأسرى، ووافى أبو عون وابن سلم، فنزل
استاذ سيس على حكم أبي عون، فحكم أن يوثق هو وبنوه وأهل بيته بالحديد، وأن يعتق
الباقون وهم ثلاثون ألفاً، فأمضى خازم حكمه وكسى كل رجل ثوبين، وقيل إن استاذ
سيس ادعى النبوة وأظهر أصحابه الفسق وقطع السبيل، وقيل إنه جد المأمون - أبو أمه
مراجل.

وحج بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن علي وهو عامل مكة.

ودخلت سنة إحدى وخمسين ومائة.

في هذه السنة عزل المنصور عمر بن حفص بن عثمان بن قبيصة بن أبي صفرة عن
السند، واستعمل عليها هشام بن عمرو التغلبي، واستعمل عمر بن حفص على أفريقية ثم
عزله عنها، واستعمل يزيد بن حاتم بن قبيصة بن أبي صفرة.

بناء الرصافة
للمهدي

في هذه السنة قدم المهدي من خراسان في شوال، فقدم عليه أهل بيته من الشام والكوفة
وغيرها، فهنأوه بقدومه فأجازهم وحملهم وكساهم، وفعل بهم المنصور مثل ذلك، وبنى
الرصافة، وكان سبب بنائها أن بعض الجند شغبوا على المنصور وحاربوه على باب
الذهب، فدخل عليه قثم بن العباس بن عبيد الله بن العباس، وهو شيخهم وله الحرمة
فيهم والتقدم عندهم، فقال له المنصور: أما ترى ما نحن فيه من وثوب الجند علينا، وقد
خفت أن تجمع كلمتهم فيخرج هذا الأمر من أيدينا، فما ترى؟ فقال: يا أمير المؤمنين عندي
رأي، وإن أظهرته لك فسد وإن تركتني أمضيته وصلحت خلافتك، وهابك الجند، قال:
أفتمضي في خلافتي شيئاً لا أعلمه؟ فقال له: إن كنت عندك متهماً فلا تشاورني، وإن

كنت مأموناً فدعني أفعل رأيي، فقال له: امضه، فانصرف قثم إلى منزله فدعا غلاماً له فقال
له: إذا كان غداً فتقدمني فاجلس في دار أمير المؤمنين، فإذا دخلت وتوسطت أصحاب
المراتب فخذ بعنان بغلتي، واستحلفني بحق رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق العباس
وحق أمير المؤمنين لما وقفت لك، وسمعت مسألتك وأجبتك عنها، وسأنهرك وأغلظ لك
فلا تجب، وعاود المسألة فسأضربك فعاود، وقل لي أي الحيين أشرف: اليمن أو مضر؟
فإذا أجبتك فاترك البغلة وأنت حر، ففعل الغلام ما أمره به، فقال له قثم: مضر أشرف لأن
منها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وفيها كتاب الله، وفيها بيت الله، ومنها خليفة الله،
فامتعضت اليمن إذ لم يذكر لها شيئاً، فقال بعض قوداهم: ليس الأمر كذلك مطلقاً بغير
فضيلة!! ثم قال لغلام له: قم إلى بغلة الشيخ فاكبحها، ففعل حتى كاد يقعيها، فامتعضت
مضر وقالوا: يفعل هذا بشيخنا!! وأمر بعضهم غلامه فضرب يد ذلك الغلام فقطعها،
فتفرق الحيان، ودخل قثم على المنصور، وافترقت الجند، فصارت مضر واليمن فرقة
والخراسانية فرقة، فقال قثم للمنصور: قد فرقت بين جندك وجعلتهم أحزاباً، كل حزب
منهم يخاف أن تضربه بالآخر، وقد بقي في التدبير بقية، وهي أن تترك ابنك في ذلك
الجانب، وتحول معه قطعة من جيشك، فيصير ذلك بلداً وهذا بلداً، فإن فسد عليك
أولئك ضربتهم بهؤلاء، وإن فسد هؤلاء ضربتهم بأولئك، فقبل رأيه واستقام ملكه، وبنى
الرصافة وتولى ذلك صاحب المصلى.
وحج بالناس محمد بن إبراهيم الإمام، وهو عامل مكة والطائف.
وفيها قتل معن بن زائدة
الشيباني أمير سجستان، بعد منصرفه من غزاة رتبيل وانصرافه إلى بست، فاختفى بعض
الخوارج في منزله، ثم دخلوا عليه وهو يحتجم فقتلوه، وشق أحدهم بطنه بخنجر، وقال
بعض من ضربه: أنا الغلام الطاقي، والطاق رستاق بقرب زرنج، فقتلهم يزيد بن مزيد فلم ينج
منهم أحد، وقام يزيد بأمر سجستان.
ودخلت سنة اثنتين وخمسين ومائة.

في هذه السنة غزا حميد بن قحطبة كابل، وكان المنصور استعمله على خراسان سنة
إحدى وخمسين ومائة. وغزا الصائفة عبد الوهاب بن إبراهيم، وقيل أخوه محمد.
وحج بالناس في هذه السنة المنصور.
ودخلت سنة ثلاث وخمسين ومائة.
قتل المورياني الوزير
في هذه السنة قبض المنصور على أبي أيوب المورياني وعلى أخيه وبني أخيه، وكان قد
سعى بهم كاتبه إبان بن صدقة، وقيل: كان سبب قبضه أن المنصور في دولة بني أمية ورد
الموصل، وأقام بها مستتراً، وتزوج امرأة من الأزد فحملت منه، ثم فارق الموصل وأعطاها
تذكرة، وقال لها إذا سمعت بدولة بني هاشم فأرسلي هذه التذكرة إلى صاحب الأمر فهو
يعرفها، فوضعت المرأة ولداً سمته جعفراً، فنشأ وتعلم الكتابة وما يحتاج إليه الكاتب، وولي
المنصور الخلافة فقدم جعفر إلى بغداد واتصل بأبي أيوب، فجعله كاتباً - بالديوان فطلب
المنصور يوماً من أبي أيوب كاتباً - يكتب له شيئاً، فأرسل إليه جعفراً، فلما رآه المنصور
مال إليه وأحبه، فأمره بالكتابة فرآه ماهراً حاذقاً، فسأله: من أين هو؟ ومن أبوه؟ فذكر له
الحال وأراه التذكرة فعرفها، فصار يطلبه في كل وقت بحجة الكتابة، فخافه أبو أيوب، ثم إن
المنصور أحضره يوماً وأعطاه مالاً، وأمره أن يصعد إلى الموصل ويحضر والدته، وأنه إذا
رجع وقارب بغداد لقيه المنصور بالعساكر وغيرها، وأمره أن يكتم حاله ويفارق الديوان
مغضباً، فخرج إلى الديوان فقال له أبو أيوب: ما أبطأك؟ قال: كنت في حاجة لأمير
المؤمنين، فسأله عما كتب فقال: ما كنت لأذيع سر أمير المؤمنين، فسبه أبو أيوب فأغلق
جعفر دواته، وقال: والله لا عدت لهذا الديوان أبداً، وفارقه مغضباً فتوهم منه أبو أيوب،
وتعرف أحواله ووضع عليه العيون، فقيل له: إن حاله حسنت، وأنه جدد له مراكيب
وسافر، فبعث في أثره من اغتاله، فقتل وأحضر إليه ما كان معه، فرأى في متاعه ما دله
على أنه ولد أمير المؤمنين، فسقط في يده وتوقع السوء، ولما أبطأ خبره على المنصور بعث

إلى الموصل من يسأل عنه، فقالت أمه: لا علم لي به إلا أنه ببغداد، يكتب في ديوان أمير
المؤمنين، فأرسل المنصور من قص أثره، ولم يزل يدقق البحث حتى علم أن قتله من قبل أبي
أيوب، فنكبه هو وأهله.
وفيها غزا الصائفة معيوف بن يحيى، ووصل إلى حصن من حصون الروم ليلاً وأهله نيام،
فسبى وأسر من كان فيه، وقصد اللاذقية الخراب فسبى منها ستة آلاف رأس سوى
الرجال البالغين.
وحج في هذه السنة المهدي بن المنصور بالناس.
ودخلت سنة أربع وخمسين ومائة.
في هذه السنة سار المنصور إلى الشام وبيت المقدس، وبعث يزيد بن حاتم بن قبيصة بن
المهلب بن أبي صفرة إلى أفريقية في خمسين ألفاً، لحرب الخوارج الذين قتلوا عمر بن حفص.
وحج بالناس محمد بن إبراهيم.
ودخلت سنة خمس وخمسين ومائة.
في هذه السنة سير المنصور المهدي لبناء الرافقة، فسار إليها فبناها على بناء مدينة
بغداد، وعمل للكوفة والبصرة سوراً وخندقاً، وجعل ما أنفق فيه من أموال أهلهما.
قال: وأراد المنصور معرفة عددهم، فأمر أن يقسم فيهم خمسة دراهم خمسة دراهم، فلما
انحصرت له عدتهم أمر بجبايتهم أربعين درهماً من كل واحد، فقال شاعرهم:

يا لقوم ما لقينا من أمير المؤمنينا
قسم الخمسة فينا وجبانا الأربعينا

ودخلت سنة ست وخمسين ومائة.
لم يكن في هذه السنة من الحوادث ما نذكره في هذا الموضع.
وحج بالناس العباس بن
محمد بن علي.
ودخلت سنة سبع وخمسين ومائة.
في هذه السنة بنى المنصور قصره الذي يدعى الخلد. وفيها حول الأسواق إلى الكرخ
وتقدم السبب في ذلك وحج بالناس إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن
عباس. وفيها مات عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام.
ودخلت سنة ثمان وخمسين ومائة.
وفاة المنصور
كانت وفاته يوم السبت لست خلون من ذى الحجة من هذه السنة ببئر ميمون على أميال

من مكة، قال المؤرخ: ورأى المنصور قبل وفاته بيسير أعاجيب كثيرة، ومواعظ مؤذنة
بوفاته، منها أنه هتف به هاتف في قصره فسمعه يقول:

أما ورب السكون والحرك إن المنايا كثيرة الشرك
عليك يا نفس إن أسأت وإن أحسنت في اليوم كان ذاك لك
ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم السماء في فلك
إلا لنقل السلطان عن ملك قد انقضى ملكه إلى ملك
حتى يصيرانه إلى ملك ما عز سلطانه بمشترك
ذاك بديع السماء والأرض وال مرسي الجبال المسخر الفلك

فلما سمع المنصور ذلك قال: هذا أوان أجلي، قال الطبري - وقد حكى عبد العزيز بن
مسلم قال: دخلت على المنصور يوماً عليه، فإذا هو باهت لا يحير جواباً، فوثبت لأنصرف
لما أراه منه، فقال بعد ساعة: إني رأيت في المنام كأن رجلاً ينشدني:

أأخي أخفض من مناكا فكأن يومك قد أتاكا
ولقد أراك الدهر من تصريفه ما قد أراكا
فإذا أردت الناقص ال عبد الذليل فأنت ذاكا
ملكت ما ملكته والأمر فيه إلى سواكا

فهذا ما ترى من قلقي وغمي، فقلت: خيراً رأيت يا أمير المؤمنين، ولم يلبث أن خرج إلى
مكة، ومن ذلك أنه لما نزل آخر منزل نزله من طريق مكة نظر في صدر البيت الذي نزل فيه
فإذا فيه مكتوب:

أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت سنوك وأمر الله لا بد واقع
أبا جعفر هل كاهن أو منجم لك اليوم من حر المنية مانع

فدعا المتولي لإصلاح المواضع فقال: ألم آمرك ألا يدخل أحد من الدعاة هذا البيت؟ !
فحلف أنه لم يدخله أحد، فقال: اقرأ ما في صدر هذا البيت، قال: ما أرى شيئاً، فالتفت
إلى حاجبه وقال: اقرأ آية من كتاب الله تعالى تشوقني إلى لقائه، فقرأ "وسيعلم الذين ظلموا
أي منقلب ينقلبون"، فقال له: ما وجدت آية غير هذه الآية، قال: والله لقد محى القرآن من
قلبي غيرها.

وصية المنصور
لابنه المهدي

قال: ولما سار المنصور من بغداد ليحج نزل قصرعبدويه، وأحضر المهدي وكان قد صحبه
فوصاه بالمال والسلطان، يفعل ذلك كل يوم من أيام مقامه بكرة وعشية، فلما كان في اليوم

الذي ارتحل فيه قال له: إني لم أدع شيئاً إلا وقد تقدمت إليك فيه، وسأوصيك بخصال وما
أظنك تفعل منها واحدة - وكان له سفط فيه دفاتر علمه وعليه قفل لا يفتحه غيره، فقال
للمهدي: انظر إلى هذا السفط فاحتفظ به، فإن فيه علم آبائك - ما كان وما هو كائن إلى
يوم القيامة - فإن أهمك أمر فانظر إلى الدفتر الكبير، فإن أصبت فيه ما تريد وإلا في الثاني
والثالث حتى بلغ سبعة، فإن ثقل عليك فالكراسة الصغيرة، فإنك واجد فيها ما تريد، وما
أظنك تفعل! واقطن هذه المدينة وإياك أن تستبدل بها غيرها، وقد جمعت لك من الأموال
ما إن كسر عليك الخراج عشر سنين كفاك، لأرزاق الجند والنفقات ومصلحة الثغور
والذرية ومصلحة البعوث، فاحتفظ به، فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك عامراً، وما
أظنك تفعل! وأوصيك بأهل بيتك أن تظهر كرامتهم، وأن تحسن إليهم وتقدمهم، وتوطيء
الناس أعقابهم وتوليهم المنابر، فإن عزك في عزهم وذكرهم لك، وما أظنك تفعل! وانظر
إلى مواليك وأحسن إليهم وقربهم واستكثر منهم، فإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك، وما
أظنك تفعل! وأوصيك بأهل خراسان فإنهم أنصارك، وشيعتك الذين بذلوا أموالهم
ودماءهم في دولتك، ومن لا تخرج محبتك من قلوبهم، أن تحسن إليهم وتتجاوز عن مسيئهم
وتكافئهم عما كان منهم وتخلف من مات منهم في أهله وولده، وما أظنك تفعل! وإياك أن
تبني المدينة الشرقية فإنك لا تتم بناءها، وأظنك ستفعل! وإياك أن تستعين برجل من بني
سليم، وأظنك ستفعل! وإياك أن تدخل النساء في أمرك، وأظنك ستفعل!
وقيل: إنه قال له إني ولدت في ذى الحجة، ووليت في ذى الحجة، وقد هجس في نفسي أن
أموت في ذى الحجة من هذه السنة، فاتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين بعدي،
يجعل الله لك فيما كربك وحزبك فرجاً ومخرجاً، ويرزقك السلامة وحسن العافية من
حيث لا تحتسب.
يا بني احفظ محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته يحفظ الله عليك أمورك. وإياك والدم

الحرام فإنه حوب عند الله عظيم. وعار في الدنيا لازم مقيم. والزم الحدود فإن فيها
صلاحك في العاجل. ولا تعتد فيها فتبور. فإن الله تعالى لو علم شيئاً أصلح منها لدينه
وأزجر عن معاصيه لأمر به في كتابه. واعلم أن من شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه
بتضعيف العذاب والعقاب. على من سعى في الأرض فساداً. مع ما ذخره له عنده من
العذاب العظيم. فقال تعالى: "إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض
فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض" الآية.
فالسلطان - يا بني - حبل الله المتين وعروته الوثقى ودينه القيم. فاحفظه وحصنه وذب
عنه. وأوقع بالملحدين فيه واقمع المارقين منه واقتل الخارجين عنه بالعقاب. ولا تجاوز ما
أمر الله به في محكم القرآن. فاحكم بالعدل ولا تشطط. فإن ذلك أقطع للشغب.
وأحسم للعدو. وأنجع في الدواء. وعف عن الفيء فليس بك حاجة إليه مع ما أخلفه
لك، وافتتح بصلة الرحم وبر القرابة، وإياك والتبذير لأموال الرعية، واشحن الثغور واضبط
الأطراف وأمن السبل، وسكن العامة وأدخل المرافق عليهم، وادفع المكاره عنهم، وأعد
الأموال واخزنها، وإياك والتبذير فإن النوائب غير مأمونة - وهي من شيم الزمان، وأعد
الكراع والرجال والجند ما استطعت، وإياك وتاخير عمل اليوم إلى غد فتتدارك عليك
الأمور وتضيع، خذ في إحكام الأمور النازلات لأوقاتها أولاً أولاً وشمر فيها، واعدد رجالاً
بالليل لمعرفة ما يكون بالنهار، ورجالاً بالنهار لمعرفة ما يكون في الليل، وباشر الأمور بنفسك
ولا تضجر ولا تكسل، واستعمل حسن الظن وأسيء بعمالك وكتابك، وخذ نفسك
بالتيقظ، وتفقد من أقمته على بابك، وستهل إذنك للناس وانظر في أمر النزاع إليك، ووكل
بهم عيناً غير نائمة ونفساً غير لاهية، ولا تنم فإن أباك لم ينم مذ ولي الخلافة، ولا دخل
عليه الغمض إلا وقلبه مستيقظ هذه وصيتي إليك، والله خليفتي عليك، ثم ودعه وبكيا.
ثم سار المنصور إلى الكوفة وجمع بين الحج والعمرة، وساق الهدي وأشعره وقلده لأيام

خلت من ذى القعدة، فلما سار منازل من الكوفة عرض له وجعه الذي مات به – وهو
القيام، ولما اشتد به جعل يقول للربيع: بادر بي حرم ربي هارباً من ذنوبي، وكان الربيع
عديله، ووصاه بما أراد، ولما وصل بئر ميمون مات بها في التاريخ الذي قدمناه، ولم يحضر
عند موته أحد إلا خدمه والربيع مولاه، فكتم الربيع موته ومنع من البكاء عليه، ثم أصبح
فحضر أهل بيته على عادتهم، فأذن الربيع لعمه عيسى فمكث ساعة، ثم أذن لابنه
موسى، ثم أذن للأكابر وذوي الأسنان منهم ثم لعامتهم، فبايعهم الربيع للمهدي ولعيسى بن
موسى من بعده، ثم بايع القواد وعامة الناس، وسار العباس بن محمد، ومحمد بن سليمان
إلى مكة ليبايعا الناس، فبايعوا بين الركن والمقام.
وجهزوا المنصور ففرغوا منه العصر، وكفن وغطى وجهه وبدنه وجعل رأسه مكشوفاً
لأجل إحرامه، وصلى عليه عيسى بن موسى، وقيل إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي
بن عبد الله ابن عباس، ودفن في مقبرة المعلاة، وحفر له مائة قبر ليغموه على الناس، ودفن
في غيرها، ونزل في قبره عيسى بن علي، وعيسى بن محمد، والعباس بن محمد والربيع
والربان مولياه ويقطين، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة، وقيل أربعاً وستين سنة، وقيل ثمانياً
وستين. وكانت مدة خلافته اثنتين وعشرين سنة إلا سبعة أيام.
وكان أسمر نحيفاً خفيف
العارضين. أولاده: محمد المهدي وجعفر الأكبر أمهما أروى بنت منصور أخت يزيد بن
منصور الحميري، وكانت تكنى أم موسى، ومات جعفر قبل المنصور، ومنهم سليمان
وعيسى ويعقوب أمهم فاطمة بنت محمد من ولد طلحة بن عبيد الله، وجعفر الأصغر أمه
أم ولد كردية، وصالح المسكين وأمه أم ولد رومية، والقاسم مات قبل المنصور وله عشر
سنين أمه أم ولد تعرف بأم القاسم والعالية أمها امرأة من بني أمية - هذا ما نقله ابن الأثير،
قال غيره وعبد العزيز والعباس. وزراؤه: أبو عطية الباهلي ثم أبو أيوب المورياني ثم الربيع
مولاه، ووزر له: خالد بن برمك مدة يسيرة. قضاته: عبد الله بن محمد بن صفوان، وشريك

بن عبد الله، والحسن بن عمار، والحجاج بن أرطاة، وقيل إن يحيى بن سعيد وأبا عثمان
التميمي قضيا في أيامه. حجابه: الربيع مولاه قبل أن يستوزره، ثم عيسى مولاه، ثم أبو
الخصيب مولاه.
الأمراء بمصر: صالح بن علي واستخلف أبا عون عبد الملك بن يزيد، ثم نقل المنصور
صالحاً إلى الجزيرة، وأمر على مصر موسى بن كعب ثم صرفه، وولى محمد بن الأشعث
الخزاعي ثم عزله، وولى حميد بن قحطبة، ثم يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي
صفرة، وولى عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج فتوفي، فأمر عليها أخاه محمد بن
عبد الرحمن فتوفي فوليها موسى بن علي بن رباح. القضاة بها: في أيام المنصور غوث بن
سليمان، ثم سار مع صالح بن علي فولى أبو خالد يزيد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن
بلال، ثم عاد غوث إليها، ثم صرفه يزيد بن حاتم وولى أبا خزيمة إبراهيم بن يزيد الرعيني،
ثم وليها أبو عبد الرحمن عبد الله بن لهيعة بن عقبة بن فرعان الحضرمي من قبل المنصور،
وهو أول قاض خرج لنظر هلال شهر رمضان.
من سيرة المنصور
قال سلام الأبرش: كنت أخدم المنصور وكان من أحسن الناس خلقاً ما لم يخرج إلى
الناس، وأشد احتمالاً لما يكون من عبث الصبيان، فإذا لبس ثوبه أربد لونه واحمرت
عيناه. قال: وقال لي يوماً: إذا رأيتني لبست ثيابي أو رجعت من مجلسي فلا يدنون مني
أحد، قال: ولم ير في داره لهو ولا شيء يشبه اللهو والعبث إلا مرة واحدة، رأى بعض أولاده
قد ركب راحلة - وهو صبي، وتنكب قوساً في هيئة غلام أعرابي، بين جوالقين فيهما مقل
وأراك وما يهديه الأعراب، فعجب الناس من ذلك وأنكروه، وعلموا أنه ضرب من عبث
الملوك، قال حماد التركي: كنت واقفاً على رأس المنصور فسمع جلبة، فقال: انظر ما هذا؟
فذهبت فإذا خادم له قد جلس وحوله الجواري، وهو يضرب لهن بالطنبور وهن يضحكن
فأخبرته، فقال وأي شيء الطنبور!! فوصفته له، فقال: ما يدريك أنت ما الطنبور!!

فقلت رأيته بخراسان، فقام المنصور إليهن فلما رأينه تفرقن، فأمر بالخادم فضرب رأسه
بالطنبور حتى تكسر الطنبور، وباع الخادم.
قال بعض المؤرخين كان المنصور يخضب بالسواد، وقيل: كان يغير لون شيبه في كل شهر
بألف مثقال مسك. قال: وأمر بتوسعة المسجد الحرام من ناحية باب الندوة سنة تسع
وثلاثين ومائة، وبنى مسجد الخيف. وفي أيامه فتحت المولتان والقندهار من أرض السند،
وهدم البد وبنى مكانه مسجد.
وفي أيامه مات أبو حنيفة النعمان بن ثابت في سنة خمس وأربعين ومائة ومات جعفر بن
محمد الصادق في سنة ثمان وأربعين ومائة. وقد قدمنا من أخبار أبي جعفر المنصور، ومن
الوقائع التي اتفقت في أيامه وما أنشأه من المدن والعمائر ما فيه الكفاية، ولا يورد في التواريخ
المختصرة أكثر من هذا فلنذكر أخبار من قام بالأمر بعده والله الموفق.
خلافة المهدي
هو أبو عبد الله محمد بن أبي جعفر عبد المنصور، وأمه أروى أم موسى بنت منصور بن
عبد الله بن يزيد بن شمر الحميري، وهو الثالث من الخلفاء العباسيين، بويع له يوم السبت
لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة على ما قدمناه، وقيل إنه لما مات
المنصور خرج الربيع وبيده قرطاس، ففتحه وقرأه فإذا فيه:
بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله المنصور أمير المؤمنين إلى من خلف من بني هاشم وشيعته من أهل خراسان
وعامة المسلمين ثم بكى وبكى الناس. ثم قال قد أمكنكم البكاء فانصتوا رحمكم الله ثم
قرأ:
أما بعد فإني كتبت كتابي وأنا حي، في آخر يوم من أيام الدنيا وأول يوم من أيام الآخرة،
وأقرىء عليكم السلام، وأسأل الله ألا يفتنكم من بعدي ولا يلبسكم شيعاً، ولا يذيق
بضعكم بأس بعض، ثم أخذ في وصيتهم وإذكارهم البيعة له، وحثهم على الوفاء بعهده.
ثم تناول يد الحسن ابن زيد العلوي فقال له: قم فبايع الناس، فقام إلى موسى بن المهدي
فبايعه لأبيه، ثم بايع الناس الأول فالأول.
ودخلت سنة تسع وخمسين ومائة.

ظهور المقنع
بخراسان وهلاكه
في هذه السنة ظهر المقنع بخراسان، وكان رجلاً أعور قصيراً من أهل مرو، وكان يسمى
حكيماً، وكان اتخذ وجهاً من ذهب، وجعله على وجهه لئلا يرى فسمي المقنع، وادعى
الإلهية ولم يظهر ذلك لجميع أصحابه، وكان يقول: إن الله خلق آدم فتحول في صورته، ثم في
صورة نوح وهكذا إلى أبي مسلم الخراساني، ثم تحول إلى هاشم، وهاشم في دعواه هو
المقنع، ويقول بالتناسخ، فبايعه خلق من ضلال الناس، وكانوا يسجدون له من أي النواحي
كانوا، وكانوا يقولون في الحرب: يا هاشم أعنا، واجتمع إليه خلق كثير، وتحصنوا في قلعة
سام بزده، وظهرت المبيضة ببخارى والصغد معاونين له، وأعانه كفار الأتراك وأغاروا على
أموال المسلمين، واجتمعوا بكش وغلبوا على بعض قصورها فحاربهم أبو النعمان والجنيد
وليث بن نصر مرة بعد مرة، ثم اشتغلوا بقتال المبيضة فقاتلوهم أربعة أشهر، وهزموهم
فلحق منهزموهم بالمقنع، ثم سير المهدي أبا عون لمحاربة المقنع، فلم يبالغ في قتاله فعزله
واستعمل معاذ بن مسلم، فسار معاذ في سنة إحدى وستين ومائة في جماعة من القواد
والعساكر، فالتقوا واقتتلوا فهزموا أصحاب المقنع، فقصد المنهزمون المقنع وهو بسام،
فأصلح خندقها وحصنها، وأقبل معاذ فحاربهم وكان سعيد الحرشي مع معاذ فنافره،
فكتب الحرشي إلى المهدي في معاذ وضمن له أنه إن أفرده بحرب المقنع كفاه، فأجابه إلى
ذلك وانفرد الحرشي بحربه، وأمده معاذ بابنه رجاء في جيش وبجميع ما التمس منه، وطال
الحصار على المقنع فطلب أصحابه الأمان سراً منه، فأجابهم الحرشي فخرج إليه منهم نحو
من ثلاثين ألفاً، وبقي المقنع في ألفين وضايقه العسكر، فلما أيقن بالهلاك جمع نساءه وأهله
فسقاهم السم فأتى عليهم وأمر أن يحرق هو بالنار لئلا يقدر على جثته، وقيل بل حرق كل
ما قلعته من حيوان وغيره، ثم قال: من أحب أن يرتفع معي في السماء فليلق نفسه معي في
هذه النار، وألقى نفسه مع نسائه وأهله وخواصه فاحترقوا، ودخل العسكر القلعة

فوجدوها خاوية خالية، وكان ذلك مما زاد في افتتان من بقي من أصحابه، وقيل بل شرب
هو من السم فمات وأنفذ الحرشي رأسه إلى المهدي، فوصل إليه وهو بحلب في سنة ثلاث
وستين ومائة.
نعود إلى بقية حوادث سنة تسع وخمسين. وفيها توفي حميد بن قحطبة عامل خراسان
واستعمل المهدي أبا عون عبد الملك. وحج بالناس يزيد بن منصور خال المهدي عند
قدومه من اليمن.
ودخلت سنة ستين ومائة.
في هذه السنة: خرج يوسف بن إبراهيم المعروف بالبرم بخراسان منكراً سيرة المهدي،
واجتمع معه بشر كثير، وتوجه إليه يزيد بن مزيد الشيباني وهو ابن أخي معن بن زائدة،
فاقتتلا حتى صارا إلى المعانقة فأسره يزيد، وبعث به إلى المهدي وبعث معه بوجوه
أصحابه، فقطعت يدا يوسف ورجلاه، وقتل هو وأصحابه وصلبوا على الجسر، وقيل إنه
كان حرورياً وأنه تغلب على بوشنج - وعليها مصعب بن زريق فهرب منه، وتغلب أيضاً
على مرو الروذ والطالقان والجوزجان.
خلع عيسى
بن موسى وبيعة موسى الهادي
قال: كان جماعة من بني هاشم وشيعة المهدي خاضوا في خلع عيسى من ولاية العهد،
والبيعة لموسى الهادي بن المهدي فسر المهدي بذلك، وكتب إلى عيسى في القدوم عليه
وهو بقريته الرحبة من أعمال الكوفة، فأحس بما يراد منه فامتنع من القدوم عليه، فألح
المهدي عليه حتى بعث إليه يقول: إنك إن لم تجبني إلى أن تنخلع من ولاية العهد لموسى
وهارون استحللت منك بمعصيتك ما يستحل من أهل المعاصي، وإن أجبتني عوضتك
منها بما هو أجدى عليك وأعجل نفعاً، فلم يقدم عليه وخيف انتقاضه، فوجه إليه المهدي
عمه العباس يستدعيه فلم يجب فلما عاد العباس وجه المهدي أبا هريرة محمد بن فروخ
القائد، في ألف من شيعة المهدي فأشخصوه إليه، فلما قدم عيسى نزل دار محمد بن
سليمان، وأقام أياماً يختلف إلى المهدي، وهو لا يكلمه بشيء ولا يرى مكروهاً، فحضر

الدار يوماً قبل جلوس المهدي فجلس في مقصورة الربيع، وقد اجتمع رؤساء شيعة المهدي
على خلعه، فثاروا به وضربوا باب المقصورة بالعمد حتى هشموه، وشتموا عيسى أقبح
شتم، وأظهر المهدي إنكاراً لما فعلوه فلم يرجعوا، فبقوا في ذلك أياماً وكان أشدهم عليه
محمد بن سليمان، وكاشفه المهدي وألح عليه، فذكر أن عليه أيماناً في أهله وماله، فأفتاه
الفقهاء بما رأوا أنه لا يحنث فأجاب إلى خلع نفسه، فأعطاه المهدي عشرة آلاف ألف درهم
وضياعاً بالزاب وكسكر، وخلع نفسه لأربع بقين من المحرم وبايع للمهدي ولابنه موسى
الهادي، ثم جلس المهدي من الغد وأحضر أهل بيته وأخذ بيعتهم، ثم خرج المهدي إلى
الجامع وعيسى معه فخطب الناس، وأعلمهم بخلع عيسى وبيعة الهادي، وبايعهم فسارعوا
إلى بيعته، فقال بعض الشعراء:

كره الموت أبو موسى وقد كان في الموت نجاء وكرم
خلع الملك وأضحى ملبساً ثوب لوم ما ترى منه القدم

وحج المهدي في هذه السنة بالناس، واستخلف على بغداد ابنه موسى وخاله يزيد بن
منصور، وفيها نزع المهدي كسوة الكعبة وكساها كسوة جديدة، وكان سبب نزعها أن
حجبة الكعبة ذكروا له أنهم يخافون على الكعبة أن تتهدم، لكثرة ما عليها من الكسوة
فنزعها، وكانت كسوة هشام بن عبد الملك من الديباج الثخين، وما قبلها من عمل اليمن،
قال: وطلى جدرانها بالمسك والعنبر، وكانت الكعبة في جانب المسجد لم تكن متوسطة،
فهدم حيطان المسجد وزاد فيه زيادات، واشترى الدور والمنازل حتى صارت الكعبة في
الوسط على ما هي عليه الآن، وحمل من مصر إلى المسجد الحرام أربعمائة وثمانين
أسطوانة، وصير فيه أربعمائة طاق وثمانية وتسعين طاقاً، وجعل له ثلاثاً وعشرين باباً،
وجعل سلاسل قناديله ذهباً، وجعل ذرعه مكسراً مائة ألف وعشرين ألف ذراع، وقسم
مالاً عظيماً كان معه من العراق، مبلغه ثلاثون ألف ألف درهم، ووصل إليه من مصر
ثلاثمائة ألف دينار، ومن اليمن مائتا ألف درهم، ففرق ذلك كله وفرق مائة ألف ثوب

وخمسين ألف ثوب، ووسع مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وألبس خارج القبر
المقدس الرخام، وأخذ خمسمائة من الأنصار يكونون حرساً له بالعراق، وأقطعهم بالعراق
وأجرى عليهم الأرزاق. وحمل إليه محمد بن سليمان الثلج إلى مكة، وهو أول خليفة حمل
إليه الثلج إلى مكة.
ودخلت سنة إحدى وستين ومائة.
في هذه السنة: أمر المهدي ببناء القصور بطريق مكة، وأمر باتخذ المصانع في كل منهل،
وبتجديد الأموال والبرك وحفر الركايا، وولى ذلك يقطين بن موسى، وأمر بالزيادة في مسجد
البصرة، وأمر بتقصير المنابر في البلاد، وجعلها بمقدار منبر النبي صلى الله عليه وسلم.
وحج بالناس في هذه السنة موسى الهادي ولي العهد.
ودخلت سنة اثنتين وستين ومائة.
قتل عبد السلام الخارجي
في هذه السنة: قتل عبد السلام بن هاشم اليشكري بقنسرين، وكان قد خرج بالجزيرة
فاشتدت شوكته وكثر أتباعه، فلقيه عدة من قواد المهدي فيهم عيسى بن موسى القائد،
فقتله في عدة ممن معه وهزم جماعة من القواد - وفيهم شبيب بن واج المروروذي، فندب
المهدي إلى شبيب ألف فارس، وأعطى كل رجل منهم ألف درهم معونة، فوافوا شبيباً
فخرج بهم في طلب عبد السلام، فهرب عبد السلام منه فأدركه بقنسرين فقاتله بها فقتله.
وفيها وضع المهدي ديوان الأزمة، وولى عليها عمر بن بزيع مولاه. وأجرى المهدي على
المجذمين وأهل السجون في جميع الآفاق الأرزاق.
ودخلت سنة ثلاث وستين ومائة.
في هذه السنة: تجهز المهدي لغزو الروم فجمع الأجناد من خراسان وغيرها، وسار على
الموصل والجزيرة وعبر الفرات إلى حلب، وأرسل وهو بحلب فجمع الزنادقة بتلك البلاد
فقتلهم وقطع كتبهم. وسار عنها مشيعاً لابنه هارون حتى جاز الدرب وبلغ جيحان،
وسار هارون بالعساكر فنازل حصن سمالو فحصره ثمانية وثلاثين يوماً، ونصب عليه
المجانيق ففتحه بالأمان وفتح فتوحاً كثيرة.
وفيها ولى المهدي ابنه هارون المغرب كله وأذربيجان وأرمينية، وجعل كاتبه على الخراج

ثابت بن موسى، وعلى رسائله يحيى بن خالد بن برمك. وحج بالناس في هذه السنة علي
بن المهدي.
ودخلت سنة أربع وستين ومائة.
في هذه السنة سار المهدي ليحج فلما بلغ العقبة رأى قلة الماء وحم فرجع، وسير أخاه
صالحاً ليحج بالناس، ولحق الناس عطش شديد حتى كادوا يهلكون.
ودخلت سنة خمس وستين ومائة.
في هذه السنة: سير المهدي ابنه الرشيد لغزو الروم في خمسة وتسعين ألفاً وتسعمائة وثلاثة
وتسعين رجلاً ومعه الربيع، فوعك الرشيد في بلاد الروم، ولقيه عسكر نقيطا قومس
القوامسة، فبارزه يزيد بن مزيد الشيباني فأثخنه يزيد، وانهزمت الروم وغلب المسلمون على
معسكرهم، وساروا إلى الدمستق وهو صاحب المسالح، فحمل لهم مائة ألف دينار وثلاثة
وتسعين ألفاً وأربعمائة وخمسين ديناراً، ومن الورق أحداً وعشرين ألف ألف درهم وأربعة
عشر ألفاً وثمانمائة درهم، وسار الرشيد حتى بلغ خليج القسطنطينية، والروم يومئذ بيد
أغسطه - امرأة إليون - لصغر ابنها، فجرى الصلح بينها وبين الرشيد على الفدية، وأن
تقيم له الأدلاء والأسواق في الطرق، وذلك لأنه دخل مدخلاً ضيقاً مخوفاً، فأجابته إلى ذلك،
ومقدار الفدية سبعون ألف دينار في كل سنة، ورجع عنها، وكانت الفدية ثلاث سنين، وكان
مقدار ما غنم المسلمون إلى أن اصطلحوا خمسة آلاف رأس وستمائة وثلاثة وأربعين رأساً،
ومن الدواب الذلل بأدواتها عشرين ألف رأس، وذبح من البقر والغنم مائة ألف رأس، وقتل
من الروم في الوقائع كلها أربعة وخمسون ألفاً، وقتل من الأسارى صبراً ألفان وتسعون
أسيراً.
وحج بالناس في هذه السنة صالح بن المنصور.
ودخلت سنة ست وستين ومائة.
في هذه السنة: أخذ المهدي البيعة لولده هارون بولاية العهد بعد أخيه موسى الهادي،
ولقب الرشيد، وفيها سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود وقبض عليه.
قال: وكان أول أمرهم أن داود بن طهمان وهو أبو يعقوب، وكان يكتب لنصر بن سيار -

وهو وإخوته، فلما كان أيام يحيى بن زيد كان داود يعلمه ما يسمع من نصر، فلما طالب أبو
مسلم الخراساني بدم يحيى بن زيد أتاه داود فأمنه أبو مسلم في نفسه، وأخذ ماله الذي
كان قد استفاده أيام نصر، فلما مات داود خرج أولاده أهل أدب وعلم، ولم تكن لهم عند
بني العباس منزلة، ولم يطمعوا في خدمتهم لحال أبيهم من كتابة نصر، وأظهروا مقالة الزيدية
ودنوا من آل الحسين وطمعوا أن تكون لهم دولة، وكان داود يصحب إبراهيم بن عبد الله،
وخرج معه في عدة من أصحابه، فلما قتل إبراهيم طلبهم المنصور، فأخذ يعقوب
وعلياً فحبسهما، فلما ولي المهدي أطلقهما فيمن أطلق، فاتصل يعقوب بالمهدي بالسعاية بآل
علي، ولم يزل يرتفع حتى استوزره، وكان المهدي يقول: وصف لي يعقوب في منامي فقيل لي
استوزره فلما رأيته رأيت الخلقة التي وصفت لي فاتخذته وزيراً.
فلما ولي الوزارة أرسل إلى الزيدية فجمعهم وولاهم أمور الخلافة في الشرق والغرب، ولذلك
قال بشار:

بنو أمية هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الناي والعود

فحسده موالي المهدي وسعوا به، وقالوا: إن الشرق والغرب في يد يعقوب وأصحابه، ولو
كتب إليهم لوثبوا في يوم واحد وأخذوا الدنيا، فملأ ذلك قلب المهدي فقبض عليه، بعد
القرب منه والاختصاص به والتمكن من دولته.
وفيها أمر المهدي بإقامة البريد بين مكة والمدينة واليمن، ولم يكن قبل ذلك. وحج بالناس
في هذه السنة إبراهيم بن يحيى.
ودخلت سنة سبع وستين ومائة.
في هذه السنة: توفي موسى بن عيسى بالكوفة، وفيها أمر المهدي بالزيادة في المسجد الحرام
ومسجد النبي صلى الله عليه وسلم، فدخلت فيهما دور كثيرة، وكان المتولي للبناء يقطين
بن موسى، فبقي البناء إلى أن توفي المهدي.
وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن يحيى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس -
وهو على المدينة، ثم توفي بعد فراغه من الحج بأيام وتولى مكانه إسحاق بن عيسى بن

علي.
وفيها أفسد العرب في بادية البصرة بين اليمامة والبحرين.
وقطعوا الطريق وتركوا الصلاة
وانتهكوا المحارم، فأرسل المهدي إليهم جيشاً فقاتلوهم، فكان الظفر للعرب وقتلوا عامة
العسكر، فقويت وزاد شرهم.
ودخلت سنة ثمن وستين ومائة.
في هذه السنة: خرج بأرض الموصل خارجي اسمه ياسين من بني تميم، فخرج إليه عسكر
الموصل فهزمهم، وغلب على أكثر ديار ربيعة والجزيرة، فوجه إليه المهدي أبا هريرة محمد بن
فروخ وهرثمة بن أعين مولى بني ضبة فحارباه، فصبر لهما حتى قتل عدة من أصحابه وانهزم
الباقون.
وفيها في شهر رمضان نقض الروم الصلح، الذي كان بينهم وبين المسلمين قبل انقضاء مدة
الهدنة بأربعة أشهر، فوجه علي بن سليمان وهو على الجزيرة وقنسرين يزيد بن البطال في
خيل فغنموا وظفروا.
وحج بالناس في هذه السنة علي بن المهدي.
ودخلت سنة تسع وستين ومائة.
وفاة المهدي
كانت وفاته في يوم الخميس لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة بماسبذان، وسبب
خروجه إليها أنه كان عزم على خلع ابنه موسى الهادي من ولايه العهد، والبيعة للرشيد
وتقديمه على الهادي، فبعث إليه في ذلك وهو بجرجان فلم يفعل، فاستقدمه فضرب الرسول
وامتنع، فسار المهدي إليه، فلما بلغ ماسبذان قال لأصحابه: إني أريد النوم فلا توقظوني
حتى أكون أنا الذي أنتبه، ونام ونام أصحابه فاستيقظوا ببكائه فأتوه مسرعين، وسألوه عن
سبب بكائه فقال: وقف على الباب رجل فقال:

كأني بهذا القصر قد باد أهله وأوحش منه ربعه ومنازله
وصدر عميد القوم من بعد بهجة وملك إلى قبر عليه جنادله
فلم يبق إلا ذكره وحديثه تنادي عليه معولاتٍ حلائله

فمات بعد ذلك بعشرة أيام. وقد اختلف في سبب موته، فقيل إنه كان يتصيد فطردت
الكلاب ظبياً وتبعته، فدخل باب خربة ودخلت الكلاب خلفه، وتبعها فرس المهدي
فدخلها، فدق الباب ظهره فمات من ساعته. وقيل: بل بعثت جارية من جواريه إلى ضرة

لها بلبن فيه سم، فشرب منه فمات. وقيل: بل عمدت جاريته حسنة إلى كمثرى، فأهدته
إلى طلة جاريته الأخرى، وجعلت السم في أبهى كمثراة فيه، فاجتاز بالمهدي فأخذ تلك
الكمثراة المسمومة فأكلها، فلما وصلت إلى جوفه صاح ومات منها، فكانت الجارية تقول في
بكائها عليه: أردت أن أنفرد بك فأوحشت نفسي منك، ومات في يومه وصلى عليه ابنه
الرشيد، ومات وله من العمر ثمان وأربعون سنة وقيل ثلاث وأربعون، وكانت مدة خلافته
عشر سنين وتسعة وأربعين يوماً، ودفن تحت جوزة كان يجلس تحتها.
وكان أبيض طويلاً وقيل أسمر، حسن الوجه بعينه اليمنى نكتة بياض.
من سيرته وأخباره
كان جواداً حازماً وصولاً يباشر الأمور بنفسه، وكان كثير الولاية والعزل لغير سبب، ورد
على الناس الأموال التي أخذها أبوه. وكان إذا جلس للمظالم قال: أدخلوا علي القضاة، فلو
لم يكن ردي للمظالم إلا للحياء منهم. وقال الحسن الوصيف: أصابتنا ريح شديدة أيام
المهدي حتى ظننا أنها تسوقنا إلى المحشر، فخرجت أطلب المهدي فوجدته قد وضع خده
بالأرض، وهو يقول: اللهم احفظ محمداً في أمته، اللهم لا تشمت بنا أعداءنا من الأمم، اللهم
إن كنت أخذت هذا العالم بذنبي فهذه ناصيتي بين يديك، قال فما لبثنا إلا يسيراً حتى
انكشفت الريح وانجلى ما كنا فيه.
قال الربيع: رأيت المهدي يصلي في ليلة مقمرة، فقرأ قوله تعالى: "فهل عسيتم إن توليتم أن
تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم"، قال: فأتم صلاته والتفت إلي وقال: يا ربيع، موسى،
فقلت في نفسي ما هو إلا موسى بن جعفر وكان محبوساً عندي فأحضرته، فقطع صلاته ثم
قال: يا موسى إني قرأت هذه الآية، فخفت أن أكون قد قطعت رحمك، فوثق لي أنك لا
تخرج فوثق له، وخلى المهدي سبيله.
قال: وبنى المهدي العلمين في المسعى.
أولاده: موسى الهادي وهارون الرشيد وعلي وعبد الله ومنصور ويعقوب وإسحاق
وإبراهيم والبانوقة وعلية وعباسة وسليمة. ووزراؤه: أبو عبيد الله معاوية بن عبيد الله

الأشعري ثم يعقوب بن داود بن طهمان ثم نكبه على ما ذكرناه، واستوزر الفيض بن أبي
صالح. قضاته: محمد بن عبد الله بن علاثة، وعافية بن يزيد وكانا يقضيان في مسجد
الرصافة. حجابه: سلام الأبرش، وقيل إن الفضل بن الربيع حجبه. الأمراء بمصر: عيسى
بن لقمان بن محمد بن حاطب الحميمي ثم صرفه وولى واضحاً مولى أبي جعفر المنصور ثم
صرفه وولى أبا صالح يحيى بن داود الحرشي من أهل نيسابور ثم سالم بن سوادة التميمي
ثم إبراهيم بن صالح ابن علي بن عبد الله عباس ثم موسى بن مصعب من أهل الموصل ثم
الفضل بن صالح الهاشمي. القضاة بها: عبد الله بن لهيعة ثم إسماعيل بن اليسع الكندي
الكوفي وهو أول حنفي ولي القضاء بها ثم غوث بن سليمان ثم توفي فولي القضاء المفضل بن
فضالة. وكان نقش خاتم المهدي حسبي الله.
قال بعض المؤرخين: والمهدي أول من مشي بين يديه بالسيوف المصلتة والقسي والنشاب
والعمد، وأول من لعب بالصوالجة في الإسلام، وله من الآثار الحسنة في عمارة المسجد الحرام
ومسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والاهتمام بذلك ما قدمنا ذكره.
خلافة الهادي
هو أبو محمد موسى بن أبي عبد الله محمد المهدي بن أبي جعفر عبد الله المنصور، وأمه
الخيزران مولدة وهي بنت عطاء مولى أبيه وهي أم الخلفاء، وهو الرابع من الخلفاء
العباسيين، بويع له في يوم وفاة أبيه - وهو يوم الخميس لثمان بقين من المحرم سنة تسع وستين
ومائة، وهو إذ ذاك مقيم بجرجان يحارب أهل طبرستان، فبايع الرشيد للهادي وكتب إلى
الآفاق بذلك ورد العسكر إلى بغداد، وسار نصير الوصيف إلى الهادي بجرجان بالخبر،
فنادى بالرحيل وركب على البريد مجداً فبلغ بغداد في عشرين يوماً، ولما قدم استوزر الربيع
فهلك الربيع في هذه السنة، واشتد طلب الهادي للزنادقة في هذه السنة فقتل منهم جماعة،
منهم علي بن يقطين وقتل أيضاً يعقوب بن الفضل بن عبد الرحمن بن عباس بن ربيعة بن
الحارث بن عبد المطلب، وكان سبب قتله أنه أتي به إلى المهدي فأقر بالزندقة، فقال: أم

والله، لولا أني جعلت على نفسي ألا أقتل هاشمياً لقتلتك، ثم قال للهادي: أقسمت عليك
إن وليت هذا الأمر لتقتلنه، ثم حبسه، فلما مات المهدي قتله الهادي. وكان أيضاً قد عهد
إليه بقتل ولد لداود بن علي بن عبد الله بن عباس وكان زنديقاً، فمات في حبس المهدي،
قال ابن الأثير: ولما قتل يعقوب أدخل أولاده على الهادي، فأقرت ابنته فاطمة أنها حبلى من
أبيها فخوفت فماتت من الفزع.
ظهور الحسين
بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب
قال: وظهر في هذه السنة في جماعة من الطالبيين، وانتهبوا بيت المال، ثم قصد الحسين
مكة فبعث إليه الهادي محمد بن سليمان بن علي، فأدركه بفخ على فرسخ من مكة،
فالتقوا واقتتلوا فقتل الحسين، وحمل رأسه إلى الهادي على ما نذكره في أخبارهم إن شاء
الله. وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن منصور.
ودخلت سنة سبعين ومائة.
في هذه السنة عزم الهادي على خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر، فأجابه إلى ذلك يزيد بن
مزيد الشيباني وعبد الله بن مالك وعلي بن عيسى وغيرهم، فخلعوا هارون وبايعوا
لجعفر، ووضعوا الشيعة فتكلموا في ذلك وتنقصوا الرشيد في مجلس الجماعة، وقالوا: لا
نرضى به، وكان يحيى بن خالد يتولى أمر الرشيد، فقيل للهادي: ليس عليك من أخيك
خلاف إنما يحيى يفسده، وكان الرشيد قد اطمأن للخلع فمنعه يحيى منه، فطلب الهادي
يحيى وتهدده بالقتل ورماه بالكفر، فلم يزل يلطف به حتى سكن غضبه، ثم قال له: يا أمير
المؤمنين - إنك إن حملت الناس على نكث الأيمان هانت عليهم أيمانهم، وإن تركتهم على
بيعة أخيك ثم بايعت لجعفر بعده كان ذلك أوكد للبيعة، قال: صدقت وسكت عنه، فعاد
الذين كانوا بايعوه من القواد والشيعة فحملوه على معاودة الرشيد بالخلع، فأحضر يحيى
فكتب إليه: إن عندي نصيحة، فأحضره فقال: يا أمير المؤمنين، أرأيت إن كان الأمر الذي
لا تبلغه - ونسأل الله أن يقدمنا قبله - يعني موت الهادي - أتظن أن الناس يسلمون

الخلافة لجعفر، وهو لم يبلغ الحلم؟ أو يرضون به لصلاتهم وحجهم وغزوهم؟ قال: ما أظن
ذلك، قال: يا أمير المؤمنين أفتأمن أن يسمو إليها أكابر أهلك مثل فلان وفلان، ويطمع فيها
غيرهم؟ فتكون قد أخرجت الأمر عن ولد أبيك، والله - لو أن هذا الأمر لم يعقده المهدي
له كان ينبغي أن تعقده أنت له، فكيف بأن تحله عنه وقد عقده المهدي!! ولكني أرى أن
تقر الأمر على أخيك، فإذا بلغ جعفر خلع الرشيد نفسه وبايعه، فقبل قوله وأطلقه، ثم عاد
أولئك القواد إلى الهادي وأعادوا القول، فضيق على الرشيد في ذلك، فقال له يحيى:
استأذنه في الصيد، فإذا خرجت فأبعد ودافع الأيام، ففعل ذلك فأذن له فمضى إلى قصر
مقاتل وأقام أربعين يوماً، فأنكر الهادي أمره وكتب إليه بالعود، فتعلل ثم اعتل الهادي ومات.

وفاة الهادي

كانت وفاته ليلة الجمعة للنصف من شهر ربيع الأول، وقيل لأربع عشرة ليلة خلت منه،
وقيل بقيت منه سنة سبعين ومائة بعيساباذ، واختلف في سبب وفاته، فقيل كانت بقرحة
في جوفه، وقيل مرض بحديثة الموصل وعاد مريضاً فمات، وقيل إن أمه أمرت جواريها بقتله
فقتلنه، قال: وكان سبب ذلك أنه لما ولي الخلافة كانت تستبد بالأمور دونه، وتسلك به
مسلك المهدي، حتى مضى من خلافته أربعة أشهر، والمواكب تغدو إلى بابها، فكلمته يوماً
في أمر لم يجد إلى إجابتها سبيلاً، فقالت: لا بد منه فقد ضمنته لعبد الله بن مالك بن
جعفر، فغضب الهادي وقال: والله لا قضيتها، فقالت: إذن والله لا أسألك حاجة أبداً،
قال: لا أبالي والله وغضب، وقامت مغضبة، فقال مكانك، والله لئن بلغني أنه وقف ببابك
أحد من قوداي وخاصتي لأضربن عنقه، ولأقبضن ماله، ما هذه المواكب التي تغدو وتروح
إلى بابك؟! أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك!! إياك إياك، لا
تفتحي بابك لمسلم ولا ذمي، فانصرفت وهي لا تعقل فلم تنطق عنده بعدها، ثم قال
لأصحابه: أيما خير، أنا أم أنتم؟ وأمي أم أمهاتكم؟ قالوا: بل أنت وأمك خير، قال: فأيكم

يحب أن يتحدث الرجال بخبر أمه، فيقولوا فعلت أم فلان وصنعت؟ قالوا: لا نحب ذلك،
قال: فما بالكم تأتون أمي فتتحدثون بحديثها!! فلما سمعوا ذلك انقطعوا عنها، ثم بعث إلى
أمه بأرز، وقال: قد استطبتها فكلي منها، فقيل لها: أمسكي حتى تنظري، فجاءوا بكلب
وأطعموا منها فتساقط لحمه لوقته، فأرسل إليها كيف رأيت الأرز؟ قالت طيباً، قال: ما
أكلت منها ولو أكلت منها لاسترحت منك، متى أفلح خليفة له أم؟! وقيل كان سبب
أمرها بقتله أنه لما جد في خلع الرشيد خافت عليه، فوضعت جواريها عليه فقتلنه بالغم
والجلوس على وجهه، حتى مات والله أعلم.
ولما مات كان له من العمر ست وعشرون سنة، واختلف فيه إلى ثلاث وعشرين سنة.
وكانت مدة خلافته سنة وشهراً وأربعة وعشرين يوماً، وصلى عليه أخوه الرشيد، ودفن
بعيساباذ الكبرى في بستانه، وفي ليلة وفاته مات خليفة، وهو الهادي، وولي خليفة، وهو
الرشيد، وولد خليفة، وهو المأمون، وكان طويلاً جسيماً أبيض مشرباً بحمرة أفوه مقلص
الشفة العليا، وكان المهدي قد وكل به خادماً يقول له: موسى اطبق، فيضم شفته، وكان
شجاعاً بطلاً جواداً سخياً أديباً صعب المرام.
وكان له من الأولاد: عيسى وإسحاق وجعفر وعبد الله وموسى وإسحاق الأصغر. وذكر
ابن الأثير في أولاده العباس وإسماعيل وسليمان ولم يذكر إسحاق الأصغر، وكان ابنه موسى
ضريراً، وأم عيسى كانت عند المأمون، وأم العباس وكانت تلقب نونه، وكلهم أولاده أمهات.
وكان نقش خاتمه: الله ربي. وزراؤه: الربيع بن يونس ثم عمر بن بزيع. حاجبه: الفضل بن
الربيع قضاته: أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم بالجانب الغربي، وسعيد بن عبد الرحمن
الجمحي بالجانب الشرقي. الأمير بمصر علي بن سليمان بن عبد الله بن علي بن عبد الله
بن عباس. قاضيها أبو الطاهر عبد الملك بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمر بن حزم
والله تعالى أعلم.

خلافة هارون الرشيد

هو أبو محمد هارون وقيل أبو جعفر بن أبي عبد الله محمد المهدي بن أبي جعفر عبد الله

المنصور بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، وأمه الخيزران أم أخيه الهادي، وهو
الخامس من الخلفاء العباسيين، بويع له بالخلافة يوم وفاة أخيه الهادي.
قال: ولما مات الهادي كان يحيى بن خالد بن برمك محبوساً، وقد عزم الهادي على قتله،
فجاء هرثمة بن أعين إلى الرشيد وأخرجه وأجلسه للخلافة، فأرسل الرشيد إلى يحيى
وأخرجه من الحبس واستوزره، وقيل لما مات الهادي جاء يحيى بن خالد إلى الرشيد وهو
نائم في فراشه، فقال له: قم يا أمير المؤمنين، فقال: كم تروعني إعجاباً منك بخلافتي! فكيف
يكون حالي مع الهادي إن بلغه هذا؟! فأعلمه بموته وأعطاه خاتمه. وأنشئت الكتب بوفاة
الهادي وخلافة الرشيد. قال: ولما مات الهادي هجم خزيمة بن خازم على جعفر بن
الهادي، وأخذه من فراشه وقال له: لتخلعنها أو لأضربن عنقك، فأجاب إلى الخلع، وركب
خزيمة من الغد وأظهر جعفراً للناس، فأشهدهم بالخلع وأحل الناس من بيعته، فحظى بها
خزيمة عند الرشيد.
وفيها أفرد الرشيد الثغور كلها عن الجزيرة وقنسرين، وجعلها حيزاً واحداً وسميت
العواصم، وأمر بعمارة طرسوس على يد فرج الخادم التركي ونزلها الناس، وحج بالناس
الرشيد وقسم بالحرمين عطاء كثيراً.
ودخلت سنة إحدى وسبعين ومائة.
في هذه السنة خرج الصحصح الخارجي بالجزيرة وهزم عسكرها، وسار إلى الموصل فقاتله
عسكرها، فقتل منهم خلقاً كثيراً ورجع إلى الجزيرة، فغلب على ديار ربيعة، وعزل الرشيد
أبا هريرة عن الجزيرة وأحضره إلى بغداد وقتله.
وحج بالناس في هذه السنة عبد الصمد بن علي بن عبد الله بن عباس.
ودخلت سنة اثنين وسبعين ومائة.
كان في هذه السنة من الحوادث ببلاد الأندلس ما نذكره في أخبار بني أمية - ملوك
الأندلس، وحج بالناس يعقوب بن المنصور.
ودخلت سنة ثلاث وسبعين ومائة.
في هذه السنة توفي محمد بن سليمان بن علي بالبصرة، فأرسل الرشيد من قبض تركته،

فحمل منها ما يصلح للخلافة فكان جملة ما أخذ منها ستين ألف ألف. وفيها ماتت
الخيزران أم الرشيد، فحمل الرشيد جنازتها ودفنها في مقابر قريش، ولما فرغ من جنازتها
أخذ الخاتم من جعفر بن يحيى بن خالد وأعطاه للفضل بن الربيع. وحج الرشيد في هذه
السنة بالناس وأحرم من بغداد.
ودخلت سنة أربع وسبعين ومائة.
في هذه السنة حج الرشيد فقسم أموالاً كثيرة في الناس.
وفيها استقضى الرشيد يوسف
بن أبي يوسف في حياة أبيه.
ودخلت سنة خمس وسبعين ومائة.
في هذه السنة عقد الرشيد لابنه محمد بن زبيدة بولاية العهد.
ولقبه الأمين وعمره خمس
سنين. وحج الرشيد في هذه السنة بالناس.
ودخلت سنة ست وسبعين ومائة.
ظهور يحيى
بن عبد الله
في هذه السنة ظهر يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب بالديلم،
واشتدت شوكته وكثرت جموعه وأتاه الناس من الأمصار، فأهم الرشيد أمره فندب الفضل
بن يحيى في خمسين ألفاً، وولاه جرجان وطبرستان والري وغيرها وحمل معه الأموال.
فكتب إلى يحيى بن عبد الله ولاطفه وبسط أمله وحذره. ونزل الفضل بالطالقان ووالى
كتبه إلى يحيى، وكاتب صاحب الديلم وبذل له ألف ألف درهم على أن يسهل له خروج
يحيى، فأجاب يحيى إلى الصلح على أن يكتب الرشيد أمانه بخطه، ويشهد عليه فيه
القضاة والفقهاء وجلة بني هاشم ومشايخهم. فأجاب الرشيد إلى ذلك وبعث له بالأمان
وبعث بهدايا وتحف، فقدم يحيى مع الفضل إلى بغداد، فلقيه الرشيد بكل ما أحب وأمر له
بمال كثير. ثم حبسه الرشيد فمات في الحبس.
الفتنة بدمشق
في هذه السنة هاجت الفتنة بدمشق بين المضرية واليمانية، وكان رأس المضرية أبو الهيذام
عامر بن عمارة بن خريم الناعم، وكان سبب الفتنة أن غلاماً للرشيد بسجستان قتل أخاً
لأبي الهيذام، فخرج أخوه بالشام غضباً له، وجمع جمعاً عظيماً ورثاه فقال:

سأبكيك بالبيض الرقاق وبالقنا فإن بها ما يدرك الطالب الوترا
ولسنا كمن ينعى أخاه بعبرة يعصرها من ماء مقلته عصرا
وإنا أناس ما تفيض دموعنا على هالك منا وإن قصم الظهرا
ولكنني أشفي الفؤاد بغارة ألهب في قطرى كتائبها جمرا
ثم إن الرشيد احتال عليه بأخ له. وكتب إليه وأرغبه فشد عليه وكتفه. وأتي به الرشيد
فمن عليه وأطلقه. وقيل في هياج هذه الفتنة غير هذا والله أعلم.
وفيها خرج الفضل الخارجي بنواحي نصيبين. وأخذ من أهلها مالاً. وسار إلى دارا
وآمد وأرزن فأخذ منهم مالاً. وفعل كذلك بخلاط ثم عاد إلى نصيبين. وأتى الموصل
فخرج إليه عسكرها فهزمهم على الزاب. ثم عادوا لقتاله فقتل الفضل وأصحابه.
ودخلت سنة سبع وسبعين ومائة.
الفتنة بالموصل
في هذه السنة خالف العطاف بن سفيان الأزدي على الرشيد. وكان من فرستم أهل
الموصل. واجتمع عليه أربعة آلاف رجل وجبى الخراج. وكان عامل الرشيد على الموصل
محمد بن العباس الهاشمي. وقيل عبد الملك بن صالح. والعطاف غالب على الأمر كله
وهو يجبي الخراج. وأقام على ذلك سنتين، حتى خرج الرشيد إلى الموصل فهدم سورها
بسببه.
وفيها عزل الرشيد حمزة بن مالك عن خراسان. واستعمل عليها الفضل بن يحيى بن
خالد - مضافاً إلى ما كان بيده من الأعمال وهو الري وسجستان وغيرهما. وحج بالناس
في هذه السنة الرشيد.
ودخلت سنة ثمان وسبعين ومائة.
الفتنة بمصر
في هذه السنة وثبت الحوفية بمصر بعاملهم إسحاق بن سليمان، وقاتلوه فأمده الرشيد
بهرثمة بن أعين - وكان عامل فلسطين. فقاتلوا الحوفية - وهم قيس وقضاعة - فأذعنوا
بالطاعة وأدوا ما عليهم للسلطان. فعزل الرشيد إسحاق واستعمل عليها هرثمة. ثم عزله
واستعمل عليها عبد الملك بن صالح.
خروج الوليد بن طريف

في هذه السنة خرج الوليد بن طريف التغلبي الخارجي بالجزيرة. ففتك بإبراهيم بن خازم بن خزيمة بنصيبين. ثم قويت شوكة الوليد. فرحل إلى أرمينية وحصر خلاط عشرين يوماً. ففدوا أنفسهم منه بثلاثين ألفاً. ثم سار إلى أذربيجان ثم إلى حلوان وأرض السواد.
ثم عبر إلى غربي دجلة وقصد مدينة بلد - فافتدوا منه بمائة ألف. وعاث في أرض الجزيرة. فسير إليه الرشيد يزيد بن مزيد بن زائدة - وهو ابن أخي معن بن زائدة الشيباني. فقال الوليد:

ستعلم يا يزيد إذا التقينا بشط الزاب أي فتى يكون

ثم التقوا واقتتلوا قتالاً شديداً فقتل الوليد. فقال بعض الشعراء:

وائل بعضهم يقتل بعضاً لا يفل الحديد إلا الحديد

قال: ولما قتل الوليد صحبتهم أخته ليلى بنت طريف مستعدة عليها الدرع. فجعلت تحمل على الناس فعرفت. فقال يزيد: دعوها. وخرج إليها فضرب قطاة فرسها بالرمح. ثم قال:

اغربي غرب الله عليك!! فقد فضحت العشيرة. فاستحيت وانصرفت. ورثته أخته ليلى بقصيدتها المشهورة التي تقول فيها:

فيا شجر الخابور مالك مورقاً كأنك لم تجزع على ابن طريف

فتى لا يريد الزاد إلا من التقى ولا المال إلا من قنا وسيوف

وفيها فوض الرشيد أمر دولته كلها إلى خالد بن يحيى البرمكي.
وحج بالناس في هذه السنة محمد بن إبراهيم بن محمد بن علي.
ودخلت سنة تسع وسبعين ومائة.
في هذه السنة اعتمر الرشيد في شهر رمضان شكراً لله تعالى على قتل الوليد بن طريف،
وعاد إلى المدينة فأقام بها إلى وقت الحج. وحج بالناس ومشى من مكة إلى عرفات.
وشهد المشاعر كلها ماشياً. ورجع على طريق البصرة. وفيها مات الإمام مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنه ورحمه، وكانت وفاته بالمدينة وله تسعون سنة.
ودخلت سنة ثمانين ومائة.
ولاية علي بن عيسى خراسان - وخبر حمزة الخارجي
في هذه السنة عزل الرشيد منصور بن يزيد عن خراسان. واستعمل عليها جعفر بن

يحيى ثم عزله بعد عشرين يوماً. واستعمل عليها علي بن عيسى بن ماهان فوليها عشر
سنين. وفي ولايته خرج حمزة بن أترك الخارجي، فجاء إلى بوشنج فخرج إليه عمرويه بن
يزيد الأزدي. وكان على هراة في ستة آلاف، فقاتله فهزمه حمزة وقتل من أصحابه جماعة،
ومات عمرويه في الزحام، فوجه إليه علي بن عيسى ابنه الحسين في عشرة آلاف، فلم
يحارب حمزة فعزله وسير ابنه عيسى بن علي، فقاتل حمزة مرة بعد أخرى، وكان حمزة
بنيسابور فانهزم حمزة وقتل أصحابه وبقي في أربعين رجلاً، فقصد قهستان فأرسل عيسى
إلى القرى التي كان أهلها يعينون الخوارج، فأحرقها وقتل الخوارج حتى انتهى إلى زرنج، فقتل
ثلاثين ألفاً ورجع، وخلف بزرنج عبد الله بن العباس. فجبى الأموال وسار بها فلقيه حمزة
وقاتله، فصبر عبد الله وانهزم حمزة، وقتل كثير من أصحابه واختفى هو ومن سلم من
أصحابه في الكروم. ثم سار في القرى يقتل ولا يبقي على أحد، وكان علي بن عيسى قد
استعمل طاهر بن الحسين على بوشنج، فسار إليه حمزة واتنهى إلى مكتب فيه ثلاثون
غلاماً فقتلهم وقتل معلمهم. وبلغ طاهر الخبر فأتى قرية فيها قعد الخوارج. وهم الذين لا
يقاتلون ولا ديوان لهم. فقتلهم طاهر وأخذ أموالهم. فكتب العقد إلى حمزة بالكف فكف،
ووادعهم وأمن الناس مدة. وكانت بينه وبين أصحاب علي بن عيسى حروب كثيرة.
وحج بالناس في هذه السنة موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي.
ودخلت سنة إحدى وثمانين ومائة.
في هذه السنة غزا الرشيد أرض الروم فافتتح حصن الصفصاف. وغزا عبد الملك بن
صالح الروم فبلغ أنقرة. وافتتح مطمورة. وفيها أحدث الرشيد في صدور الكتب الصلاة
على محمد صلى الله عليه وسلم. وحج بالناس الرشيد.
ودخلت سنة اثنتين وثمانين ومائة.
في هذه السنة بايع الرشيد لابنه عبد الله المأمون بولاية العهد بعد الأمين، وولاه خراسان
وما يتصل بها إلى همذان ولقبه المأمون، وسلمه إلى جعفر بن يحيى. وفيها غزا الصائفة

عبد الرحمن بن عبد الملك بن صالح فبلغ دفسوس مدينة أصحاب الكهف. وحج بالناس
هذه السنة موسى بن عيسى بن موسى.
ودخلت سنة ثلاث وثمانين ومائة.
في هذه السنة خرج الخزر من باب الأبواب، فأوقعوا بالمسلمين وأهل الذمة وسبوا أكثر من
مائة ألف. وانتهكوا أمراً عظيماً لم يسمع مثله، وكان سبب ذلك أن ابنة خاقان ملك
الخزر، كانت حملت في سنة اثنتين وثمانين ومائة إلى الفضل بن يحيى، فلما بلغت برذعة
ماتت، فرجع من معها إلى أبيها وأخبروه أنها قتلت غيلة فجهز العساكر إلى بلاد الإسلام
ففعلوا ذلك، وقيل في سبب خروجهم أن سعيد بن سلم قتل المنجم السلمي، فدخل ابنه
الخزر واستجاشهم على سعيد، فخرجوا ودخلوا أرمينية من الثلمة فانهزم سعيد، وأقاموا
نحو سبعين يوماً فوجه الرشيد خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد، فأصحلوا ما أفسد سعيد،
وأخرجوا الخزر وسدوا الثلمة.
وفيها خرج بنسا من خراسان أبو الخصيب وهيب بن عبد الله النسائي، فاستقدم
الرشيد علي بن عيسى ثم رده من قبل المأمون، وأمره بحرب أبي الخصيب.
وفيها توفي موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ببغداد في
حبس الرشيد، وكان سبب حبسه أن الرشيد اعتمر في شهر رمضان سنة تسع وسبعين
ومائة، فلما عاد إلى مدينة دخل إلى قبر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه الناس، فلما انتهى
إلى القبر الشريف وقف، فقال: السلام عليك يا رسول الله يا ابن عم، قال ذلك افتخاراً على
من حوله، فدنا موسى بن جعفر فقال: السلام عليك يا أبت.
فتغير وجه الرشيد وقال:
هذا الفخر يا أبا الحسن جدا، ثم أخذه معه إلى العراق فحبسه عند السندي بن شاهك
حتى مات. وكان رجلاً صالحاً خيراً ديناً يقوم الليل كله، وهو الملقب بالكاظم - لقب
بذلك لإحسانه لمن أساء إليه.
وحج بالناس في هذه السنة العباس بن الهادي.
ودخلت سنة أربع وثمانين ومائة.
في هذه السنة طلب أبو الخصيب النسائي الأمان، فأمنه علي بن عيسى بن ماهان.

وحج بالناس إبراهيم بن محمد بن عبد الله.
ودخلت سنة خمس وثمانين ومائة.
في هذه السنة قتل أهل طبرستان واليها مهرويه الرازي، فولى الرشيد عبد الله بن سعيد
الحرشي.
وفيها عاث حمزة الخارجي بباذغيس فقتل عيسى بن علي من أصحابه عشرة آلاف.
وفيها غدر أبو الخصيب النسائي ثانياً. وغلب على أبيورد وطوس ونيسابور وحصر مرو.
ثم انهزم عنها وعاد إلى سرخس وقوى أمره. وحج بالناس في هذه السنة منصور بن محمد
بن عبد الله بن علي.
ودخلت سنة ست وثمانين ومائة.
كتاب العهد
في هذه السنة حج الرشيد من الأنبار، فبدأ بالمدينة فأعطى فيها ثلاثة أعطية، أعطى هو
عطاءً ومحمد الأمين عطاءً وعبد الله المأمون عطاءً، وسار إلى مكة فأعطى أهلها فبلغ
ألف دينار وخمسين ديناراً، وكان الرشيد قد ولى الأمين العراق والشام وإلى آخر المغرب،
وضم إلى المأمون من همذان إلى آخر المشرق، ثم بايع لابنه القاسم بولاية العهد بعد المأمون
ولقبه المؤتمن، وضم إليه الجزيرة والثغور والعواصم، وكان في حجر عبد الله بن صالح،
وجعل خلعه وإثباته إلى المأمون، فلما وصل الرشيد إلى مكة ومعه أولاده والقضاة والفقهاء
والقواد كتب كتاباً، أشهد فيه على محمد الأمين، وأشهد من حضر بالوفاء للمأمون، وكتب
كتاباً للمأمون أشهد فيه عليه بالوفاء للأمين، وعلق الكتابين في الكعبة، وجدد العهود عليهما
في الكعبة، فقال الناس: قد ألقى بينهم شراً وحرباً، وخافوا عاقبة ذلك وكان ما خافوه.
وفيها سار عيسى بن ماهان من مرو إلى نسا لحرب أبي الخصيب، فحاربه وقتله وسبى
نساءه وذراريه واستقامت خراسان.
ودخلت سنة سبع وثمانين ومائة.
إيقاع الرشيد بالبرامكة
وقتل جعفر بن يحيى بن خالد
في هذه السنة أوقع الرشيد بالبرامكة ونكبهم النكبة المشهورة، وقد اختلف في سبب
ذلك، فقيل إن الرشيد كان لا يصبر عن جعفر وعن أخته عباسة بنت المهدي، وكان

يحضرهما إذا جلس للشرب، فقال لجعفر أزوجكها ليحل لك النظر إليها ولا تقربها، فأجابه
إلى ذلك، فبقيا على ذلك ما شاء الله، فمالت العباسة إلى جعفر، وراودته فأبى وخاف
على نفسه، فلما أعيتها الحيلة في أمره علمت أن النساء أقرب إلى الخديعة، فبعثت إلى
عتابة - وهي أم جعفر، وكانت عتابة ترسل إلى ابنها جعفر في كل ليلة جمعة جارية بكراً،
فقالت العباسة لها: أرسليني إلى ابنك كأني جارية من جواريك، اللواتي ترسلين إليه فأبت
أم جعفر، فقالت لها العباسة: إن لم تفعلي قلت للرشيد كلمتني في كيت وكيت، وإن فعلت
ذلك واشتملت منه على ولد زاد في شرف ابنك، وما عسى أن يفعل أخي لو علم، فمالت
أم جعفر إلى ذلك، ووعدت ابنها أنها ترسل إليه جارية من صفتها وحسنها. فطالبها بها
مرة بعد أخرى وهي تمطله، حتى اشتاق إليها فأرسلتها إليه. فأدخلت عليه - وكان لا
يثبت صورتها، لأنه كان إذا جلس عند الرشيد لا يرفع طرفه إليها، فلما دخلت عليه كان
قد شرب نبيذاً، فاجتمع بها وقضى وطره، فقالت له: كيف رأيت خديعة بنات الملوك؟
وأية ابنة ملك أنت!! قالت: أنا مولاتك العباسة. فتألم لذلك وقال لأمه: بعتني والله
رخيصاً، فاشتملت العباسة من ليلتها على حمل، فلما ولدته وكلت به غلاماً يقال له رياش
وحاضنة اسمها برة، وبعثت بهم إلى مكة، وكان يحيى بن خالد ينظر على قصر الرشيد
وحرمه وخدمه، ويغلق باب القصر بالليل وينصرف بالمفاتيح معه، فضيق على حرم
الرشيد، فشكت زبيدة أم الأمين مرة إلى الرشيد، فقال له: يا أبت - وكان يدعوه بذلك -
ما بال أم جعفر تشكوك؟ فقال: يا أمير المؤمنين - أمتهم أنا في حرمك وخدمك؟ قال: لا،
قال: فلا تقبل قولها، وزاد يحيى في الحجر والتضييق، فدخلت زبيدة على الرشيد وقالت:
ما يحمل يحيى على ما يفعل من منعه خدمي ووضعي في غير موضعه؟ فقال: إنه عندي
غير متهم في حرمي، فقالت: لو كان كذلك لحفظ ابنه مما ارتكبه!! قال: وما ذلك؟
فأخبرته بخبر العباسة، فقال: وهل على هذا من دليل؟! قالت: وأي شيء أدل من الولد،

قال: وأين هو؟ قالت: كان ها هنا فلما خافت ظهوره وجهت به إلى مكة، قال: ويعلم بهذا سواك!! قالت ما في قصرك جارية إلا وقد عرفت ما أخبرتك به، فسكت عنها وأظهر أنه يريد الحج، وأخذ معه جعفراً، فكتبت العباسة إلى الخادم والداية أن يخرجا بالصبي إلى نحو اليمن، فلما وصل الرشيد إلى مكة وكل من يثق به بالبحث عن ذلك، فلم يزل حت تحقق الأمر، فأضمر السوء للبرامكة.

وقيل إن سبب نكبة البرامكة أن يقطين بن موسى كان من أكابر الشيعة، وممن كان مع إبراهيم الإمام، فقال يوماً للرشيد: حدثني مولاي إبراهيم الإمام أن الخامس من خلفاء بني العباس يغدر به كتابه، فإن لم يقتلهم قتلوه، فقال له الرشيد: الله - يحدثك الإمام بهذا!!

قال: نعم.

وقيل كان سبب ذلك أن الرشيد دفع يحيى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب إلى جعفر بن يحيى فحبسه، ثم استدعاه وسأله عن بعض أمره، فقال له: اتق الله في أمري، ولا تتعرض غداً أن يكون خصمك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوالله ما أحدثت حدثاً ولا آويت محدثاً، فرق له وقال: اذهب حيث شئت من بلاد الله. فقال: كيف أذهب ولا آمن أن أؤخذ؟ فوجه معه من أوصله إلى مأمنه، وبلغ الخبر الفضل بن الربيع فرفعه إلى الرشيد، فقال: ما أنت وهذا - فلعله عن أمري!! ثم أحضر جعفراً وسأله عن يحيى، فقال هو بحاله في الحبس، فقال بحياتي!! ففطن جعفر وقال: لا وحياتك، وقص عليه أمره، وقال: علمت أنه لا مكروه عنده، فقال: نعم ما فعلت، ما عدوت ما في نفسي، فلما قام عنه قال: قتلني الله إن لم أقتلك. وقيل إن الرشيد لما دفعه لجعفر بقي عنده ما شاء الله، وكان جعفر يرى سرور الرشيد بموت من يموت في حبسه من هؤلاء، فشرب جعفر عنده يوماً فقال: يا أمير المؤمنين إن يحيى قد مات، فسر بذلك وقال: الحمد الله الذي كفاني أمره ولم يؤثمني فيه. وانصرف جعفر فأخبر أباه يحيى بن خالد بما كان. فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، إن تركناه تلفنا، وإن قتلناه فالنار لنا، ثم كتب يحيى

إلى عيسى بن ماهان وإلى خراسان يعرفه ما جرى، وفزع إليه أن يكون عنده موسعاً
عليه، إلى أن يقضي الله فيه قضاءه، ولم يكن يحيى يعلم ما كان بين علي بن عيسى وبين
الفضل وجعفر من العداوة، فلما وصل الكتاب إلى علي ووصل إليه يحيى قال: هذا من
حيل الفضل وجعفر علي، فأجاب يحيى بأنه فعل ما أراد، وأنفذ كتاب يحيى إلى الرشيد،
فكتب إليه الرشيد يعرفه بحسن موقع ذلك عنده، وأمره بإنفاذ يحيى بن عبد الله إليه سراً،
فلما وصل إليه أوقع بالبرامكة.
هذا مما قيل في سبب نكبة البرامكة أما كيفية الإيقاع بهم وقتل جعفر فقيل، إن الرشيد لما
قضى حجه أرسل السندي بن شاهك، وهو أحد قواده، وأمره أن يمضي إلى مدينة السلام
والتوكل بالبرامكة وبدور كتابهم وأقاربهم، وأن يجعل ذلك سراً بحيث لا يعلم به أحد حتى
وصل إلى بغداد، ففعل السندي ذلك، وكان الرشيد قد نزل بالأنبار بموضع يقال له العمر
ومعه جعفر، فمضى جعفر إلى موضعه في سلخ المحرم، ودعا بأبي زكار الأعمى الطنبوري،
ومدت الستارة وجلس جواريه خلفها يضربن ويغنين، وأبو زكار يغنيه:

ما يريد الناس منا ما ينام الناس عنا
إنما همهم أن يكشفوا ما قد دفنا

قال: واستدعى الرشيد من ساعته بياسر، غلام من غلمانه، وقيل بمسرور الخادم، فأرسله
في جماعة من الجند إلى جعفر، ليضرب عنقه وليأتيه برأسه، فمضى حتى دخل على جعفر
وعنده بختيشوع الطبيب، وأبو زكار يغنيه:

فلا تبعد فكل فتى سيأتي عليه الموت يطرق أو يغادي
وكل ذخيرة لا بد يوماً وأن بقيت تصير إلى نفاد

فقال له جعفر: قد سررتني بإقبالك إلي، وسؤتني بدخولك علي بغير إذن، فقال: الأمر أكبر
من ذلك، إن أمير المؤمنين أمرني بكذا وكذا، فأقبل جعفر يقبل يديه ورجليه، ويقول: دعني
أدخل وأوصي، فقال: لا سبيل إلى ذلك، ولكن أوص بما شئت، فأوصى بما أراد وأعتق
مماليكه، ثم قال: إن لي عندك حقاً ولن تجد مكافأتي إلا في هذه الساعة، فارجع إلى أمير
المؤمنين فأعلمه أنك قد نفذت كما أمرك به، فإن أصبح نادماً كانت حياتي على يديك،

وكانت لك عندي نعمة، وإن أصبح على مثل مذهبه نفذ ما أمرك به، قال: ولا هذا، قال:
فأسير معك إلى مضرب أمير المؤمنين بحيث أسمع كلامه ومراجعتك إياه، فإذا أبليت عذراً
ولم يرض إلا بمصيرك إليه برأسي فعلت، قال: أما هذا فنعم، فسارا جميعاً إلى مضرب
الرشيد، فلما أتاه الخادم وجده في فراشه، فلما أحس به قال: إيتني برأسه، فعاد إلى جعفر
وأخبره، فقال الله الله، والله ما أمرك إلا وهو سكران، فدافع حتى أصبح أو راجعه ثانية،
فعاد ليراجعه فقال له: يا ماص بظر أمه، إيتني برأسه، فرجع إلى جعفر وأخبره، فقال ومرة
أخرى، فلما رجع إليه حذفه بعمود كان في يده، وقال: نفيت عن المهدي لئن لم تأتني برأسه
لأقتلنك، فخرج إلى جعفر وضرب عنقه وأتاه برأسه، قال: من نقل أن الرسول إلى جعفر
ياسر، إنه لما وضع الرأس بين يدي الرشيد أقبل عليه ملياً، ثم قال: يا ياسر جئني بفلان
وفلان، فلما أتاه بهما قال لهما الرشيد: اضربا عنق ياسر، فإني لا أقدر أن أرى قاتل
جعفر.
وقيل: إنه وجد على قصر علي بن عيسى بن ماهان بخراسان في صبيحة الليلة التي قتل
فيها جعفر كتابة بقلم جليل:

إن المساكين بني برمكٍ صبت عليهم غير الدهر
إن لنا في أمرهم عبرة فليعتبر ساكن ذا القصر

قال: وكان جعفر من أهل الفصاحة البارعة والفطنة التي لا تحد، إلا أنه كان فيه بخل
بالنسبة إلى أبيه وأخيه، قال: ولما قتل جعفر أمر الرشيد بتوجيه من احتاط بيحيى وولده
الفضل وجميع أسبابهم، وحبس الفضل في بعض منازل الرشيد، وحبس يحيى في منزله،
وأخذ مالهم وما وجد لهم من ضياع ومتاع وغير ذلك، وأرسل من ليلته إلى سائر البلاد
بالقبض على وكلائهم وأسبابهم وجميع أموالهم، وأصبح فأرسل جثة جعفر إلى بغداد وأمر
بنصب رأسه وأن يقطع بدنه قطعتين، ينصب كل قطعة على جسر، ولم يعرض الرشيد لمحمد
بن خالد بن برمك وولده، لأنه علم براءته مما دخل فيه أهله، وقيل كان يسعى بهم، ثم
حبس الرشيد يحيى بن خالد وبنيه الفضل ومحمد، ولم يفرق بينهم وبين عدة من خدمهم،

ولا ما يحتاجون إليه من جارية وغيرها، ولم تزل حالهم سهلة حتى قبض الرشيد على عبد
الملك بن صالح، فعمهم سخطه فضيق عليهم.
وكان مقتل جعفر في ليلة السبت مستهل صفر سنة سبع وثمانين ومائة، وكان عمره سبعاً
وثلاثين سنة، وكانت الوزارة إليهم سبع عشرة سنة، ولما نكبوا قال الرقاشي: وقيل إن
الشعر لأبي نواس:

ألآن استرحنا واستراحت مطينا وأمسك من يحدي ومن كان يحتدى
فقل للمطايا قد أمنت من السرى وطي الفيافي فدفداً بعد فدفد
وقل للمنايا قد ظفرت بجعفر ولم تظفري من بعده بمسود
وقل للعطايا بعد فضل تعطلي وقل للرزايا كل يوم تجددي
ودونك سيفاً برمكياً مهندا أصيب بسيف هاشمي مهند

وروى أبو الفرج الأصبهاني أن الرقاشي اجتاز بجعفر وهو مصلوب، فوقف يبكي أحر
بكاء، ثم أنشأ يقول:

أما والله لولا خوف واش وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى حساماً فله السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعاً ودولة آل برمك السلام

فكتب أصحاب الأخبار بذلك إلى الرشيد، فأمر بإحضاره فأحضر، وقال: ما حملك على
ما قلت؟ فقال: يا أمير المؤمنين، كان إلي محسناً، فلما رأيته على الحال التي هو عليها
حركني إحسانه، فما ملكت نفسي حتى قلت الذي قلت. قال: فكم كان يجري عليك؟
قال: ألف دينار، قال: فإنا قد أضعفناها لك.
وقال يحيى بن خالد لما نكبوا: الدنيا دول، والمال عارية، ولنا بمن قبلنا أسوة، وفينا لمن
بعدنا عبرة.

ذكر شيء من أخبار جعفر وتمكنه من الرشيد وما آل أمرهم إليه

قيل: كان جعفر قد بلغ من الرشيد ما لم يبلغه وزير من خليفة قبله، كان يجلس معه في
حلة واحدة قد اتخذ لها جيبان، وبلغ عنده أن يحكم عليه فيما شاء من أمر ماله وولده،
فمن ذلك ما حكاه إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد قال: قال لي جعفر يا إبراهيم، إذا كان
غداً فبكر لي، فلما كان من الغد مشيت إليه باكراً، فجلسنا نتحدث، فلما ارتفع النهار

أحضر حجاماً فحجمنا، ثم قدم لنا الطعام فطعمنا، ثم خلع علينا ثياب المنادمة، وقال
جعفر لحاجبه لا يدخل علينا إلا عبد الملك القهرمان، فنسي الحاجب فجاء عبد الملك بن
صالح الهاشمي، وكان رجل بني هاشم فصاحة وملاحة وعلماً وحلماً وجلالة قدر وفخامة
ذكر وصيانة وديانة، فظن الحاجب أنه الذي أمره بدخوله فأدخله، فلما رآه جعفر تغير لونه،
فعلم عبد الملك أنهم قد احتشموا، فأراد أن يرفع خجله وخجلهم بمشاركته لهم، فقال:
اصنعوا بنا ما صنعتموه بأنفسكم، فجاء الخادم وطرح عليه ثياب المنادمة، وجلس يشرب
فلما بلغ ثلاثاً قال: ليخفف عنا، فإنه شيء ما شربته قط، فتهلل وجه جعفر ثم قال له: هل
من حاجة تبلغها مقدرتي وتحيط بها نعمتي فأقضيها لك، مكافأة لما صنعت؟ قال: إن
أمير المؤمنين علي غاضب فتسأله الرضى عني، قال: قد رضي عنك أمير المؤمنين، قال:
وعلي أربعة آلاف دينار، قال: هي حاضرة من مال أمير المؤمنين، قال: وابني إبراهيم أريد
أن أشد ظهره بصهر من أمير المؤمنين، قال: قد زوجه أمير المؤمنين ابنته عائشة، قال:
وأحب أن تخفق الألوية على رأسه، قال: قد ولاه أمير المؤمنين مصر، قال إبراهيم بن
المهدي: فانصرف عبد الملك، وأنا أعجب من إقدام جعفر على قضاء الحوائج من غير
استئذان أمير المؤمنين، فلما كان من الغد وقفنا على باب أمير المؤمنين، ودخل جعفر فلم
يلبث أن دعى بأبي يوسف القاضي ومحمد بن واسع وإبراهيم بن عبد الملك، فعقد له
النكاح وحملت البدر إلى منزل عبد الملك، وكتب سجل إبراهيم على مصر، فأشار إلي
فصرت إلى منزله، فقال لي: قلبك معلق بأمر عبد الملك، قلت: بلى، قال: دخلت على أمير
المؤمنين فمثلت بين يديه، وابتدأت القصة من أولها إلى آخرها كما كانت، فجعل يقول أحسن
والله، ثم قال: ما صنعت؟ فأخبرته بما سأل وبما أجبته، فجعل يقول في ذلك كله أحسنت
أحسنت، وفي هذه الحكاية كفاية عما سواها.
ويقال إن علية بنت المهدي قالت للرشيد بعد إيقاعه بالبرامكة: ما رأيت لك يا سيدي يوم

سرور تام، منذ قتلت جعفراً، فلأي شيء قتلته!! فقال لها: يا أختاه لو علمت أن قميصي
يعلم السبب لحرقته.
وأما ما آل أمرهم إليه من الضرورة والفاة والاحتياج والذلة، فمن ذلك ما حكاه عبد الملك
بن عبد الله بن عبدون الحضرمي الإشبيلي في كتابه المترجم بكمامة الزهر وصدفة الدر
قال:
حدث محمد بن غسان أن صاحب صلاة الكوفة وقاضيها قال: دخلت على أمي في يوم
أضحى فرأيت عندها عجوزاً في أطمار رثة، وإذا لها بيان ولسان، فقلت لأمي من هذه؟
قالت: خالتك عتابة أم جعفر بن يحيى، فسلمت عليها فسلمت علي، فقلت: أضارك
الدهر إلى ما أرى!! قالت: نعم - يا بني إنما كنا في عوار ارتجعها الدهر منا، فقلت:
حدثيني ببعض شأنك، قالت: خذه جملة، لقد مضى علي أضحى مثل هذا مذ ثلاث سنين
وعلى رأسي أربعمائة وصيفة، وأنا أزعم أن ابني عاق لي، وقد جئتكم اليوم أطلب جلدي
شاة، أجعل أحدهما شعاراً والآخر دثاراً، قال: فغمني ذلك وأبكاني فوهبت لها دنانير
كانت عندي. وهذه نهاية الاحتياج والضرورة والفاقة، فنسأل الله تعالى ألا يسلبنا نعمة
أنعم بها علينا، ويجعل الموت قبل بلائه ومحنه.
وكتب يحيى بن خالد إلى الرشيد: لأمير المؤمنين وإمام المسلمين وخلف المهديين وخليفة
رب العالمين، من عبد أسلمته ذنوبه وأوثقته عيوبه، وخذله شقيقه ورفضه صديقه، وزل به
الزمان وأناخ عليه الحدثان، فصار إلى الضيق بعد السعة وعالج البؤس بعد الدعة، وافترش
السخط بعد الرضا، واكتحل السهر وافتقد الهجوع، فساعته شهر وليلته دهر، قد عاين
الموت وشارف الفوت، جزعا. يا أمير المؤمنين، حجب الله عني فقدك لما أصبت به من
بعدك، لا لمصيبتي بالحال والمال فإن ذلك كان بك ولك، وكانت عارية في يدي منك، ولا
بأس أن تسترد العواري، فأما المحنة في جعفر فبجرمه أخذته وبجريرته عاقبته، وما أخاف
عليك زلة في أمره، ولا مجاورة به فوق ما يستحقه، فاذكر يا أمير المؤمنين خدمتي وارحم

ضعفي وشيبتي ووهن قوتي، وهب لي رضى عني، فمن مثلي الزلل ومن مثلك الإقالة،
ولست أعتذر ولكني أقر، وقد رجوت أن يظهر عند الرضى وضوح عذري، وصدق نيتي،
وظاهر طاعتي، وفلج حجتي - ما يكفيني به أمير المؤمنين، ويرى الجلية فيه، ويبلغ المراد
منه إن شاء الله، وكتب:

قل للخليفة ذى الصنا يع والعطايا الفاشية
وابن الخلائف من قري ش والملوك الهادية
ملك الملوك وخير من ساس الأمور الماضية
إن البرامكة الذي ن رموا لديلك بداهيه
عمتهم لك سخطة لم تبق منهم باقية
فكأنهم مما بهم أعجاز نخل خاوية
صفر الوجوه عليهم خلع المذلة بادية
مستضعفون مطردو ن بكل أرض قاصية
من دون ما يلقون من عتب يشيب الناصية
أضحوا وجل مناهم منك الرضا والعافية
بعد الوزارة والإما رة والأمور العالية
انظر إلى الشيخ الكبي ر فنفسه لك راجية
أو ما سمعت مقالتي يا ابن الفروع الزاكية
ما زلت أرجو راحة فاليوم خاب رجائيه
واليوم قد سلب الزما ن كرامتي وبهائيه
ألقى الزمان جرانه متشفياً بعنائيه
ورمى سواد مقاتلي فأصاب حين رمانيه
يا من يود لي الردى يكفيك ويحك ما بيه
يكفيك أني مستبا ح عشيرتي ونسائيه
يكفيك ما أبصرت من ذلي وضيق مكانيه
وذهاب مالي كله وفدي الخليفة ماليه
إن كان لا يكفيك إل لا أن أذوق حماميه
فلقد رأيت الموت من قبل الممات علانيه
وفجعت أعظم فجعة وفنيت قبل فنائيه
وهويت في قعر السجو ن علي رفيع بنائيه
انظر بعينك هل ترى إلا قصوراً خاليه
وذخائر موروثة قسمن قبل مماتيه
ومصارعاً وفجائعاً ومصائباً متواليه
ونوادباً يندبنني تحت الدجى بكنائية
أأبا علي البرمك ي فما أجيب الداعيه
ونداؤهن وقد سمع ت مقلقل أحشائيه
أخليفة الله الرضا لا تشمتن أعدائيه
واذكر مقاساتي الأمو ر وخدمتي وعَنائيه
ارحم جعلت لك الفدا كربي وشدة حاليه
وارحم أخاك الفضل وال باقين من أولاديه

أخليفة الرحمن إن نك لو رأيت بناتيه
وبكاء فاطمة الصغي رة والمدامع جاريه
ومقالها بتوجع يا شقوتي وشقائيه
من لي وقد غضب الإما م على جميع رجاليه
وعدمت طيب معيشتي وتغيرت حالاتيه
يا نعمة الملك الرضا عودي علينا ثانيه
ويروى أن الرشيد لما قرأ الأبيات وقع تحت الشعر يقول:
أجرى القضاء عليكم ما جئتموه علانيه
من ترك نصح إمامكم عند الأمور الباديه
يا آل برمك إنما كنتم ملوكاً عاديه
فكفرتم وعصيتم وجحدتم نعمائيه
فسلبتموها هكذا وكذا ترد العاريه
هذه عقوبة من عصا معبوده وعصانيه
وكتب تحت الشعر "وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة
يأتيها رزقها رغداً من كل
مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما
كانوا يصنعون".
قال: ولم يزل يحيى في الحبس حتى مات سنة تسعين ومائة
في المحرم منها، وهو ابن سبعين
سنة، وتوفي الفضل بن يحيى في المحرم سنة ثلاث وتسعين
ومائة.
نعود إلى بقية حوداث سنة سبع وثمانين ومائة من الهجرة.
ذكر القبض على عبد الملك بن صالح
في هذه السنة غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح بن علي
بن عبد الله، وكان
سبب ذلك أنه كان له ولد اسمه عبد الرحمن وبه كان يكنى،
فسعى به إلى الرشيد هو
وقمامه كاتب أبيه، وقالا: إنه يطلب الخلافة ويطمع فيها، فأخذه
وحبسه عند الفضل بن
الربيع، ولم يزل عبد الملك في الحبس إلى أن مات الرشيد،
فأخرجه الأمين واستعمله على
الشام.
غزو الروم
في هذه السنة دخل القاسم بن الرشيد أرض الروم في شعبان،
فصالحه الروم على ثلاثمائة
وعشرين أسيراً من المسلمين، على أن يرحل عنهم فأجاب إلى
ذلك ورحل عنهم، وكان
يملك الروم يومئذ امرأة اسمها ريني، فخلعها الروم وملكوا
عليهم نقفور، ويزعم الروم أنه من
أولاد جفنة من غسان، وكان قبل أن يملك يلي الخراج، فلما
استوثق الروم لنقفور كتب إلى

الرشيد من نقفور - ملك الروم - إلى هارون - ملك العرب - أما بعد فإن الملكة التي
كانت قبلي أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها مقام البيدق، فحملت إليك من أموالها ما
كنت حقيقاً بحمل أضعافها إليها، لكن ذلك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي هذا
فاردد ما حصل لك من أموالها، وافتد نفسك بما يقع من المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا
وبينك، فلما قرأ الرشيد الكتاب استفزه الغضب، حتى لم يقدر أحد أن ينظر إليه دون أن
يخاطبه، وتفرق جلساؤه، فدعا بداوة وكتب على ظهر الكتاب:
من هارون - أمير المؤمنين
- إلى نقفور كلب الروم، قد قرأ كتابك يابن الكافرة، والجواب ما تراه دون ما تسمعه
والسلام. ثم سار من يومه حتى نزل على هرقلة، ففتح وغنم وأحرق وخرب، فسأله نقفور
المصالحة على خراج يحمله إليه في كل سنة، فأجابه إلى ذلك، فلما رجع الرشيد نقض نقفور
العهد، وكان البرد قد اشتد فأمن رجعة الرشيد، فجاء الخبر بنقضه وقد بلغ الرشيد الرقة،
فأشفق الناس من إعلام الرشيد، وخافوا عوده لشدة البرد، فاحتيل عليه بشاعر قيل هو
أبو محمد عبد الله بن يوسف، وقيل هو الحجاج بن يوسف التيمي فقال أبياتاً منها:

نقض الذي أعطيته نقفور فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فإنه فتح أتاك به الإله كبير
فتح يزيد على الفتوح يؤمنا بالنصر فيه لواؤك المنصور

فلما سمع الرشيد ذلك قال: أو فعل ذلك نقفور! ورجع إلى بلاد الروم في أشد زمان، حتى
بلغ بلادهم فبلغ ما أراد، وقيل كان ذلك في سنة تسعين ومائة وفتح هرقلة - على ما نذكره
إن شاء الله تعالى.
وفيها زلزت المصيصة فانهدم سورها، ونضب ماؤها ساعة من الليل. وحج بالناس عبد
الله بن العباس بن محمد بن علي.
ودخلت سنة ثمان وثمانين ومائة.
في هذه السنة غزا إبراهيم بن جبريل الصائفة، فدخل أرض الروم من درب الصفصاف
فخرج إليه نقفور ملك الروم، فأتاه من ورائه أمر صرفه عنه، فلقي جمعاً من المسلمين فجرح
ثلاث جراحات وانهزم، وقتل من الروم أربعون ألفاً وسبعمائة.
وحج الرشيد بالناس في هذه

السنة.
ودخلت سنة تسع وثمانين ومائة.
مسيره إلى الري
في هذه السنة سار الرشيد إلى الري، وسبب ذلك أن أهل خراسان تظلموا من علي بن
عيسى بن ماهان، وشكوا سوء سيرته فيهم، وقيل للرشيد إنه قد أجمع على الخلاف،
فسار إلى الري في جمادى الأولى ومعه ابناه المأمون والقاسم المؤتمن، وأحضر القضاة
والشهود وأشهدهم أن جميع ما في عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكراع وغير
ذلك للمأمون، وليس له فيه شيء، وأقام الرشيد بالري أربعة أشهر، حتى أتاه علي بن
عيسى من خراسان فأهدى إليه الهدايا الكثيرة والأموال العظيمة، وأهدى لجميع من معه
من أهل بيته وولده وكتابه وقواده من الطرف والجواهر وغير ذلك، فرأى الرشيد خلاف ما
كان يظن فرده إلى خراسان، ورجع الرشيد إلى العراق في آخر هذه السنة.
وفيها كان الفداء بين الروم والمسلمين، فلم يبق بأرض الروم مسلم إلا فودي به. وحج
بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله.
ودخلت سنة تسعين ومائة.
فتح هرقلة
في هذه السنة فتح الرشيد هرقلة وخربها، وكان سبب مسيره إليها ما قدمناه في سنة
سبع وثمانين من غدر نقفور، فكان فتحها في شوال وحصرها ثلاثين يوماً. قال: ودخل البلاد
في مائة ألف وخمس وثلاثين ألفاً من المرتزقة، سوى الأتباع والمتطوعة ومن لا ديوان لهم،
ووجه داود بن عيسى بن موسى في سبعين ألفاً، فسار في أرض الروم يخرب وينهب، وفتح
شراحيل بن معن بن زائدة حصن وديسه، وافتتح يزيد بن محلد الصفصاف وملوقية،
واستعمل حميد بن معيوف على ساحل الشام ومصر، فبلغ قبرس فهدم وأحرق وسبى من
أهلها سبعة عشر ألفاً، فلما قدم بهم الرافقة بيعوا بها، وبلغ فداء أسقف قبرس ألفي دينار،
ثم سار الرشيد إلى طوانة فنزل بها، ثم رحل عنها وخلف عليها عقبة بن جعفر، وبعث

نقفور بالخراج والجزية عن رأسه أربعة دنانير، وعن رأس ولده دينارين وعن بطارقته كذلك،
وكتب نقفور إلى الرشيد في جارية من سبي هرقلة، كان خطبها لولده فبعثها إليه.
وقد ذكر أبو الفرج الأصفهاني عند ذكره ترجمة أشجع بن عمرو السلمي، وما امتدح به
الرشيد لما فتح هرقلة، وسياقه أتم من هذا السياق وأكثر تبياناً، فأحببنا أن نشرحه ها
هنا ليكون خبرها على توال واتساق، فقال: أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدثنا
محمد بن يزيد قال: كان من خبر غزاة الرشيد هرقلة أن الروم كانت ملكت امرأة، لأنه لم
يكن في زمانها من أهل المملكة غيرها، وكانت تكتب إلى المهدي والهادي والرشيد – في
أول خلافته - بالتعظيم والتبجيل، وتدر عليه الهدايا حتى بلغ ابنها. فحاز الملك دونها
وعاث وأفسد وفاسد الرشيد، فخافت على ملك الروم أن يذهب وعلى بلادهم أن
تعطب، لعلمها بالرشيد وخوفها من سطوته، فاحتالت على ابنها فسملت عينيه. فبطل
من الملك وعاد الملك إليها، فاستكبر ذلك أهل المملكة وأبغضوها من أجله، فخرج عليها
نقفور وكان كاتبها، فأعانوه وعضدوه وقام بأمر المملكة وضبط أمر الروم، فلما قوي أمره
وتمكن من ملكه كتب إلى الرشيد: من نقفور ملك الروم إلى الرشيد ملك العرب، أما بعد،
فإن هذه المرأة كانت وضعتك وأباك وأخاك موضع الملوك، ووضعت نفسها موضع السوقة،
وإني واضعك بغير ذلك الموضع، وعامل على تطرق بلادك والهجوم على أمصارك، أو
تؤدي إلي ما كانت المرأة تؤديه إليك والسلام.
فلما ورد الكتاب على الرشيد كتب إليه: بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله هارون
- أمير المؤمنين - إلى نقفور - كلب الروم - أما بعد فقد فهمت كتابك، وجوابك عندي ما
تراه عياناً لا ما تسمعه. ثم شخص من شهره ذلك يؤم بلاد الروم، في جمع لم يسمع بمثله،
فلما بلغ نقفور ذلك ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وشاور في أمره، وجد الرشيد فجعل
يوغل في بلاد الروم، فيقتل ويسبي ويغنم ويعفي الآثار ويخرب الحصون، حتى صار إلى طرق

متضايقة دون قسطنطينية، فلما بلغها وجدها وقد أمر نقفور بالشجر فقطع ورمى به في
تلك الطرق وأشعلت فيه النيران، فكان الرشيد أول من لبس ثياب النفاطين فخاضها، ثم
اتبعه الناس فبعث إليه نقفور بالهدايا، وخضع له أشد الخضوع وأدى له الجزية، عن رأسه
فضلاً عن أصحابه، فرجع هارون - لما أطاعه ما أعطاه - إلى الرقة.
فلما رجع وأمن نقفور أن يغزى اغتر بالمهلة، ونقض ما كان بينه وبين الرشيد ورجع إلى
حالته الأولى، فلم يجترىء يحيى بن خالد فضلاً عن غيره على إخبار الرشيد بغدر نقفور،
وبذل هو وبنوه أموالاً للشعراء على أن يقولوا أشعاراً في إعلام الرشيد بذلك، فكلهم أشفق
إلا شاعر من أهل جدة يكنى أبا محمد، وكان مجيداً قوي الشعر، فإنه أخذ من يحيى وبنيه
مائة ألف درهم، ودخل إلى الرشيد فأنشده:

نقض الذي أعطيته نقفور فعليه دائرة البوار تدور
أبشر أمير المؤمنين فإنه فتح أتاك به الإله كبير
فتح يزيد على الفتوح بؤمنا بالنصر فيه لواؤك المنصور
فلقد تباشرت الرعية أن أتى بالنقض منه وافد وبشير
درجت يمينك أن تعجل غزوة تشفي النفوس نكالها مذكور
أعطاك جزيته وطأطأ خده حذر الصوارم والردى محذور
فأجرته من وقعها وكأنها بأكفنا شعل الظلام تطير
وصرفت من طول العساكر قافلاً عنه وجارك آمن مسرور
نقفور إنك حين تغدر إن نأى عنك الإمام لجاهل مغرور
ألقاك حينك في زواخر بحره فطمت عليك من الإمام بحور
إن الإمام على اقتسارك قادر قربت ديارك أم نأت بك دور
ليس الإمام وإن غفلنا غافلاً عما يسوس بحزمه ويدير
ملك تجرد للجهاد بنفسه فعدوه أبداً به مقهور
يا من يريد رضى الإله بسعيه والله لا يخفى عليه ضمير
لا نصح ينفع من يغش إمامه والنصح من نصحائه مشكور
نصح الإمام على الأنام فريضة ولأهله كفارة وظهور

قال: فلما أنشده قال الرشيد: أو قد فعل!! وعلم أن الوزراء قد احتالوا في ذلك، قال:
فسار الرشيد قاصداً إليه، وجعل قبل وصوله إلى هرقلة يفتتح الحصون والمدن ويحرقها،
حتى أناخ على هرقلة وهي على أوثق حصن وأعزه جانباً وأمنعه ركناً، فتحصن أهلها،
وكان بابها على واد ولها خندق يطيف بها، قال: فحدثني شيخ من مشايخ المطوعة

وملازمي الثغور، يقال له علي بن عبد الله قال حدثني جماعة من أهل الثغر:
أن الرشيد لما حصر أهل هرقلة وألح عليهم بالمجانيق والسهام والعرادات فتح الباب ذات
يوم، فاستشرف المسلمون لذلك، فإذا رجل من أهلها كأكمل الرجال، قد خرج في أكمل
السلاح فنادى: قد طال مواقفتكم إيانا فليبرز إلي منكم رجلان، ثم لم يزل حتى بلغ
عشرين، فلم يجبه أحد، فدخل وأغلق الباب، وكان الرشيد نائماً فلم يعلم بخبره إلا بعد
انصرافه، فغضب ولام خدمه وغلمانه على تركهم إنباهه، وتأسف لفوته، فقيل له إن الامتناع
منه سيغريه ويطغيه، وأحرى به أن يخرج في غد فيطلب مثل ما طلب، فطالت على
الرشيد ليلته وأصبح كالمنتظر له، فإذا بالباب قد فتح وخرج الرجل طالباً للبراز، وذلك في
يوم شديد الحر، فجعل يدعو أنه يثبت لعشرين منهم، فقال الرشيد: من له؟ فابتدره جلة
القواد كهرثمة ويزيد بن مزيد وعبد الله بن مالك وخزيمة بن خازم وأخيه عبد الله وداود بن
يزيد وأخيه، فعزم على إخراج بعضهم، فضج المطوعة حتى سمع ضجيجهم، فأذن لعشرين
منهم فقال قائلهم: يا أمير المؤمنين، قوادك مشهورون بالنجدة والبأس وعلو الصوت ومدارسة
الحرب، ومتى خرج واحد منهم فقتل هذا العلج لم يكبر ذاك، وإن قتله العلج كان وصمة
على العسكر قبيحة وثلمة لا تسد، ونحن عامة لم يرتفع لأحد منا صوت إلا كما يصلح
للعامة، فإن رأى أمير المؤمنين أن يخلينا نختار رجلاً فنخرجه إليه، فإن ظفر علم أهل
الحصن أن أمير المؤمنين ظفر بأعرفهم، على يد رجل من العامة من أفناء الناس، وإن قتل
الرجل فإنما استشهد، ولم يؤثر ذهابه في العسكر ولم يثلمه رجل، وخرج إليه بعده مثله حتى
يقضي الله ما شاء، فقال الرشيد: قد استصوبت رأيكم هذا، فاختاروا رجلاً يعرف بابن
الجزري، وكان معروفاً في الثغر بالبأس والنجدة، فقال له الرشيد: أتخرج؟ قال نعم وأستعين
بالله تعالى، فقال: أعطوه فرساً ورمحاً وسيفاً وترساً، فقال: يا أمير المؤمنين، أنا بفرسي
أوثق، ورمحي بيدي أشد، ولكني قد قبلت السيف والترس، فلبس سلاحه واستدناه

الرشيد فودعه وأتبعه الدعاء، وخرج معه عشرون من المطوعة، فلما انقض في الوادي قال
لهم العلج - وهو يعدهم واحداً واحداً - إنما كان الشرط عشرين، وقد زدتم رجلاً ولكن
لا بأس، فنادوه ليس يخرج إليك إلا رجل واحد، فلما فصل منهم ابن الجزري تأمله الرومي،
وقد أشرف أكثر الناس من الحصن يتأملون صاحبهم والقرن، فقال له الرومي: أتصدقني
عما أستخبرك؟ قال: نعم، قال: أنت بالله ابن الجزري؟ قال: اللهم نعم، فكفر له ثم أخذا
في شأنهما، فتطاعنا حتى طال الأمر بينهما وكاد الفرسان يقومان، وليس يخدش واحد
منهما صاحبه، ثم تحاجزا بشيء فزج كل واحد منهما رمحه، وانتضى سيفه فتجالدا ملياً،
واشتد عليهما الحر وتبلد الفرسان، وجعل ابن الجزري يضرب الضربة التي يرى أنه قد بلغ
بها، فيتقيها الرومي وكان ترسه من حديد، ويضربه الرومي ضربة معذر، فلما يئس كل
واحد منهما من الوصول إلى صاحبه انهزم ابن الجزري، فدخلت المسلمين كآبة لم يكتئبوا
مثلها قط، وعطعط المشركون اختيالاً وتطاولاً، وإنما كانت هزيمته حيلة منه فاتبعه العلج،
وتمكن ابن الجزري منه فرماه بوهق فوقع في عنقه فما أخطأه، وركض فاستلبه عن فرسه ثم
عطف عليه، فما وصل إلى الأرض حتى فارقه رأسه، فكبر المسلمون أعلى تكبير، وانخزل
المشركون وبادروا الباب يغلقونه، واتصل الخبر بالرشيد فصاح بالقواد: اجعلوا النار في
المجانيق، ففعلوا وجعلوا الكتان والنفط على الحجارة، وأضرموا ناراً ورموا بها السور،
فكانت النار تلصق به وتأخذه الحجارة، وقد تصدع فتهافت، فلما أحاطت بهم النيران
فتحوا الباب مستأمنين، فقال الشاعر المكي الذي ينزل جدة:

هوت هرقلة لما أن رأت عجباً حوائماً ترتمي بالنفط والنار
كأن نيراناً في جيب قلعتهم مصبغات على أرسان قصار

قال محمد بن يزيد: وأعظم الرشيد الجائزة للجدى الشاعر، وصب الأموال على ابن
الجزري وقود، فلم يقبل التقويد وسأل أن يعفى، ويترك مكانه من الثغر فلم يزل به طول
عمره. وحج بالناس عيسى بن موسى الهادي.
ودخلت سنة إحدى وتسعين ومائة.

في هذه السنة عزل الرشيد عن خراسان علي بن عيسى بن ماهان، واستعمل عليها
هرثمة بن أعين. وحج بالناس في هذه السنة الفضل بن العباس بن محمد بن علي.
ودخلت سنة اثنتين وتسعين ومائة.
في هذه السنة تحركت الخرمية بناحية أذربيجان، فوجه إليهم الرشيد عبد الله بن مالك في
عشرة آلاف، فقتل وسبى وأسر، وحج بالناس العباس بن عبد الله بن جعفر.
ودخلت سنة ثلاث وتسعين ومائة.
وفاة الرشيد
كانت وفاته ليلة السبت - الثالث من جمادى الآخرة - من هذه السنة، وكان قد توجه
إلى خراسان في سنة اثنتين وتسعين ومائة، فمرض في الطريق بجرجان فسار إلى طوس،
فمات بها وصلى عليه ابنه صالح ودفن بطوس. روى أبو الفرج الأصفهاني عن جحظة عن
ميمون بن هارون قال:
رأى الرشيد فيما يرى النائم كأن امرأة وقفت عليه، وأخذت كف التراب ثم قالت: هذه
تربتك عن قليل، فأصبح فزعاً فقص رؤياه، فقال له أصحابه: وما في هذا!! قد يرى النائم
أكثر من هذا وأغلظ ثم لا يضره فركب وقال: إني لا أرى الأمر قريباً، فبينا هو يسير إذ
نظر إلى امرأة واقفة من وراء شباك حديد تنظر إليه، فقال: هذه والله التربة التي رأيتها،
وهذه المرأة بعينها، ثم مات بعد مدة ودفن في ذلك الموضع بعينه، أشتري له ودفن فيه،
وأتى نعيه بغداد فقال أشجع يرثيه:

غربت بالمشرق الشم س فقلب للعين تدمع
ما رأينا قط شمساً غربت من حيث تطلع

وكان عمره سبعاً وأربعين سنة وخمسة أشهر وخمسة أيام، وخلافته ثلاثاً وعشرين سنة
وشهرين وثمانية عشر يوماً، وكان جميلاً وسيماً أبيض جعداً قد وخطه الشيب.
وكان له من الأولاد: محمد الأمين، وعبد الله المأمون، والقاسم المؤتمن، وأبو إسحاق
المعتصم، وصالح، وأبو عيسى محمد، وأبو يعقوب محمد، وأبو العباس محمد، وأبو سليمان
محمد، وأبو علي محمد، وأبو محمد - وهو اسمه، وأبو أحمد محمد، وكلهم لأمهات أولاد إلا

الأمين. وله من البنات سكينة، وأم حبيب، وأروى، وأم الحسن، وأم محمد - وهي
حمدونة، وفاطمة، وأم أبيها، وأم سلمة، وخديجة، وأم القاسم، ورملة، وأم جعفر، والغالية،
وريطة، كلهن لأمهات أولاد، والواحدة من بناته تعد عشرة من الخلفاء كلهم لها محرم هارون
أبوها، والهادي عمها، والمهدي جدها، والمنصور جد أبيها، والسفاح عم جدها، والأمين
والمأمون والمعتصم إخوتها، والواثق والمتوكل ابنا أخيها.
وكان نقش خاتمه: العظمة والقدرة لله، وقيل كن من الله على حذر. وزارؤه: يحيى بن
خالد بن برمك ثم ابناه جعفر والفضل، ثم استوزر بعد البرامكة الفضل بن الربيع. قضاته:
نوح بن دراج بالجانب الغربي، وحفص بن غياث بالشرقي.
حاجبه: بشر مولاه، ثم محمد
بن خالد بن برمك، ثم الفضل بن الربيع. الأمراء بمصر: علي بن سليمان الهاشمي، ثم
موسى بن عيسى، ثم إبراهيم بن صالح ثم مات فوليها أحمد بن خالد الأعرج، ثم إسحاق
بن سليمان بن علي الهاشمي، ثم هرثمة بن أعين ثم ولاه المغرب، وولى عبد الملك بن صالح
بن علي الهاشمي ثم عبيد الله بن المهدي، ثم إسماعيل بن صالح بن علي الهاشمي، ثم
الليث بن الفضل، ثم أحمد بن إسماعيل بن علي الهاشمي، ثم عبد الله بن محمد بن إبراهيم
بن محمد بن علي الهاشمي ويعرف بابن زينب، ثم الحسين بن جميل الأزدي، ثم مالك بن
دلهم، ثم الحسن بن البحباح القضاة بها: أبو طاهر عبد الملك، ثم المفضل بن فضالة، ثم
محمد بن مسروق الكندي، ثم إسحاق بن الفرات، ثم عبد الرحمن بن عبد الله - من ولد
عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وهو أول من دون الشهود.
من سيرته وأخباره
قيل: كان الرشيد يصلي في كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا، لا يقطعها إلا في مرض،
وكان يتصدق من صلب ماله في كل يوم بألف درهم، وكان إذا حج حج معه مائة من الفقهاء
وأبنائهم، وإذا لم يحج أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة التامة والكسوة، وكان يحب الشعر
والشعراء، ويميل إلى أهل الأدب والفقه، ويكره المراء في الدين، وكان يحب المديح لا سيما

من شاعر فصيح، ويجزل العطاء عليه، ولما مدحه مروان بن أبي حفصة بقصيدته التي
منها:
وسدت بهارون الثغور فأحكمت به من أمور المسلمين المرائر
أعطاه خمسة آلاف دينار وعشرة من الرقيق الرومي وبرذوناً من خاص مراكبه.
وقيل: اجتمع للرشيد ما لم يجتمع لغيره من جد وهزل، ووزراؤه البرامكة لم ير مثلهم في
السخاء، وقاضيه أبو يوسف وشاعره مروان بن أبي حفصة، ونديمه عم أبيه العباس بن
محمد، وحاجبه الفضل بن الربيع. إربة الناس، ومغنيه إبراهيم الموصليي، واحد عصره في
صناعته، وضاربه زلزل، وزامره برصوماً، وزوجته أم جعفر بنت جعفر، أرغب الناس في
خير، وأسرعهم إلى كل بر، وأمه الخيزران أم الخلفاء.
قال: وبذل الرشيد الأمان للطالبيين، وأخرج الخمس لبني هاشم، وقسم للذكر والأنثى
خمسمائة، وفرض لأبناء المهاجرين والأنصار، وعمر طرسوس وجعل فيها جماعة من الموالي
رحمه الله تعالى.

خلافة الأمين
هو أبو عبد الله وقيل أبو موسى وقيل أبو العباس - محمد بن هارون الرشيد، وأمه أمة
الواحد وقيل أمة العزيز بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، ولقبت زبيدة، ولم يل الخلافة
بعد علي والحسن من أمه هاشمية غيره، وهو السادس من الخلفاء العباسيين، بويع له
بالخلافة بطوس في عسكر الرشيد، صبيحة الليلة التي توفي فيها الرشيد، لثلاث خلون من
جمادى الآخرة سنة ثلاث وتسعين ومائة، وكان المأمون يومئذ بمرو، فكتب حمويه - مولى
المهدي وهو صاحب البريد - إلى نائبه ببغداد، وهو أبو مسلم سلام، يعلمه بوفاة الرشيد،
فدخل أبو مسلم على الأمين فعزاه بأبيه وهنأه بالخلافة، وكتب صالح بن الرشيد إلى أخيه
الأمين بذلك مع رجاء الخادم، وأرسل معه الخاتم والقضيب والبردة، فلما وصل رجاء انتقل
الأمين من قصره الخلد إلى قصر الخلافة، وصلى بالناس الجمعة، ثم صعد المنبر فنعى

الرشيد وعزى نفسه والناس، ووعدهم الخير وأمن الأبيض والأسود، وفرق في الجند الذين
ببغداد رزق أربعة وعشرين شهراً، ودعا إلى البيعة فبايعه جلة أهل بيته، ووكل عم أبيه
وأمه سليمان بن المنصور بأخذ البيعة على القواد وغيرهم، وأمر السدي بمبايعة من
عداهم، وقدمت العساكر التي كانت مع الرشيد، وقدمت زبيدة امرأة الرشيد أم الأمين من
الرقة إلى بغداد، فتلقاها ابنها الأمين بالأنبار، ومعه جميع من ببغداد من الوجوه، وكان معها
خزائن الرشيد.
وفيها ابتدأت الوحشة بين الأمين والمأمون، وظهر الخلاف فيما بعدها وتفاقم الأمر،
وسنذكر ذلك كله وأسبابه في آخر أيام الأمين، ليكون خبر ذلك متوالياً لا ينقطع بخروج سنة
ودخول أخرى، فلنذكر من أخبار الأمين خلاف ذلك وفيها عزل الأمين أخاه القاسم المؤتمن
عن الجزيرة، وأقره علي العواصم، واستعمل على الجزيرة خزيمة بن خازم.
وحج بالناس في هذه السنة داود بن عيسى بن موسى بن محمد وهو أمير مكة.
ودخلت سنة أربع وتسعين ومائة.
خلاف أهل حمص
على الأمين
في هذه السنة خالف أهل حمص على الأمين، فتحول عاملهم إسحاق بن سليمان إلى
سلمية، فعزله الأمين واستعمل مكانه عبد الله بن سعيد الحرشي، فقتل عدة من وجوههم
وحبس عدة، وألقى النار في نواحيها، فسألوه الأمان فأجابهم، ثم هاجوا بعد ذلك فقتل
عدة منهم.
ودخلت سنة خمس وتسعين ومائة.
في هذه السنة قطع الأمين خطبة المأمون، وأمر بإسقاط ما ضرب باسمه من الدنانير
والدراهم بخراسان، وأمر فدعي لابنه موسى ولقبه الناطق بالحق، ولابنه الآخر عبد الله
ولقبه القائم بالحق.
خروج السفياني
وما كان من أمره
في هذه السنة خرج السفياني - وهو علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية، وأمه

نفيسة بنت عبيد الله بن العباس بن علي بن أبي طالب، وكان يقول: أنا ابن شيخي صفين
- يشير إلى علي ومعاوية، وكان يلقب بأبي العميطر، لأنه قال لأصحابه: أي شيء كنية
الحرذون؟ قالوا: لا ندري، قال: هو أبو العميطر، فلقبوه به، ولما خرج دعا لنفسه بالخلافة
في ذى الحجة، وقوي على سليمان بن المنصور عامل دمشق، وأخرجه عنها وأعانه
الخطاب بن وجه الفلس مولى بني أمية، وكان قد تغلب على صيدا، فبعث الأمين إليه
الحسن بن علي بن عيسى بن ماهان، فبلغ الرقة ولم يصل إلى دمشق، قال: وكان عمر
السفياني لما خرج تسعين سنة، وكان الناس قد أخذوا عنه علماً كثيراً، وكان حسن
السيرة، فلما خرج ظلم وأساء السيرة، فتركوا ما كانوا نقلوه عنه، وكان أكثر أصحابه من
كلب، وكتب إلى محمد بن بيهس الكلابي يدعوه إلى طاعته، ويتهدده إن لم يفعل فلم يجبه إلى
ذلك، فأقبل السفياني لقصد القيسية فكتبوا إلى محمد بن صالح، فأقبل إليهم في ثلاثمائة
فارس ومواليه، فبعث إليه السفياني يزيد بن هشام في اثني عشر ألفاً، فالتقوا فانهزم يزيد ومن
معه، وقتل منهم زيادة على ألفين، وأسر ثلاثة آلاف فأطلقهم ابن بيهس، وحلق رءوسهم
ولحاهم، فضعف السفياني، ثم جمع جمعاً وجعل عليهم ابنه القاسم، وخرجوا إلى بيهس
فالتقوا واقتتلوا فقتل القاسم وانهزم أصحاب السفياني، وبعث رأسه إلى الأمين، ثم جمع
جمعاً آخر وبعثهم مع مولاه المعتمر، فلقيهم ابن بيهس فقتل المعتمر وانهزم أصحابه، فوهن
أمر السفياني وطمعت فيه قيس، ثم مرض ابن بيهس، فاستخلف مسلمة بن يعقوب بن
علي بن محمد بن سعيد بن مسلمة بن عبد الملك، وأمر بني نمير بمبايعته بالخلافة، وعاد
ابن بيهس إلى حوران، واجتمعت نمير على مسلمة وبايعوه، فدخل على السفياني وقبض
عليه وقيده، وقبض على رؤساء بني أمية فبايعوه، وأدنى القيسية وجعلهم خاصته، فلما
عوفي محمد بن بيهس عاد إلى دمشق فحصرها، فسلمها إليه القيسية، وهرب مسلمة
والسفياني في زي النساء إلى المزة، وذلك في المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، وغلب ابن

بيهس على دمشق، إلى أن قدم عبد الله بن طاهر دمشق ودخل إلى مصر وعاد إلى
دمشق فأخذ ابن بيهس معه إلى العراق فمات بها.
وحج بالناس عامل مكة داود بن عيسى.
ودخلت سنة ست وتسعين ومائة.
في هذه السنة استعمل الأمين على الشام عبد الملك بن صالح بن علي، فسار إليها فتوفي
بالرقة قبل وصوله إلى الشام. وفيها خلع الأمين وبويع للمأمون، ثم عاد الأمين إلى الخلافة،
على ما نذكره إن شاء الله تعالى.
ودخلت سنة سبع وسبعين ومائة.
في هذه السنة حج بالناس العباس بن موسى بن عيسى. وجهه طاهر بأمر المأمون.
وفيها سار المؤتمن بن الرشيد ومنصور بن المهدي إلى المأمون بخراسان، فوجه المأمون أخاه
المؤتمن إلى جرجان.
ودخلت سنة ثمان وتسعين ومائة.
أخبار الأمين والمأمون
وما كان بينهما من الفتن والاختلاف وما أفضى إليه الأمر من قتل الأمين
كان ابتداء الخلف بينهما في سنة ثلاث وتسعين ومائة عند وفاة الرشيد. وكان سبب
ذلك أن الرشيد كان قد أشهد عليه في سفرته التي مات فيها: أن جميع ما في عسكره من
مال ومتاع ورقيق وكراع وغير ذلك للمأمون، وأخذ له البيعة على جميع من في عسكره،
فعظم ذلك على الأمين، ثم بلغه شدة مرض الرشيد، فأرسل بكر بن المعتمر وكتب معه كتباً
وجعلها في قوائم صناديق المطبخ، وألبسها جلود البقر، وقال: لا تظهرن أمير المؤمنين ولا
غيره عليها، فإذا مات فادفع الكتب إلى أربابها، فقدم بكر إلى طوس فبلغ الرشيد قدومه،
فأحضره وسأله عن موجب قدومه، قال: بعثني الأمين لآتيه بخبرك، قال: فهل معك كتاب؟
قال: لا، فأمر بتفتيش ما معه فلم يصيبوا شيئاً، فأمر به فضرب فما أقر، ثم أمر الفضل بن
الربيع بتقريره، فإن أقر وإلا ضرب عنقه، ثم مات الرشيد فأخرج بكر الكتب التي معه،
وهي كتاب إلى المأمون يأمره بترك الجزع، وأخذ البيعة على الناس لأخيهما المؤتمن، فلم
يكن المأمون حاضراً وكان بمرو، وكتاب إلى أخيه صالح يأمره بتسيير العسكر واستصحاب

ما فيه، وأن يتصرف هو ومن معه برأي الفضل بن الربيع، وكتاب إلى الفضل بالحفظ
والاحتياط على الحرم والأموال وغير ذلك، وأقر كل من كان على عمل من الأعمال على
عمله، من صاحب شرط وحجابة وحرس، فلما قرءوا الكتب تشاور القواد في اللحاق
بالمأمون أو الأمين، فقال الفضل بن الربيع: لا أدع ملكاً حاضراً لآخر ما أدري ما يكون من
أمره، ثم أمر الناس بالرحيل فرحلوا، محبة منهم لأهليهم ووطنهم وتركوا العهود التي كانت
أخذت عليهم للمأمون، فلما بلغ المأمون ذلك جمع من كان عنده من القواد، وفيهم ذو
الرئاستين الفضل بن سهل، وهو أعظمهم قدراً عنده وأخصهم به، واستشارهم فأشاروا
عليه أن يلحقهم جريدة في ألفي فارس ويردهم، فخلى به ذو الرئاستين وقال: إن فعلت ما
أشار به هؤلاء جعلوك هدية إلى أخيك ولكن الرأي أن تكتب إليهم كتاباً مع رسول من
عندك، تذكرهم البيعة وتسألهم الوفاء وتحذرهم الحنث، ففعل ووجه سهل بن صاعد
ونوفلاً الخادم، فلحقا الجند والفضل بنيسابور، فأوصلا الفضل كتابه فقال: إنما أنا واحد من
الجند، وشد عبد الرحمن بن جبلة على سهل بالرمح ليطعنه، فأمره على جنبه وقال: قل
لصاحبك لو كنت حاضراً لوضعته فيك، وسب المأمون فرجعا إليه بالخير فقال ذو
الرئاستين: أعداء استرحت منهم، وقال له: اصبر وأنا أضمن لك الخلافة، فقال المأمون: قد
فعلت وجعلت الأمر إليك فقم به، قال ذو الرئاستين: والله لأصدقنك، إن عبد الله بن مالك
ومن معه من القواد قاموا لك بالأمر كانوا أنفع لك مني، برياستهم المشهورة وبما عندهم من
القوة، فمن قام بالأمر كنت خادماً له حتى تبلغ أملك وترى رأيك، وقام ذو الرئاستين فأتاهم
في منازلهم، وذكر لهم البيعة وما يجب عليهم من الوفاء، قال: فكأني جئتهم بجيفة على
طبق، فقال بعضهم: هذا لا يحل وأخرجه، وقال بعضهم: ومن الذي يدخل بين أمير المؤمنين
وأخيه؟ قال: فجئت وأخبرته فقال: قم بالأمر، فأشار عليه أن يبعث إلى الفقهاء، ويدعوهم
إلى الحق والعمل به وإحياء السنة ورد المظالم، وأن تجلس على الصوف وتكرم القواد، ففعل

ذلك ووضع عن خراسان ربع الخراج، فحسن ذلك عند أهلها
وقالوا: ابن أختنا وابن عم
نبينا صلى الله عليه وسلم، ثم كتب المأمون إلى الأمين وعظمه.
ولما قدم الفضل بن الربيع العراق - وقد نكث عهد المأمون -
علم أن المأمون، إن أفضت
إليه الخلافة وهو حي، لم يبق عليه، فسعى في إغراء الأمين
وحثه على خلع المأمون،
والبيعة لابنه موسى بولاية العهد - ولم يكن ذلك في عزم
الأمين، فلم يزل الفضل يصغر أمر
المأمون عنده ويزين له خلعه، ووافقه على ذلك علي بن عيسى
بن ماهان والسندي
وغيرهما، فرجع الأمين إلى قولهم وجمع القواد لذلك، فنهاه
عبد الله بن خازم وأبى القواد
ذلك، وربما ساعده قوم، فلما بلغ إلى خزيمة بن خازم قال له: يا
أمير المؤمنين، لم ينصحك من
كذبك، ولم يغشك من صدقك، لا تجريء القواد على الخلع
فيخلعوك، ولا تحملهم على
نكث العهد فينكثوا عهدك وبيعتك، فإن الغادر مخذول، والناكث
مفلول، فأقبل الأمين على
علي بن ماهان فتبسم وقال: لكن شيخ هذه الدعوة وناب هذه
الدولة لا يخالف على
إمامه، ولا يوهن طاعته ثم رفعه إلى موضع لم يرفعه إليه قبلها،
وألح الأمين في خلع المأمون،
فأول ما فعل أن كتب إلى جميع العمال بالدعاء بالإمرة لابنه
موسى بعد الدعاء للمأمون
والمؤتمن، فلما بلغ ذلك المأمون، وأن الأمين عزل المؤتمن عما
كان بيده، أسقط الأمين من
الطرز وقطع البريد عنه، وكان رافع بن الليث بن نصر بن سيار -
لما بلغه حسن سيرة
المأمون - طلب الأمان منه فأمنه، فحضر عنده.
قال: ثم كتب الأمين إلى المأمون يستقدمه ويسأله أن يقدم
ابنه موسى على نفسه، وأرسل
إليه أربعة في الرسالة - منهم العباس بن موسى بن عيسى،
فلما أتوه امتنع من ذلك، فقال
له العباس بن موسى: ما عليك أيها الأمير من ذلك؟ وقد فعله
جدي عيسى بن موسى
وخلع فما ضره ذلك، فصاح به ذو الرئاستين: فقال اسكت فإن
جدك كان أسيراً بين
أيديهم، وهذا بين أخواله وشيعته، ثم قاموا فخلى ذو الرئاستين
بالعباس بن موسى،
واستماله ووعده إمرة الموسم ومواضع، فأجاب إلى بيعة
المأمون وسماه بالإمام، وكان يكتب

إليهم بالأخبار من بغداد، ورجع الرسل إلى الأمين وأخبروه بامتناع المأمون، وبعث المأمون
ثقة من عنده إلى الحد، يمنع من الدخول إلى بلاده إلا مع ثقة من ناحيته، وضبط الطرق
بثقاة أصحابه.
قال: وألح الفضل بن الربيع في قطع خطبة المأمون، وأغرى الأمين بحربه، فأجابه إلى ذلك
وبايع لولده موسى، وجعله في حجر علي بن عيسى بن ماهان، وجعل على شرطه محمد
بن عيسى بن نهيك وعلى حرسه عثمان بن عيسى بن نهيك، وعلى رسائله علي بن
صالح صاحب المصلى، وأسقط خطبة المأمون في سنة خمس وتسعين ومائة، وبايع لولده
موسى في صفر وقيل في ربيع الأول، وأرسل إلى الكعبة فأتى بالكتابين اللذين وضعهما
الرشيد ببيعة الأمين والمأمون، فمزقهما الفضل بن الربيع.
محاربة علي وطاهر
قال: ثم أمر الأمين علي بن عيسى بن ماهان بالمسير لحرب المأمون، وكان سبب مسيره
دون غيره أن ذا الرئاستين كان له عين عند الفضل بن الربيع، يرجع الفضل إلى قوله ورأيه،
فكتب ذو الرئاستين إلى ذلك الرجل أن يشير بإنفاذ ابن ماهان لحربهم، وكان مقصده أن ابن
ماهان - لما ولي خراسان أيام الرشيد أساء السيرة في أهلها فظلمهم - فبغضه أهل
خراسان، فأراد ذو الرئاستين أن يزداد أهل خراسان جداً في قتال الأمين وأصحابه بسببه،
فأشار ذلك الرجل بابن ماهان فأمره الأمين بالمسير، وقيل كان سببه أن علياً قال للأمين: إن
أهل خراسان كتبوا إليه يذكرون أنه إن قصدهم أطاعوه وانقادوا له، وإن كان غيره فلا،
فأمره بالمسير وأقطعه كور الجبل كلها نهاوند وهمذان وقم وأصفهان وغير ذلك - حربها
وخراجها، وأعطاه الأموال وحكمه في الخزائن، وجهز معه خمسين ألف فارس، وكتب إلى
أبي دلف القاسم بن عيسى بن إدريس العجلي وهلال بن عبد الله الحضرمي بالانضمام
إليه، وأمده بالأموال والرجال شيئاً بعد شيء، وخرج في شعبان سنة خمس وتسعين ومائة،
وركب الأمين يشيعه ومعه القواد والجنود، وأوصاه إن قاتله المأمون يحرص على أسره.

قال: وكان المأمون - لما بلغه ما فعله الأمين من خلعه وتمزيق كتب البيعة - أرسل طاهر
بن الحسين بن مصعب بن رزيق بن أسعد الخزاعي أميراً، وضم إليه جماعة من قواده
وأجناده، فسار مجداً نحو الري فنزلها ووضع المسالح والمراصد. قال: وسار ابن ماهان
فلقيته القوافل عند جلولاء، فسألهم فقالوا إن طاهراً مقيم بالري، يعرض أصحابه والأمداد
تأتيه من خراسان، فجعل يسير وهو لا يعبأ بطاهر ويستقله ولا يستعد له، فقيل له في ذلك
فقال: مثل طاهر لا يستعد له، وإن حاله تؤول إلى أمرين: إما أن يتحصن بالري فيسلمه
أهلها، وإما أن يرجع ويتركها إذا قربت خيلنا منه، قال: فلما دنا من الري خرج طاهر منها،
في أقل من أربعة آلاف فارس وعسكر على خمسة فراسخ، فأتاه أحمد بن هشام وكان على
شرطته فقال له: إن أتانا علي بن عيسى؟ فقال: أنا عامل أمير المؤمنين فأقررنا له بذلك،
فليس لنا أن نحاربه. فقال طاهر: لم يأتني في ذلك شيء، فقال: دعني وما أريد، فقال: افعل،
فصعد المنبر فخلع الأمين ودعا للمأمون بالخلافة، وساروا وأقبل ابن ماهان وقد عبأ
أصحابه وعبأ عشر رايات مع كل راية ألف رجل، وقدمها راية راية وجعل بين كل رايتين
غلوة سهم، وعبأ طاهر أصحابه كراديس، وسار بهم يحرضهم ويوصيهم، وهرب من
أصحاب طاهر نفر إلى علي، فجلد بعضهم وأهان الباقين، فكان ذلك مما ألب من بقي على
قتاله، وزحف الناس بعضهم لبعض، فقال أحمد بن هشام لطاهر: ألا تذكر علي بن عيسى
البيعة التي أخذها علينا هو للمأمون؟ قال: أفعل - فأخذ البيعة وعلقها على رمح، وقام
بين الصفين وطلب الأمان، فأمنه علي بن عيسى، فقال له: ألا تتقي الله!! أليس هذه
نسخة البيعة التي أختها أنت خاصة علينا؟؟ اتق الله فقد بلغت باب قبرك! فقال علي:
من أتاني به فله ألف درهم، فشتمه أصحاب أحمد ثم وثب أهل الري وأغلقوا باب المدينة،
فقال طاهر لأصحابه: اشتغلوا بمن أمامكم عمن خلفكم، فإنه لا ينجيكم إلا الجد
والصدق، ثم التقوا واقتتلوا قتالاً شديداً، فانهزمت ميسرة طاهر هزيمة منكرة، وزالت

ميمنته عن موضعها، فقال طاهر: اجعلوا جدكم وبأسكم على القلب، واحملوا حملة
خارجية، فحملوا على أول رايات القلب فهزموها، فرجعت الرايات بعضها على بعض
وانتهت الهزيمة إلى علي، فجعل ينادي أصحابه:
الكرة بعد الفرة، فرماه رجل من أصحاب طاهر بسهم فقتله، وحمل رأسه إلى طاهر،
وحملت جثته إليه فألقي في بئر، وأعتق طاهر من كان عنده من غلمانه شكراً لله تعالى،
وتمت الهزيمة ووضع أصحاب طاهر فيهم السيوف، وتبعوهم فرسخين وواقفوهم فيها اثنتي
عشرة مرة، كل مرة يكسر عسكر الأمين، وأصحاب طاهر يقتلون ويأسرون حتى حال بيهم
الليل، وغنموا غنيمة عظيمة، ونادى أصحاب طاهر: من ألقى سلاحه فهو آمن، فطرحوا
أسلحتهم ونزلوا عن دوابهم، ورجع طاهر إلى الري، وكتب إلى المأمون.
بسم الله الرحمن الرحيم كتابي إلى أمير المؤمنين ورأس علي بن عيسى بين يدي، وخاتمه
في أصبعي، وجنده ينصرفون، تحت أمري. والسلام.
وكتب إلى ذي الرئاستين فورد الكتاب مع البريد في ثلاثة أيام، وبينهما نحو من خمسين ومائتي
فرسخ، فدخل ذو الرئاستين على المأمون وهنأه بالفتح وأمر الناس فدخلوا عليه وسلموا
بالخلافة، ثم وصل رأس علي بعد الكتاب بيومين، فطيف به في خراسان. ولما وصل
الكتاب كان المأمون قد جهز هرثمة في جيش كبير نجدة لطاهر، فأتاه الخبر بالفتح.
قال: وأما الأمين فإنه أتاه نعي علي بن عيسى - وهو يصطاد السمك، فقال الذي أتاه
بالخبر: دعني فإن كوثراً قد اصطاد سمكتين وأنا ما صدت شيئاً، ثم بعث الفضل إلى نوفل
الخادم - وهو وكيل المأمون على ملكه بالسواد - وكان للمأمون معه ألف ألف درهم -
فأخذها منه وقبض ضياعه وغلاته، وندم الأمين على ما كان منه ومشى القواد بعضهم إلى
بعض في النصف من شوال سنة خمس وتسعين واتفقوا على طلب الأرزاق ففرق فيهم مالاً
كثيراً.
ذكر توجيه عبد الرحمن بن جبلة إلى طاهر وقتله واستيلاء طاهر على أعمال الجبل

قال: ولما اتصل بالأمين قتل علي بن عيسى وهزيمة عسكره وجه عبد الرحمن بن جبلة
الأنباري في عشرين ألف رجل، نحو همذان واستعمله عليها وعلى كل ما يفتحه من أرض
خراسان، فسار حتى نزل همذان فحصنها ورم سورها، وأتاه طاهر إليها فخرج إليه عبد
الرحمن، واقتتلوا قتالاً شديداً فانهزم عبد الرحمن، ودخل همذان فأقام بها أياماً حتى قوي
أصحابه واندملت جراحاتهم، ثم خرج إلى طاهر واقتتلوا وصبر الفريقان، وكثر القتل في
أصحاب ابن جبلة وقتل صاحب علمه، فانهزم أصحابه وقتلهم أصحاب طاهر إلى المدينة،
وأقام طاهر على بابها محاصراً لها، فأرسل عبد الرحمن إلى طاهر يطلب الأمان لنفسه ولمن
معه فأمنه، فخرج عن همذان واستولى طاهر على قزوين وعلى سائر أعمال الجبل. قال:
ولما خرج عبد الرحمن بأمان طاهر أقام مسالماً لطاهر، ثم ركب في أصحابه وهجم على
طاهر وأصحابه وهم آمنون، فثبت له رجالة طاهر، وقاتلوه حتى أخذت الخيالة أهبتها،
واقتتلوا أشد قتال رآه الناس، حتى تكسرت الرماح وتقطعت السيوف، فانهزم أصحاب
عبد الرحمن وبقي في نفر من أصحابه فقاتل، وأصحابه يقولون له: قد أمكنك الهرب
فاهرب، فقال: لا يرى أمير المؤمنين وجهي منهزماً أبداً، ولم يزل يقاتل حتى قتل، وانتهى من
انهزم من أصحابه إلى عبد الله وأحمد ابني الحرشي، وكانا في جيش عظيم بقصر اللصوص
قد سيرهما الأمين معونة لعبد الرحمن فانهزما في جندهما من غير قتال حتى دخلوا بغداد،
وخلت البلاد لطاهر وأقبل يحوزها بلدة بلدة وكورة كورة، حتى انتهى إلى شلاشان من كور
حلوان فخندق بها، وحصن عسكره وجمع أصحابه.

ذكر توجيه الأمين الجيوش إلى طاهر وعودهم من غير قتال

قال: وفي سنة ست وتسعين ومائة بعث الأمين أحمد بن مزيد وأمر الفضل أن يمكنه من
العسكر يأخذ منهم من أراد، وأمره بالجد في السير ودفع طاهر وحربه، فاختار من
العسكر عشرين ألف فارس، وسار معه عبد الله ابن حميد بن قحطبة في عشرين ألفاً
وسار بهم إلى حلوان، فلم يزل طاهر يحتال في وقوع الاختلاف بينهم حتى اختلفوا،

وانتقض أمرهم وقاتل بعضهم بعضاً، ورجعوا من غير قتال، وتقدم طاهر فنزل حلوان، فلما
نزلها لم يلبث إلا يسيراً حتى أتاه هرثمة، في جيش من قبل المأمون ومعه كتاب إلى طاهر،
يأمره بتسليم ما حوى من المدن والكور إلى هرثمة، ويتوجه إلى الأهواز ففعل ذلك، وأقام
هرثمة بحلوان وحصنها وسار طاهر إلى الأهواز.
وفي هذه السنة خطب للمأمون بإمرة المؤمنين. ورفع منزلة الفضل بن سهل، وعقد له على
المشرق من جبل همذان إلى التبت طولاً، ومن بحر فارس إلى بحر الديلم وجرجان عرضاً،
وجعل له عمالة ثلاثة آلاف ألف درهم، وعقد له لواء على سنان ذي شعبتين، ولقبه ذا
الرئاستين - رئاسة الحرب والقلم - وحمل اللواء علي بن هشام وحمل القلم نعيم بن حازم.
وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج، وذلك بعد قتل علي بن ماهان وعبد الرحمن بن جبلة.
قال: وأما طاهر فإنه استولى على الأهواز، ثم سار منها إلى واسط وبها السندي بن
يحيى والهيثم بن شعبة، فهربا عنها واستولى طاهر عليها، ووجه قائداً من قواده إلى
الكوفة وعليها العباس بن موسى الهادي، فلما بلغه الخبر خلع الأمين وبايع للمأمون، وكتب
بذلك إلى المأمون، وغلب طاهر على ما بين واسط والكوفة، وكتب المنصور بن المهدي –
وكان عاملاً للأمين على البصرة - إلى طاهر ببيعته وطاعته، وأتته بيعة المطلب بن عبد
الله بن مالك بالموصل. وكان ذلك كله في شهر رجب سنة ست وتسعين ومائة، فأقرهم
طاهر على أعمالهم. قال: ثم سار طاهر إلى المدائن وبها جيش كبير للأمين. عليهم
البرمكي وقد تحصن بها والمدد يأتيه كل يوم والخلع والصلات، فلما سمع البرمكي بمقدم
طاهر وجه قريش بن شبل والحسن ابن علي المأموني، فلما سمع أصحاب البرمكي طبول
طاهر سرجوا الخيل ورجعوا، وأخذ البرمكي في التعبئة فكان كلما سوى صفاً اضطرب
صف وانتقض، فانضم أولهم إلى آخرهم، فقال: اللهم إنا نعوذ بك من الخذلان، ثم قال
لصاحب ساقته: خل سبيل الناس فلا خير عندهم، فركب بعضهم بعضاً نحو بغداد، فنزل

طاهر المدائن واستولى على تلك النواحي، ثم سار إلى صرصر فعقد بها جسراً.
خلع الأمين
ببغداد والبيعة للمأمون وعودة الأمين
قد قدمنا إرسال الأمين عبد الملك بن صالح إلى الشام، واستعماله عليها ووفاته بالرقة،
وكان معه الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان، فلما مات عبد الملك أقبل الحسين بالجند
إلى بغداد، فلما قدم لقيه القواد وأهل بغداد وعملت له القباب ودخل منزله، فلما كان في
جوف الليل استدعاه الأمين. فقال للرسول: ما أنا بمغن ولا مسامر ولا مضاحك، ولا وليت
له عملاً ولا مالاً ولأي شيء يريدني في هذه الساعة؟! انصرف، وإذا أصبحت غدوت
عليه إن شاء الله تعالى، فلما أصبح وافى الحسين باب الجسر واجتمع إليه الناس،
فحرضهم على الأمين وتنقصه ودعاهم إلى خلعه، ثم أمرهم بعبور الجسر فعبروا وصاروا
إلى سكة باب خراسان، وأسرعت خيول الأمين إلى الحسين فقاتلوه قتالاً شديداً، فانهزم
أصحاب الأمين، فخلع الحسين الأمين في يوم الأحد لإحدى عشرة ليلة خلت من شهر
رجب، وأخذ البيعة للمأمون من الغد يوم الإثنين، فلما كان يوم الثلاثاء وثب العباس بن
موسى بن عيسى بالأمين، وأخرجه من قصر الخلد وحبسه بقصر المنصور، وأخرج أمه
أيضاً معه فجعلها مع ابنها، فلما كان يوم الأربعاء طالب الناس الحسين بالأرزاق، وماجوا
بعضهم في بعض، وقام محمد بن أبي خالد وأسد الحربي وغيرهما فقاتلوا الحسين وأسروه،
ودخل أسد على الأمين فكسر قيوده وأعاده إلى الخلافة، وحمل إليه الحسين أسيراً فلامه
فاعتذر إليه، فأطلقه وأمره بجمع الجند ومحاربة أصحاب المأمون، وخلع عليه وولاه ما وراء
بابه وأمره بالمسير إلى حلوان، فوقف الحسين بباب الجسر والناس يهنئونه، فلما خفوا عنه
قطع الجسر وهرب، فنادى الأمين في الجند بطلبه فأدركوه بمسجد كوثر على فرسخ من
بغداد فقاتلهم فعثر به فرسه فسقط عنه، فقتل وحمل رأسه إلى الأمين، وقيل إن الأمين كان
استوزره وسلم إليه خاتمه فلما قتل جدد الجند البيعة للأمين، واختفى الفضل بن الربيع.

البيعة للمأمون بمكة والمدينة
وفي هذه السنة خلع داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي الأمين - وهو عامله
على مكة والمدينة وبايع للمأمون، وسبب ذلك أنه لما بلغه ما فعل طاهر، وكان الأمين قد
بعث إلى داود وأخذ الكتابين من الكعبة كما تقدم فجمع داود وجوه الناس ومن كان شهد
في الكتابين، وقال: قد علمتم ما أخذ الرشيد علينا وعليكم من العهد عند البيت الحرام
لابنيه، لنكونن مع المظلوم منهما على الظالم، ومع المغدور منهما على الغادر، وقد رأينا
ورأيتم أن محمداً قد بدأ بالظلم والبغي والنكث على أخويه المأمون والمؤتمن، وخلعهما
عاصياً لله وبايع لابنه طفل صغير، وأخذ الكتابين من الكعبة فحرقهما، وقد رأيت خلعه
والبيعة للمأمون، إذ كان مظلوماً مبغياً عليه، فأجابوه إلى ذلك، فنادى في شعاب مكة
فاجتمع الناس فخطبهم بين الركن والمقام، وخلع الأمين وبايع للمأمون، وكتب إلى ابنه سليمان
- وهو عامله على المدينة - أن يفعل مثل ما فعل، فخلع وبايع للمأمون وكانت هذه البيعة في
شهر رجب سنة ست وتسعين ومائة، وسار داود من مكة على طريق البصرة، ثم إلى
فارس وإلى كرمان حتى صار إلى المأمون بمرو فأخبره، فسر المأمون وتيمن ببركة مكة
والمدينة، واستعمل داود عليهما وأعطاه خمسمائة ألف درهم، وبعث معه العباس بن
موسى بن عيسى بن موسى وجعله على الموسم، فسارا حتى أتيا طاهراً ببغداد
فأكرمهما، ووجه معهما يزيد بن جرير بن يزيد بن خالد بن عبد الله القسري واستعمله
على اليمن، وبعث معه خيلاً كثيفة فقدمها، ودعا أهلها إلى خلع الأمين والبيعة للمأمون،
فأجابوه وخلعوا وبايعوا للمأمون، فكتب بذلك إلى طاهر والمأمون.
تجهيز الأمين الجيوش
وما كان من أمرهم
وفي سنة ست وتسعين ومائة عقد محمد الأمين - في رجب وشعبان أربعمائة لواء لقواد
شتى، وأمر عليهم علي بن محمد بن عيسى بن نهيك، وأمرهم بالمسير إلى هرثمة بن أعين

فساروا إليه فالتقوا بنواحي النهروان في شهر رمضان، فأسر علي بن محمد فسيره هرثمة إلى
المأمون، ورحل هرثمة فنزل النهروان.

وثوب الجند
بطاهر والأمين

قد قدمنا نزول طاهر بصرصر عند استيلائه على المدائن، فأقام بها مشمراً في محاربة
الأمين، لا يأتيه جيش إلا هزمه، فبذل الأمين الأموال فسار إليه من أصحاب طاهر خمسة
آلاف، فسربهم ووعدهم ومناهم وفرق فيهم مالاً عظيماً، وغلف لحاهم بالغالية فسموا
قواد الغالية، وفرق الأمين الجواسيس في أصحاب طاهر، ودس إلى رؤساء الجند وأطمعهم
ورغبهم، فشغبوا على طاهر واستأمن كثير منهم إلى الأمين، وانضموا إلى عسكره وساروا
حتى أتوا صرصر، فعبأ طاهر أصحابه كراديس، وحرضهم ووعدهم ومناهم وتقدم بهم،
فالتقوا واقتتلوا فانهزم أصحاب الأمين وغنم عسكر طاهر ما كان لهم من سلاح ودواب
وغير ذلك، فبلغ ذلك الأمين فأخرج الأموال وفرقها، وجمع أهل الأرباض وقود منهم جماعة
وفرق فيهم الأموال، وقواهم بالسلاح وأعطى كل قائد قارورة غالية، ولم يعط الأجناد الذين
معهم شيئاً، فراسلهم طاهر ووعدهم واستمالهم، وأغرى أصاغرهم بأكابرهم فشغبوا
على الأمين في ذى الحجة، فأشار أصحابه عليه باستمالتهم والإحسان إليهم فلم يفعل، وأمر
بقتالهم فقاتلهم جماعة من الأجناد، وراسلهم طاهر وراسلوه طاهر وراسلوه وأخذ رهائنهم
على بذل الطاعة وأعطاهم الأموال، ثم تقدم إلى باب الأنبار في ذى الحجة، ونقب أهل
السجون وخرجوا منها.

حصار بغداد
واستيلاء طاهر عليها

في سنة سبع وتسعين ومائة حاصر وهرثمة وزهير بن المسيب الأمين ببغداد، وتفرقوا
عليها ونصبوا عليها المجانيق والعرادات، وحفروا حول عساكرهم الخنادق، وسور هرثمة
حول خندقه سوراً، وكان الأمين قد أنفذ ما في خزائنه من الأموال، فأمر ببيع ما في الخزائن
من الأمتعة، وضرب آنية الذهب والفضة دنانير ودراهم ليفرقها في أصحابه. قال: واستأمن

إلى طاهر - سعيد بن مالك بن قادم، فولاه الأسواق وشاطيء دجلة وما اتصل به، وأمره
بحفر الخنادق وبناء الحيطان وأمده بالأموال والرجال، وقبض طاهر ضياع من لم يخرج إليه
من بني هاشم والقواد وغيرهم، وأخذ أموالهم فذلوا وانكسروا، وضعف أجناد الأمين عن
القتال وطاهر لا يفتر عن قتالهم، فاستأمن محمد بن عيسى صاحب شرط الأمين وعلى
فراهمرد، ثم كاتب طاهر جماعة القواد والهاشميين وغيرهم بعد أن قبض ضياعهم،
فأجابوه إلى البيعة للمأمون، فكان ممن أجابه عبد الله بن حميد بن قحطبة وإخوته، وولد
الحسن بن قحطبة، ويحيى بن علي بن ماهان، ومحمد بن أبي العباس الطائي وغيرهم، هذا
والأمين مقبل على الأكل والشرب، ووكل الأمر إلى محمد بن عيسى بن نهيك وإلى الهرش،
ثم منع طاهر الأقوات أن تصل إلى بغداد فغلت الأسعار، ودام الحصار والقتال على بغداد
إلى سنة ثمان وتسعين ومائة، حتى ضجر الناس وملوا القتال، فلحق خزيمة بن خازم بطاهر
وفارق الأمين، ودخل هرثمة إلى الجانب الشرقي لثمان بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين في
ليلة الأربعاء، فلما كان الغد تقدم طاهر إلى المدينة والكرخ، فقاتل هناك قتالاً شديداً، فهزم
الناس ومروا لا يلوون على شيء، فدخلها طاهر بالسيف، وأمر مناديه فنادى: من لزم بيته
فهو آمن، وقصد مدينة المنصور وأحاط بها، وبقصر زبيدة وقصر الخلد - من باب الجسر
إلى باب خراسان وباب الشام وباب الكوفة وباب الفرات، وشاطيء الفرات إلى مصبها في
دجلة، وثبت على قتال طاهر حاتم بن الصقر والهرش، فنصب طاهر المجانيق بإزاء قصر
زبيدة وقصر الخلد، وأخذ الأمين أمه وأولاده إلى مدينة المنصور، وتفرق عنه عامة جنده
وخصيانه وجواريه في الطريق، لا يلوى بعضهم على بعض، وحصره طاهر وأخذ عليه
الأبواب.

مقتل الأمين

قال: لما دخل الأمين مدينة المنصور، واستولى طاهر على أسواق الكرخ وغيرها، جاء
محمد بن حاتم بن الصقر ومحمد بن إبراهيم بن الأغلب الأفريقي وغيرهما، فقالوا للأمين: قد

آلت حالنا إلى ما ترى، وقد تفرق عنك الناس، وقد بقي معك من خيلك سبعة آلاف
فرس من خيارها، ونرى أن تختار ممن عرفناه بمحبتك من الأبناء سبعة آلاف، فتحملهم
على هذه الخيل وتخرج ليلاً، على باب من هذه الأبواب فلا يثبت لنا أحد إن شاء الله
تعالى، فلنحق بالجزيرة والشام فنفرض الفروض ونجبي الخراج، ونصير في مملكة واسعة وملك
جديد، فتسارع إليك الناس ويحدث الله أموراً، فصوب رأيهم ووافقهم عليه، فنما الخبر إلى
طاهر فكتب إلى سليمان بن المنصور ومحمد بن عيسى بن نهيك والسندي بن شاهك،
وأقسم لئن لم تردوه عن هذا الرأي لا تركت لكم ضيعة إلا قبضتها، ولا تكون لي همة إلا
أنفسكم، فدخلوا على الأمين فقالوا: قد بلغنا الذي عزمت عليه، ونحن نذكرك الله في
نفسك، إن هؤلاء صعاليك وقد بلغ بهم الحصار إلى ما ترى، وهم يرون أن لا أمان لهم
عند أخيك وعند طاهر لجدهم في الحرب. ولسنا نأمن إذا خرجت معهم أن تؤخذ
أسيراً. أو يأخذوا رأسك فيتقربوا بك ويجعلوك سبب أمانهم، وصرفوه عن ذلك فرجع
إليهم، وأجاب إلى طلب الأمان والخروج، وقالوا له: إنه لا بأس عليك من أخيك، وأنه
يجعلك حيث أحببت فركن إلى ذلك، وأجاب إلى الخروج إلى هرثمة بن أعين، فدخل عليه
الذين أشاروا عليه بقصد الشام وقالوا له: إذا لم تقبل ما أشرنا به عليك - وهو الصواب -
وقبلت من هؤلاء المداهنين، فالخروج إلى طاهر خير لك من الخروج إلى هرثمة، فقال: أنا
أكره طاهراً، وهرثمة مولانا وهو بمنزلة الوالد، وأرسل إلى هرثمة في طلب الأمان، فأجابه إليه
وحلف له أنه يقاتل دونه - إن هم المأمون بقتله، فلما علم طاهر ذلك اشتد عليه، وأبى أن
يدعه يخرج إلى هرثمة وقال: هو في حربي والجانب الذي أنا فيه، وأنا ألجأته إلى بالحصار إلى
طلب الأمان، فلا أرضى أن يخرج إلى هرثمة فيكون الفتح له دوني، فاجتمع القواد أصحاب
الأمين بطاهر وقالوا: إنه لا يخرج إليك أبداً، وإنه يخرج إلى هرثمة ببدنه ويدفع إليك الخاتم
والقضيب والبردة وهو الخلافة، فاغتنم هذا الأمر ولا تفسده، فرضي بذلك، فأتى الهرش

إلى طاهر وأراد التقرب إليه، فأخبره أن الذي جرى بينهم مكر، وأن الخاتم والبردة
والقضيب تحمل مع الأمين إلى هرثمة، فاغتاظ منه وجعل حول قصر الأمين قوماً فلما تهيأ
الأمين للخروج إلى هرثمة أرسل إليه هرثمة، يقول: وافيت للميعاد لأحملك، ولكني أرى ألا
تخرج هذه الليلة، فإني قد رأيت على الشط ما قد رابني، وأخاف أن أغلب وتؤخذ من
يدي، وتذهب نفسك ونفسي، فأقم الليلة حتى أستعد وآتيك الليلة القابلة، فإن حوربت
حاربت دونك، فقال للرسول: ارجع إليه فقل له لا تبرح، فإني خارج إليك الساعة لا محالة،
ولست أقيم إلى غد، وقلق، وقال: قد تفرق عني الناس من الموالي والحرس وغيرهم، ولا
آمن إن انتهى الخبر إلى طاهر أن يدخل علي ويأخذني، وخرج بعد العشاء الآخرة ليلة
الأحد، لخمس بقين من المحرم سنة ثمان وتسعين ومائة، إلى صحن الدار وعليه ثياب بيض
وطيلسان أسود، فدعا بابنيه فضمهما إليه وقبلهما وبكى، وقال: استودعكما الله، ثم جاء
راكباً إلى الشط فإذا حراقة هرثمة فصعد إليها، فذكر أحمد بن سلام صاحب المظالم قال:
كنت مع هرثمة في الحراقة، فلما دخلها الأمين قمت له، وجثى هرثمة على ركبتيه واعتذر له
من نقرس به، ثم احتضنه هرثمة وضمه وجعله في حجره وجعل يقبل يديه ورجليه وعينيه،
وأمر هرثمة الحراقة أن تدفع، فشد علينا أصحاب طاهر في الزوارق ونقبوا الحراقة، ورموا
بالآجر والنشاب فغرقت الحراقة، وسقط هرثمة إلى الماء وسقطنا، فتعلق الملاح بشعر
هرثمة فأخرجه، وأما الأمين فإنه شق ثيابه لما سقط في الماء، قال أحمد بن سلام: وخرجت
أنا إلى الشط فأخذني رجل من أصحاب طاهر، فأتى بي إلى رجل آخر من أصحابه،
وأعلمه أني من الذين خرجوا من الحراقة، فسألني: من أنا؟ فقلت: أنا أحمد بن سلام
صاحب المظالم مولي أمير المؤمنين، قال: كذبت، فاصدقني، قلت: قد صدقتك، قال ما فعل
المخلوع، قلت: رأيته قد شق ثيابه فركب، وأخذني معه أعدو وفي عنقي حبل فعجزت
عن العدو، فأمر بضرب عنقي فاشتريت نفسي منه بعشرة آلاف درهم، فتركني في بيت

حتى يقبض المال، وفي البيت بواري وحصر مدرجة ووسادتان، فلما ذهب من الليل ساعة
وإذا الباب قد فتح، وأدخل الأمين وهو عريان وعليه سراويل وعمامة، وعلى كتفه خرقة
خلقة، فلما رأيته استرجعت وبكيت في نفسي، فسألني عن اسمي فعرفته، فقال: ضمني
إليك فإني أجد وحشة شديدة، قال: فضممته وإذا قلبه يخفق، فقال: يا أحمد - ما فعل
أخي، قلت: حي، قال: قبح الله بريدهم!! كان يقول قد مات - شبه المعتذر من محاربته،
فقلت: بل قبح الله وزراءك، فقال: ما تراهم يصنعون بي؟ أيقتلونني أم يفون بأيمانهم؟
فقلت: يفون لك، وجعل يضم الخرقة على كتفه، فنزعت مبطنة كانت علي وقلت: ألق هذه
عليك، فقال: دعني فهذا من الله عز وجل، في هذا الموضع خير كثير، فبينا نحن كذلك إذ
دخل علينا رجل، فنظر في وجوهنا فاستثبته، فلما عرفه انصرف - وإذا هو محمد بن
حميد الطاهري، فلما رأيته علمت أن الأمين مقتول، فلما انتصف الليل فتح الباب ودخل قوم
عجم معهم السيوف مسلولة، فلما رآهم قام قائماً وجعل يسترجع ويقول: ذهبت - والله -
نفسي في سبيل الله، أما من مغيث!! أما من أحد من الأبناء!! وجاءوا حتى وقفوا
على باب البيت الذي نحن فيه، وجعل بعضهم يقدم بعضاً ويدفعه، وأخذ الأمين بيده
وسادة ويقول: ويحكم!! أنا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم - أنا ابن هارون -
أنا أخو المأمون - الله الله في دمي! فضربه رجل منهم بسيف وقعت في مقدم رأسه،
فضربه الأمين على وجهه بالوسادة، وأراد أن يأخذ السيف فصاح: قتلني، قتلني فدخل
جماعة منهم فنخسه واحد بالسيف في خاصرته، ورموا نفوسهم عليه فذبحوه من قفاه،
وأخذوا رأسه ومضوا به إلى طاهر، فلما كان السحر أخذوا جثته فأدرجوها في جل
وحملوها، فنصب طاهر الرأس على برج، وخرج أهل بغداد - وطاهر يقول: هذا رأس
المخلوع محمد، ولما قتل ندم جند طاهر وجند بغداد على قتله، لما كانوا يأخذون من
الأموال، وبعث طاهر رأسه إلى أخيه المأمون مع ابن عمه محمد بن الحسن بن مصعب،

وكتب معه بالفتح، فلما وصل أخذ ذو الرئاستين الرأس وأدخله إلى المأمون على ترس، فلما
رآه المأمون سجد، وبعث طاهر معه البردة والقضيب والخاتم.
ولما قتل الأمين نودي في
الناس كلهم بالأمان، ودخل طاهر المدينة يوم الجمعة وصلى بالناس.
وحكى عن إبراهيم بن المهدي قال: كنت مع الأمين لما حصره طاهر، فخرج ليلة يريد
الفرجة لما هو فيه من الضيق، فصار إلى قصر بناحية الخلد، ثم أرسل إلي فحضرت عنده،
فقال: ترى طيب هذه الليلة وحسن القمر في السماء وضوءه في الماء - وكان على شاطيء
دجلة - فهل لك في الشرب؟ فقلت: شأنك، فشرب رطلاً وسقاني آخر، ثم غنيته ما كنت
أعلم أنه يحبه، ثم دعا بجارية اسمها ضعف فتطيرت من اسمها، فقال لها غني فغنت شعر
الجعدي:

كليب لعمري كان أكثر ناصراً وأيسر حزماً منك ضرح بالدم

فتطير من ذلك وقال: غني غير هذا، فغنت:

أبكي فراقهم عيني فأرقها إن التفرق للأحباب بكاء
ما زال يغدو عليهم ريب دهرهم حتى تفانوا وريب الدهر عداء

فسبها، وقال: أما تعرفين من الغناء غير هذا، ثم غنته:

أما ورب السكون والحرك إن المنايا كثيرة الشرك

الأبيات الأربعة، فغضب ولعنها فقامت، وكان له قدح من بللور حسن الصنعة، فعثرت به
فكسرته، فقال لي ويحك يا إبراهيم! ما ترى إلى ما جاءت به هذه الجارية!! والله ما أظن
أمري إلا قد قرب، فقلت: يديم الله ملكك ويعز سلطانك ويكبت عدوك، فما استتم الكلام
حتى سمعنا صوتاً "قضي الأمر الذي فيه تستفتيان"، فقال يا إبراهيم: أما سمعت ما
سمعت!! قلت ما سمعت شيئاً، فقتل بعد ليلة أو ليلتين.

من أخباره

كان الأمين طويلاً أبيض سميناً جميلاً صغير العينين أقنى عظيم الكراديس بعيد ما بين
المنكبين، وكان عمره ثمانياً وعشرين سنة وشهوراً، ومدة خلافته أربع سنين وثمانية أشهر
وخمسة أيام وقيل سبعة أشهر وثمانية عشر يوماً، وكان له من الأولاد موسى، وعبد الله،
وإبراهيم.

ونقش خاتمه: محمد واثق بالله، وزراؤه: الفضل بن الربيع إلى أن هرب بعد فساد حال
الأمين، فوزر له إبراهيم بن صبيح وغيره، حاجبه: العباس بن الفضل بن الربيع، قضاته:
وهب بن وهب، ومحمد بن سماعة، الأمراء بمصر الحسن بن البحباح ثم حاتم بن هرثمة بن
أعين ثم جابر بن الأشعث، قاضيها هاشم بن أبي بكر بن عبد الرحمن من ولد أبي بكر
الصديق رضي الله عنه.
قال: وكان الأمين ضعيف الرأي شديد القوى، حكى عنه أنه أحضر إليه أسد في قفص
حديد، فأمر بفتح القفص فوثب الأسد، فتفرق الغلمان، وانفرد بالأمين فوثب الأسد عليه،
فعمد إلى مرفقة تلقاه بها لحمايته، ثم قبض على أصل أذنيه وهزه فسقط الأسد ميتاً،
وزاغت أكتاف الأمين فأحضر الأطباء، فأعادوها إلى مكانها، وانفقأت مرارة الأسد في
جوفه، وقيل بل حاد عن الأسد حتى تجاوزه، ثم قبض على ذنبه وجذبه جذبة أقعى لها
الأسد، وانقطع ظهره فمات، وزاغت أنامل الأمين عن منابتها.
قال: ولما استقرت للأمين استكثر من الخصيان وغالى في ثمنهم، وصيرهم لخلوته في ليله
ونهاره وسمى البيض منهم الجرادية والحبشان والغرابية حتى رمى بهم، وقيل عنه الأشعار،
وأخضر الملهين من جميع البلدان وأجرى عليهم الأرزاق واحتجب عن الناس.
خلافة المأمون
هو أبو العباس - وقيل أبو جعفر - عبد الله بن هارون الرشيد، وأمه مراجل أم ولد، بويع
له البيعة العامة صبيحة الليلة التي قتل فيها الأمين، وهو يوم الأحد لخمس بقين من المحرم
سنة ثمان وتسعين ومائة، وكان هو بمرو. وهو السابع من خلفاء بني العباس وقد تقدم من
أخباره وأخبار عساكره، والبيعة له بمكة والمدينة وخراسان وغيرها من الأمصار، ما لا
يحتاج إلى إعادته، إلا أن تلك المدة لا تعد خلافة مع بقاء الأمين.
قال: ولما وصل رأسه إلى المأمون - كما ذكرنا - أذن للقواد، وقرأ ذو الرئاستين الفضل بن
سهل الكتاب عليهم فهنأوه بالظفر، وكتب إلى طاهر وهرثمة بخلع القاسم المؤتمن من ولاية
العهد فخلعاه في شهر ربيع الأول سنة ثمان وتسعين ومائة، وعامل المأمون أم جعفر زبيدة

بنت جعفر - أم الأمين - بالإكرام والبر والتلطف، ورتب لها في كل سنة مائة ألف درهم
جدداً، يحملها إليها ويتعاهد زيارتها.
حكى أبو الفرج الأصفهاني أن المأمون أغفل حمل المال إليها في بعض السنين، فتقدمت إلى
أبي العتاهية أن يعمل أبياتاً تذكره بها فقال:
زعموا لي أن في ضرب السنه جدداً بيضاً وصفراً حسنه
سككاً قد أحدثت لم أرها مثلما كنت أرى كل سنه
فلما قرأ المأمون الشعر قال: إنا لله - أغفلناها وتقدم يحمل ذلك إليها، قال: قال مخارق:
ظهر لأم جعفر من المأمون جفاء، فبعث إلي بأبيات أمرتني أن أغنيه بها إذا رأيته نشيطاً
وأسنت لي الجائزة وكان كاتبها جعفر بن الفضل، قال الأبيات هي:
ألا إن صرف الدهر يدني ويبعد ويؤنس بالألاف طوراً ويفقد
أصابت لريب الدهر مني يدي يدي فسلمت للأقدار والله أحمد
وقلت لريب الدهر إن ذهبت يد فقد بقيت والحمد لله لي يد
إذا بقي المأمون لي فالرشيد لي ولي جعفر لم يفقدا ومحمد
قال مخارق، ففعلت، فسألني المأمون عن الخبر فعرفته فبكى
قال مخارق: ففعلت، فسألني المأمون عن الخبر فعرفته فبكى، ورق لها وقام لوقته فدخل
عليها، فقبل رأسها وقبلت يده، وقال لها: يا أمه، ما جفوتك تعمداً ولكني شغلت عنك بما
لا يمكن إغفاله، فقالت: يا أمير المؤمنين، إذا حسن رأيك لم يوحشني، وأتم عندها بقية
يومه. نعود إلى سياق أخبار المأمون على حكم التوالي.
وثوب الجند بطاهر
قال: ووثب الجند بطاهر بعد مقتل الأمين بخمسة أيام، وكان سبب ذلك أنهم طلبوا منه
مالاً، فلم يمكن معه شيء فثاروا به، فظن أن ذلك بمواطأة الجند وأهل الأرباض، وأنهم
معهم عليه فخشي على نفسه وهرب إلى عقرقوف، ونهبوا بعض متاعه، وخرج معهم
جماعة من القواد، ثم خرج إليه القواد الذين تخلفوا وأعيان المدينة، واعتذروا إليه وسألوه
الصفح عنهم وقبول عذرهم، فقال طاهر: ما خرجت عنكم إلا لوضع السيف فيكم،
وأقسم بالله عز وجل لئن عدتم لملثها لأعودن إلى رأيي فيكم، ثم شكرهم وأمر لهم بأرزاق
أربعة أشهر ووضعت الحرب أوزارها واستوثق الأمر للمأمون.

خلاف نصر
بن شبث العقيلي على المأمون
في هذه السنة أظهر نصر الخلاف على المأمون، وكان يسكن كيسوم ناحية شمالي حلب،
وكان في عنقه بيعة للأمين وله فيه هوى، فلما قتل الأمين أظهر الغضب وتغلب على ما
جاوره من البلاد وملك سميساط، واجتمع عليه خلق كثير من الأعراب، وعبر الفرات إلى
الجانب الشرقي وحدثته نفسه بالتغلب عليه، وكثرت جموعه وحصر حران في سنة تسع
وتسعين ومائة، فأتاه نفر من شيعة الطالبيين فقالوا: قد وترت بني العباس وقتلت رجالهم
وأغلقت عنهم المغرب، فلو تابعت لخليفة كان أقوى، فقال: من أي الناس؟ فقالوا: نبايع
لبعض آل علي بن أبي طالب، فقال: أبايع أولاد السوادات!! فقالوا: بايع لبعض بني أمية،
فقال: أولئك قد أدبر أمرهم، والمدبر لا يقبل أبداً، وإنما هواي في بني العباس، وإنما حاربتهم
محاماة للعرب لأنهم يقدمون عليهم العجم.
قال: ودام أمره إلى سنة تسع ومائتين، حاصره عبد الله بن طاهر بحصن كيسوم مدة، ثم
خرج إليه بالأمان فبعثه إلى المأمون، فوصل إليه في صفر سنة عشر ومائتين، وهدم عبد الله
حصن كيسوم.
ولاية الحسن
بن سهل العراق وغيره من البلاد
وفي هذه السنة استعمل المأمون الحسن بن سهل أخا الفضل على ما كان افتتحه طاهر،
من كور الجبل والعراق وفارس والأهواز والحجاز واليمن، وكتب إلى طاهر بتسليم ذلك
إليه، فقدم الحسن بين يديه علي بن أبي سعيد فدافعه طاهر بتسليم الخراج إليه حتى وفى
الجند أرزاقهم، وسلم إليه العمل، وقدم الحسن سنة تسع وتسعين ففرق العمال، وأمر طاهراً
أن يسير إلى الرقة لمحاربة نصر بن شبث، وولاه الموصل والجزيرة والشام والمغرب، فسار
طاهر إلى نصر والتقوا بنواحي كيسوم، واقتتلوا قتالاً شديداً كان الظفر فيه لشبث، وعاد
طاهر شبه المهزوم إلى الرقة، وكان قصارى أمره حفظ تلك النواحي من نصر.
وحج بالناس في هذه السنة العباس بن موسى بن عيسى بن موسى.

ودخلت سنة تسع وتسعين ومائة.
ابن طباطبا العلوي
ووفاته وخبر أبي السرايا
في هذه السنة ظهر محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن
علي بن أبي طالب - وهو المعروف بابن طباطبا - بالكوفة، لعشر خلون من جمادى
الآخرة يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم والعمل بالكتاب والسنة، وكان
القيم بأمره في الحرب أبو السرايا السري بن منصور الشيباني، وكان سبب خروجه أن
المأمون لما صرف طاهراً ووجه الحسن بن سهل إلى الأعمال التي ذكرناها تحدث الناس
بالعراق، أن الفضل بن سهل قد غلب على المأمون، وأنه أنزله قصراً حجبه فيه عن أهل
بيته وأولاده وقواده، وأنه يستبد بالأمور دونه، فغضب لذلك بنو هاشم ووجوه الناس،
واجترءا على الحسن بن سهل وهاجت الفتن في الأمصار، فكان أول من ظهر ابن طباطبا
بالكوفة، وكان سبب اجتماع ابن طباطبا بأبي السرايا أن أبا السرايا كان يكرى الحمير ثم
قوي أمره فجمع نفراً فقتل رجلاً من بني تميم بالجزيرة وأخذ ما معه، فطلب فاختفى وعبر
الفرات إلى الجانب الشرقي، فكان يقطع الطريق بتلك الناحية، ثم لحق بأسد بن زيد بن
مزبد الشيباني بأرمينية ومعه ثلاثون فارساً، فقوده فجعل يقاتل معه الخرمية فأثر فيهم، وقتل
وأخذ منهم غلامه أبا الشوك، فلما عزل أسد عن أرمينية صار أبو السرايا إلى أحمد بن
مزيد، فوجهه أحمد طليعة إلى عسكر هرثمة في فتنة الأمين، واشتهرت شجاعته فراسله
هرثمة واستماله فمال إليه، وانتقل إلى عسكره وقصد العرب بالجزيرة، واستخرج لهم الأرزاق
من هرثمة، فصار معه نحو ألفي فارس وراجل، فصار يخاطب بالأمير، فلما قتل الأمين قصر
هرثمة في أرزاقه وأرزاق من معه، فاستأذنه في الحج فأذن له وأعطاه عشرين ألف درهم،
ففرقها في أصحابه ومضى وقال لهم: اتبعوني متفرقين، ففعلوا واجتمع معه نحو مائتي فارس،
فسار بهم إلى عين التمر وحصر عاملها، وأخذ ما عنده من المال فقسمه في أصحابه،

وسار فلقي عاملاً آخر ومعه مال على ثلاثة بغال فأخذها، وسار فلحقه عسكر بعثه
هرثمة خلفه فقاتلهم وهزمهم، ودخل البرية وقسم المال في أصحابه وانتشر خبره فلحق به
من تخلف عنه من أصحابه وغيرهم وكثر جمعه فسار نحو دقوقا وعليها أبو ضرغامة
العجلي في سبعمائة فارس، فخرج إليه واقتتلوا فهزمه أبو السرايا وحصره بقصر دقوقا
وأخرجه بأمان، وأخذ ما عنده من الأموال وسار إلى الأنبار، وعليها إبراهيم السروي
مولى المنصور فقتله وأخذ ما فيها وسار، ثم عاد إليها عند إدراك الغلال فاحتوى عليها،
ثم ضجر من طول السرى في البلاد فقصد الرقة، فمر بطوق بن مالك التغلبي وهو يقاتل
القيسية، فأعانه وقاتل معه أربعة أشهر حتى ظفر طوق، ثم سار عنه إلى الرقة، فلما
وصلها لقيه ابن طباطبا فبايعه، وقال له: انحدر أنت في الماء وأسير أنا على البر حتى نوافي
الكوفة فدخلاها، وابتدأ أبو السرايا بقصر العباس بن موسى بن عيسى، وأخذ ما فيه من
الأموال والجواهر - وكان عظيماً لا يحصى كثرة، فبايعهم أهل الكوفة واستوثق أمرهما بها،
وأتاه الناس من نواحي الكوفة والأعراب فبايعوه - أعني ابن طباطبا، وكان العامل عليها
للحسن بن سهل - سليمان بن المنصور، فلامه الحسن ووجه زهير بن المسيب الضبي إلى
الكوفة في عشرة آلاف فارس وراجل، فخرج إليه ابن طباطبا وأبو السرايا فهزموه،
واستباحوا عسكره وكانت الوقعة في سلخ جمادى الآخرة، فلما كان الغد مستهل رجب
مات محمد بن إبراهيم ابن طباطبا فجأة سمه أبو السرايا، وكان الناس له سامعين مطيعين،
فعلم أبو السرايا أنه لا حكم له معه، فسمه ونصب مكانه غلاماً أمرد، يقال له محمد بن
محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وصار الحكم لأبي السرايا. ورجع
زهير إلى قصر ابن هبيرة ووجه الحسن بن سهل - عبدوس بن محمد بن أبي خالد
المزوروذي في أربعة آلاف فارس، فلقيه أبو السرايا لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رجب،
فقتل عبدوساً ولم يفلت من أصحابه أحد - كانوا بين قتيل وأسير، وانتشر الطالبيون في

البلاد، وضرب أبو السرايا الدراهم بالكوفة، وسير جيوشه إلى البصرة وواسط ونواحيها،
فولى البصرة العباس بن محمد بن عيسى بن محمد الجعفري، وولى مكة الحسين بن الحسن
بن علي بن الحسين بن علي - الذي يقال له الأفطس - وجعل إليه الموسم، وولى اليمن
إبراهيم بن موسى بن جعفر، وولى فارس إسماعيل بن موسى بن جعفر، وولى الأهواز زيد
بن موسى بن جعفر فسار إليه البصرة، وغلب عليها وأخرج عنها العباس بن محمد
الجعفري ووليها مع الأهواز، ووجه أبو السرايا - محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن
الحسن بن علي بن أبي طالب إلى المدائن وأمره أن يأتي بغداد من الجانب الشرقي، فأتى
المدائن وأقام بها وهزم أصحاب الحسن إلى بغداد، فلما رأى الحسن بن سهل أن عسكره لا
يثبت لعسكر أبي السرايا أرسل إلى هرثمة يستدعيه، وكان قد سار إلى خراسان مغاضباً
للحسن، فحضر إليه بعد امتناع وسار إلى الكوفة في شعبان، وسير الحسن إلى المدائن
وواسط علي بن أبي سعيد الحرشي، فوجه أبو السرايا إليها جيشاً فدخل جيشه المدائن
في شهر رمضان، وتقدم هو حتى نزل بنهر صرصر، وجاء هرثمة فعسكر بإزائه بينهما
النهر، وسار علي بن أبي سعيد في شوال إلى المدائن، فقاتل أصحاب أبي السرايا وهزمهم
واستولى عليها، فبلغ الخبر أبا السرايا فرجع من نهر صرصر إلى قصر ابن هبيرة، وسار
هرثمة في طلبه، فوجد جماعة من أصحابه فقتلهم، ووجه برءوسهم إلى الحسن، ونازل
هرثمة أبا السرايا وكانت بينهم وقعة. قتل فيها جماعة من أصحاب أبي السرايا. وانحاز
إلى الكوفة ووثب من معه من الطالبيين على دور بني العباس ومواليهم وأتباعهم فانتهبوها
وهدموها وخربوا ضياعهم، وأخرجوهم من الكوفة وعملوا أعمالاً قبيحة، واستخرجوا
الودائع التي كانت لهم عند الناس.

أبي السرايا وقتله

قال: ولما انحاز أبو السرايا إلى الكوفة حاصره بها هرثمة، وقاتله ولازم قتاله فخرج أبو
السرايا من الكوفة في ثمانمائة فارس، ومعه محمد بن محمد بن زيد، ودخلها هرثمة فأمن

أهلها ولم يعرض إليهم، وكان هرثمة في سادس عشر المحرم سنة مائتين فأتى القادسية، وسار
منها إلى السوس بخوزستان، فلقي مالاً قد حمل من الأهواز فأخذه وقسمه بين أصحابه،
فأتاه الحسن بن علي المأموني، فأمره بالخروج من عمله وكره قتاله، فأبى أبو السرايا إلا قتاله
فقاتله، فهزمه المأموني وخرج وتفرق أصحابه، وسار هو ومحمد بن محمد وأبو الشوك نحو
منزل أبي السرايا برأس عين، فلما انتهوا إلى جلولاء ظفر بهم حماد الكندغوش فأخذهم،
وانتهى بهم إلى الحسن بن سهل وهو بالنهروان. فقتل أبا السرايا وبعث رأسه إلى المأمون،
ونصب جثته على جسر بغداد. وسير محمد بن محمد إلى المأمون. وأما هرثمة فأقام
بالكوفة يوماً واحداً وعاد منها، واستخلف بها غسان بن أبي الفرج، وسار علي بن أبي
سعيد إلى البصرة فأخذها من العلويين، وكان بها زيد بن موسى بن جعفر بن محمد بن
علي بن الحسين بن علي وهو الذي يسمى زيد النار، وإنما سمي بذلك لما أحرق بالبصرة
من دور العباسيين وأتباعهم، وكان إذا أتى برجل من المسودة أحرقه، وأخذ أموالاً كثيرة
من التجار، فلما وصل علي إلى البصرة استأمنه زيد فأمنه، وبعث إلى مكة والمدينة جيشاً
وأمرهم بمحاربة من بها من العلويين. وكان بين خروج أبي السرايا وقتله عشرة أشهر. نعود
لمساق السنين.

ودخلت سنة مائتين.

في هذه السنة كان ظهور إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد وكان بمكة، فلما بلغه خبر
أبي السرايا وما كان منه سار إلى اليمن، وبها إسحاق بن موسى بن عيسى عاملاً
للمأمون، فلما بلغه قرب إبراهيم من صنعاء سار نحو مكة، واستولى إبراهيم على اليمن،
وكان يسمى الجزار لكثرة من قتل باليمن وسبى وأخذ الأموال، ثم وجه رجلاً من ولد
عقيل بن أبي طالب في جند ليحج بالناس، فسار العقيلي حتى أتى بستان ابن عامر، فبلغه
أن أبا إسحاق المعتصم قد حج في جماعة من القواد، وفيهم حمدويه بن علي بن عيسى بن
ماهان - وكان الحسن بن سهل قد استعمله على اليمن، فعلم العقيلي أنه لا يقوى لهم فأقام

ببستان ابن عامر، فاجتازت قافلة من الحاج ومعهم كسوة الكعبة وطيبها، فأخذوا أموال
التجار والكسوة والطيب، وقدم الحجاج مكة عراة منهوبين، فاستشار المعتصم أصحابه
فقال الجلودي: أنا أكفيك ذلك، فانتخب مائة رجل وسار بهم إلى العقيلي، وقاتلهم فانهزم
أصحاب العقيلي وأسر أكثرهم، وأخذوا كسوة الكعبة وأموال التجار إلا ما كان مع من
هرب، وضرب الأسرى كل واحد عشرة أسواط وأطلقهم. فرجعوا إلى اليمن يستطعمون
الناس، فهلك أكثرهم في الطريق.
ذكر ما فعله الحسين بن الحسن الأفطس بمكة ومبايعة محمد بن جعفر وما كان من أمره وخلعه لنفسه
قد ذكرنا أن أبا السرايا كان قد بعث الحسين بن الحسن الأفطس إلى مكة في سنة تسع
وتسعين ومائة لما ظهر أمره، فدخل مكة فلما كان في المحرم من هذه السنة نزع الحسين كسوة
الكعبة، وكساها كسوة أخرى كان قد أنفذها أبو السرايا من الكوفة من القز. قال: وتتبع
الحسين ودائع بني العباس وأخذ أموال الناس بحجة الودائع، فهرب الناس منه وتطرق
أصحابه إلى قلع شبابيك الحرم، وأخذ ما على الأساطين من الذهب - وهو نزر حقير.
وأخذ ما في خزانة الكعبة فقسمه مع كسوتها في أصحابه. فلما بلغه قتل أبي السرايا.
ورأى تغير الناس عليه لسوء سيرته وسيرة أصحابه. فأتى هو وأصحابه إلى محمد بن
جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي، وكان شيخاً محبباً في الناس مفارقاً لما عليه
كثير من أهل بيته من قبح السيرة. وكان يروى والعلم عن أبيه ويكتبه الناس عنه ويظهر
الزهد. فلما أتوه قالوا: تعلم منزلتك من الناس فهلم نبايعك بالخلافة، فإن فعلت لم يختلف
عليك رجلان، فامتنع من ذلك فلم يزل به ابنه علي وحسين بن الحسن الأفطس حتى غلباه
على رأيه، فأجابهم فأقاموه في شهر ربيع الأول وبايعوه بالخلافة. وجمعوا له الناس فبايعوه
طوعاً وكرهاً ونعتوه بأمير المؤمنين. فبقي شهوراً وليس له من الأمر شيء. وابنه علي
وحسين بن حسن وجماعتهما أسوأ ما كانوا سيرة وأقبح فعلاً، فوثب حسين بن حسن

على امرأة من بني فهر كانت جميلة، وأرادها على نفسها فامتنعت، وخاف زوجها وهو
من بني مخزوم حتى توارى عنه، ثم كسر باب دارها وأخذها مدة ثم هربت منه، ووثب
علي بن محمد بن جعفر على غلام أمرد - وهو ابن قاضي مكة اسمه إسحاق بن محمد،
وكان جميلاً فأخذه قهراً، فاجتمع أهل مكة ومن بها من المجاورين فصاروا في جمع كبير،
فأتوا محمد بن جعفر وقالوا: لنخلعنك ولنقتلنك أو لتردن علينا هذا الغلام، فأغلق بابه
وكلمهم من شباك، وطلب منهم الأمان ليركب إلى ابنه ويأخذ منه الغلام، وحلف أنه لم يعلم
به، فأمنوه فركب إلى ابنه وأخذه منه ورده إلى أبيه، ولم يلبثوا إلا يسيراً حتى قدم إسحاق
بن موسى العباسي من اليمن، فنزل المشاش فاجتمع الطالبيون إلى محمد بن جعفر وأعلموه
ذلك، وحفروا خندقاً وجمعوا الناس من الأعراب وغيرهم، فقاتلهم إسحاق ثم كره القتال
فسار نحو العراق، فلقيهم الجند الذين بعثهم هرثمة إلى مكة، ومعهم الجلودي ورجاء بن
جميل فردوه معهم، فقاتلوا الطالبيين فهزموهم، فطلب محمد بن جعفر الأمان فأمنوه، ودخل
العباسيون مكة في جمادى الآخرة وتفرق الطالبيون من مكة.
وأما محمد بن جعفر فسار
نحو الحجفة، فأدركه بعض موالي بني العباس فأخذ جميع ما معه، وأعطاه دريهمات يتوصل
بها، فسار نحو بلاد جهينة فجمع بها وقاتل هارون بن المسيب والي المدينة عند الشجرة
وغيرها، عدة وقعات فانهزم محمد وفقئت عينه بسهم، وقتل من أصحابه بشر كثير ورجع
إلى موضعه، فلما انقضى الموسم طلب الأمان من الجلودي ومن رجاء بن جميل - وهو ابن
عم الفضل بن سهل فأمناه، وضمن له رجاء عن المأمون وعن الفضل الوفاء بالأمان، فقبل
ذلك وأتى مكة لعشر بقين من ذى الحجة، فخطب الناس وقال إنني كان بلغني أن المأمون
مات، وكانت له في عنقي بيعة، وكانت فتنة عمت الأرض، فبايعني الناس، ثم إنه صح
عندي أن المأمون حي صحيح وأنا أستغفر الله من البيعة وقد خلعت نفسي من بيعتي التي
بايعتموني عليها - كما خلعت خاتمي هذا من أصبعي، فلا بيعة لي في رقابكم.

ثم سار في سنة إحدى ومائتين إلى العراق، فسيره الحسن بن سهل إلى المأمون بمرو، فلما
سار المأمون إلى العراق صحبه فمات بجرجان.

هرثمة

ومسيره إلى المأمون وقتله

قال: فلما فرغ هرثمة من أمر أبي السرايا رجع ولم يأت الحسن بن سهل، وسار إلى خراسان
فأتته كتب المأمون في غير موضع، أن يأتي إلى الشام والحجاز، فقال: لا أرجع حتى ألقى
أمير المؤمنين، إدلالاً منه عليه ولما يعرف من نصيحته له ولآبائه وأراد أن يعرف المأمون ما
يدبر عليه الفضل بن سهل، وما يكتم عنه من الأخبار، وأنه لا يدع المأمون حتى ينتقل إلى
بغداد ليتوسط سلطانه، فعلم الفضل بذلك فعاجله بالتدبير عليه، وقال للمأمون: إن هرثمة
قد أنغل عليك البلاد والعباد، ودس أبا السرايا - وهو من جنده - ولو أراد لم يفعل
ذلك، وقد كتب إليه عدة كتب ليرجع إلى الشام والحجاز فلم يفعل، وقد جاء مشاقاً وإن
أطلق كان هذا مفسدة لغيره، فتغير قلب المأمون وأبطأ هرثمة إلى ذي القعدة، فلما بلغ مرو
خشي أن يكتم قدومه عن المأمون، فأمر بالطبول فضربت لكي يسمعها المأمون فسمعها،
فقال: ما هذا!!! قال: هرثمة قد أقبل يرعد ويبرق، فأمر المأمون بإدخاله، فلما دخل قال له
المأمون: مالأت أهل الكوفة والعلويين، ووضعت أبا السرايا ولو شئت أن تأخذهم جميعاً
لفعلت، فذهب هرثمة يتكلم ويعتذر، فلم يقبل قوله وأمر به فديس بطنه، وضرب أنفه
وسحب من يديه وحمل إلى الحبس، فمكث أياماً ثم دسوا عليه من قتله وقالوا مات.

وثوب الحربية ببغداد

وفي هذه السنة كان الشغب ببغداد بين الحربية والحسن بن سهل، وسبب ذلك أن الحسن
بن سهل كان بالمدائن لما شخص هرثمة إلى المأمون، فلما بلغ أهل بغداد ما صنعه المأمون
بهرثمة بعث الحسن بن سهل إلى علي بن هشام - وهو والي بغداد من قبله - أن امطل
الجند من الحربية أرزاقهم. وكانت الحربية قبل ذلك قد وثبوا وقالوا: لا نرضى حتى نطرد
الحسن وعماله عن بغداد فطردوهم، وصيروا إسحاق بن موسى بن المهدي خليفة للمأمون

ببغداد. واجتمع أهل الجانبين على ذلك ورضوا به. فدس الحسن إليهم وكاتب قوادهم.
حتى شغبوا من جانب عسكر المهدي، فحول الحربية إسحاق إليهم وأنزلوه على دجيل،
وجاء زهير بن المسيب فنزل في عسكر المهدي. وبعث الحسن بن سهل علي بن هشام في
الجانب الآخر هو ومحمد بن أبي خالد، فدخلوا بغداد في شعبان. وقاتل الحربية ثلاثة
أيام على قنطرة الصراة. ثم وعدهم رزق ستة أشهر إذا أدركت الغلة، فسألوه تعجيل
خمسين درهماً لكل رجل منهم ينفقونها في شهر رمضان،
فأجابهم إلى ذلك وجعل يعطيهم،
ثم هرب علي بن هشام بعد جمعة من الحربية ونزل بصرصر، لأنه لم يف بالعطاء، وقام بأمر
الحربية محمد بن أبي خالد لأن علي بن هشام كان يستخف به، فغضب من ذلك وتحول
وهزموا علي بن هشام من صرصر، وقيل: كان السبب في شغبهم أن الحسن بن سهل جلد
عبد الله بن ماهان الحد، فغضب الحربية وخرجوا.
وحج بالناس في هذه السنة المعتصم.
ودخلت سنة إحدى ومائتين.
ولاية منصور
بن المهدي بغداد
في هذه السنة أراد أهل بغداد أن يبايعوا المنصور بن المهدي بالخلافة، فامتنع من ذلك
فأرادوه على الإمرة عليهم، على أن يدعو للمأمون بالخلافة فأجابهم إلى ذلك، وكان سبب
ذلك أن أهل بغداد - لما أخرجوا علي بن هشام من بغداد واتصل حين إخراجه بالحسن
سهل سار من المدائن إلى واسط، وذلك في أول هذه السنة، فاتبعه محمد بن أبي خالد
مخالفاً له، وقد تولى القيام بأمر الناس، وولى سعيد بن الحسن بن قحطبة بالجانب الغربي
ونصر بن حمزة بالجانب الشرقي، وكان ببغداد منصور بن المهدي والفضل بن الربيع وخزيمة
بن خازم، وكان الفضل بن الربيع مختفياً كما تقدم إلى الآن، فلما رأى محمداً قد بلغ واسط
طلب منه الأمان فأمنه، وظهر الفضل وسار محمد بن أبي خالد إلى الحسن على تعبئة،
وقد تحول الحسن عن واسط، فوجه إليه الحسن بن سهل قواده وجنده، فاقتتلوا قتالاً

شديداً فانهزم أصحاب محمد بعد العصر، وثبت هو حتى جرح جراحات شديدة،
وانهزموا هزيمة قبيحة وقتل منهم كثير، وذلك لسبع بقين من شهر ربيع الأول، ثم أتاه الحسن
بن سهل واقتتلوا، حتى جنهم الليل فرحل محمد وأصحابه ثم التقوا واقتتلوا مرة ثانية إلى
الليل، فاشتدت جراحات محمد فحمله ابنه أبو زنبيل إلى بغداد، وخلف عسكره لست
خلون من ربيع الآخر، ومات محمد بن أبي خالد فدفن في داره سراً، وأتى أبو زنبيل خزيمة
بن خازم فأعلمه وفاة أبيه، فأعلم خزيمة الناس وقرأ عليهم كتاب عيسى بن محمد إليه، أنه
قام بأمر الحرب مقام أبيه، ثم كان بين الحسن وبين أولاده محمد بن أبي خالد وقعات، وانتصر
فيها أصحاب الحسن عليهم وهزموهم مرة بعد أخرى.
قال: ولما مات محمد قال بنو هاشم والقواد نصير منا خليفة ونخلع المأمون، ثم أتاهم خبر
هزيمة أولاد محمد فجدوا في ذلك، وأرادوا منصور بن المهدي على الخلافة فأبى، فجعلوه
خليفة للمأمون ببغداد والعراق، وقالوا: لا نرضى بالمجوسي الحسن بن سهل، وقال المنصور:
أنا خليفة أمير المؤمنين حتى يقدم، أو يولي من أحب فرضي به الناس، وعسكر بكلواذى.

البيعة لعلي
بن موسى الرضا

في هذه السنة جعل المأمون علي بن موسى الرضا بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين
بن أبي طالب رضي الله عنه ولي عهد المسلمين، والخليفة من بعده ولقبه الرضا من آل
محمد صلى الله عليه وسلم، وأمر جنده بطرح السواد ولبس الخضرة وكتب بذلك إلى سائر
الآفاق، وذلك لليلتين خلتا من شهر رمضان سنة إحدى ومائتين، فتكلم بنو العباس في ذلك
وقال بعضهم لا نرضاه، وتكلموا في خلع المأمون والبيعة لإبراهيم بن المهدي، فكان ما نذكره
إن شاء الله تعالى.

فتح جبال طبرستان
وأسر ملك الديلم

في هذه السنة افتتح عبد الله بن خرداذبة - والي طبرستان - البلازر والشيزر من بلاد
الديلم، وافتتح طبرستان وأنزل شهريار بن شروين عنها. وأسر أبا ليلى ملك الديلم.

وحج بالناس في هذه السنة إسحاق بن موسى بن عيسى بن موسى بن محمد بن علي
العباسي.
ودخلت سنة اثنتين ومائتين.
مبايعة ابراهيم
في هذه السنة بايع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي ولقبوه المبارك، وخلعوا المأمون وذلك في
أول المحرم، وقيل لخمس مضين منه، وبايعه سائر بني هاشم، وكان المتولي لأمر البيعة المطلب
بن عبد الله بن مالك، وكان سبب ذلك ما ذكرناه، من إنكار الناس ولاية الحسن بن سهل
والبيعة لعلي بن موسى، فوضع العباسيون رجلاً في يوم جمعة يقول: إنا نريد أن ندعو للمأمون
ومن بعده لإبراهيم، ووضعوا من يجيبه: إنا لا نرضى إلا أن تبايعوا لإبراهيم بن المهدي
ومن بعده لإسحاق بن موسى الهادي وتخلعوا المأمون، ففعلوا ذلك فلم يصل الناس جمعة
وتفرقوا لليلتين بقيتا من ذى الحجة، ثم خلعوا المأمون وبايعوا لإبراهيم، وكان الذي سعى في
هذا الأمر السندي وصالح صاحب المصلى ونصير الوصيف وغيرهم، فلما فرغوا من
البيعة وعد الجند رزق ستة أشهر، ودافعهم بها فشغبوا فأعطاهم لكل رجل مائتي درهم،
وكتب لبعضهم على السواد بقيمة مالهم حنطة وشعيراً، فخرجوا في قبضها فانتهبوا الجميع،
وأخذوا نصيب السلطان وأهل السواد. واستولى على الكوفة والسواد جميعه وعسكر
بالمدائن. واستعمل على الجانب الغربي من بغداد العباس بن موسى الهادي وعلى الجانب
الشرقي منها إسحاق بن موسى الهادي.
أخبار إبراهيم
بن المهدي وما استولى عليه من الأماكن وما كان من أمره إلى أن خلع واستتر – ذكر
استيلائه على قصر ابن هبيرة والكوفة
قال: وكان بقصر ابن هبيرة حميد بن عبد الحميد عاملاً للحسن بن سهل، ومعه من القواد
سعيد بن الساجور وأبو البط وغسان بن أبي الفرج ومحمد بن إبراهيم الإفريقي وغيرهم،
وكاتبوا إبراهيم على أن يأخذوا له قصر ابن هبيرة، وكانوا قد انحرفوا عن حميد، وكتبوا
إلى الحسن بن سهل يخبرونه أن حميداً يكاتب إبراهيم، وكتب حميد فيهم مثل ذلك،

فاستقدم الحسن حميد بن عبد الحميد فامتنع، وخاف - إن هو سار إليه - سلم القواد
ماله وعسكره إلى إبراهيم، فألح الحسن عليه بالطلب فسار إليه في شهر ربيع الآخر،
فكتب القواد إلى إبراهيم لينفذ إليهم عيسى بن محمد بن أبي خالد، فوجه إليهم عيسى
فانتهبوا ما في عسكر حميد، فكان مما أخذوا له مائة بدرة، وأخذ ابن حميد جواري أبيه
وسار إليه بعسكر الحسن، ودخل عيسى القصر لعشر خلون من شهر ربيع الآخر، فعاد
الحسن إلى الكوفة فأخذ أموالها، واستعمل عليها العباس بن موسى بن جعفر العلوي،
وأمره أن يدعو لأخيه علي بن موسى بعد المأمون، وأعانه بمائة ألف درهم وقال له: قاتل
عن أخيك وأنا معك، فوجه إبراهيم إلى الكوفة سعيد بن الساجور وأبا البط لقتال العباس
بن موسى، وكان العباس قد دعا أهل الكوفة فأجابه بعضهم، وأما الغلاة من الشيعة فقالوا:
إن كنت تدعو لأخيك وحده فنحن معك، وأما المأمون فلا حاجة لنا فيه، فقال: إنما أدعو
للمأمون وبعده لأخي، فقعدوا عنه، فلما أتاه سعيد وأبو البط نزلوا قرية شاهى، بعث إليهم
العباس ابن عمه علي بن محمد بن جعفر - وهو ابن الذي كان قد بويع له بمكة - وبعث
معه جماعة، فاقتتلوا ساعة فانهزم العلوي وأهل الكوفة، ونزل سعيد وأصحابه الحيرة، وكان
ذلك في ثاني جمادى الآخرة، ثم تقدموا فقاتلوا أهل الكوفة، وخرج إليهم شيعة بني العباس
ومواليهم فاقتتلوا إلى الليل، وكان شعارهم: يا إبراهيم يا منصور، لا طاعة للمأمون، وعليهم
السواد وعلى أهل الكوفة الخضرة، ثم اقتتلوا من الغد فسأل رؤساء الكوفة سعيد بن
الساجور الأمان للعباس وأصحابه فأمنهم، على أن يخرجوا من الكوفة فأجابوا إلى ذلك،
وأتوا العباس فأعلموه فقبل منهم وتحول عن داره، ثم شغب أصحابه على من بقي من
أصحاب سعيد وقاتلوهم، فانهزم أصحاب سعيد إلى الخندق، ونهب أصحاب العباس
دور عيسى بن موسى، وأحرقوا وقتلوا من ظفروا به، فأرسل العباسيون إلى سعيد بالحيرة
يخبرونه أن العباس بن موسى قد رجع عن الأمان، فركب سعيد وأصحابه وأتوا الكوفة

عتمة فقتلوا من ظفروا به ممن انتهب، ومكثوا عامة الليل، فخرج إليهم رؤساء الكوفة
فأعلموهم أن هذا فعل الغوغاء، وأن العباس لم يرجع عن الأمان فانصرفوا عنهم، فلما كان
الغد دخلها سعيد وأبو البط ونادوا بالأمان ولم يعرضوا لأحد، وولوا الكوفة الفضل بن
محمد بن الصباح الكندي، ثم عزلوه لميله إلى أهل بلده، واستعملوا غسان بن أبي الفرج ثم
عزلوه، واستعملوا الهول ابن أخي سعيد، فلم يزل عليها حتى قدمها حميد بن عبد الحميد
فهرب، ودام أمر إبراهيم بن المهدي إلى سنة ثلاث ومائتين ثم خلع.

خلع ابراهيم

وفي سنة ثلاث ومائتين خلع أهل بغداد إبراهيم بن المهدي، وكان سبب ذلك أنه قبض
على عيسى بن محمد بن أبي خالد، لأنه كان يكاتب حميد بن عبد الحميد والحسن بن
سهل، ويظهر لإبراهيم الطاعة، وكان إبراهيم يأمره بالخروج لقتال حميد فيعتذر، أن الجند
يطلبون أرزاقهم ومرة يقول حتى تدرك الغلة، إلى أن توثق عيسى من الجيش وفارقهم على
أن يدفع إليهم إبراهيم بن المهدي في يوم الجمعة سلخ شوال، فجاء هارون بن محمد أخو
عيسى فأعلم إبراهيم بذلك، وجاء عيسى إلى باب الجسر فقال للناس: إني قد سألت
حميد بن عبد الحميد أن لا يدخل عملي ولا أدخل عمله، ثم أمر بحفر خندق بباب الجسر
وباب الشام، وبلغ إبراهيم قوله وفعله، وكان عيسى قد سأل إبراهيم أن يصلي الجمعة
بالمدينة، فأجابه إلى ذلك ثم حذر إبراهيم وأرسل إلى عيسى يستدعيه، فاعتل عليه فتابع
رسله إليه فحضر عنده بالرصافة، فلما دخل عليه عاتبه ساعة وعيسى يعتذر وينكر
بعض ذلك، ثم أمر به إبراهيم فضرب وحبس، وأخذ عدة من قواده وأهله فحبسهم، ونجا
بعضهم ومضى بعض من نجا إلى بعض، وحرضوا الناس على إبراهيم، وكان أشدهم
العباس - خليفة عيسى - فاجتمعوا وطردوا عامل إبراهيم على الجسر والكرخ وغيره،
وكتب العباس إلى حميد يسأله أن يقدم عليهم، حتى يسلموا إليه بغداد، فسار حميد حتى

أتى نهر صرصر، وخرج إليه العباس وقواد بغداد فلقوه، وكانوا قد شرطوا عليه أن يعطي
لكل جندي خمسين درهماً، فأجابهم إلى ذلك ووعدهم أن يضع لهم العطاء يوم السبت في
الياسرية، على أن يدعوا للمأمون بالخلافة يوم الجمعة ويخلعوا إبراهيم فأجابوه إلى ذلك، ولما
بلغ إبراهيم الخبر أخرج عيسى ومن معه من الحبس وسأله أن يرجع إلى منزله ويكفيه هذا
الأمر فأبى ذلك، فلما كان يوم الجمعة أحضر العباس - محمد بن أبي رجاء الفقيه - فصلى
بالناس الجمعة ودعا للمأمون بالخلافة، وجاء حميد إلى الياسرية فعرض جند بغداد،
وأعطاهم الخمسين التي وعدهم بها فسألوه أن ينقصهم عشرة عشرة، لما تشاءموا به من
علي بن هشام حين أعطاهم الخمسين وقطع العطاء عنهم، فقال حميد: لا، بل أزيدكم
عشرة، فلما بلغ ذلك إبراهيم دعا عيسى وسأله أن يقاتل حميداً، فأجابه إلى ذلك فخلى
سبيله، وكلم عيسى الجند ووعدهم أن يعطيهم مثل ما أعطاهم حميد فأبوا ذلك، فعبر
إليهم عيسى وقواد الجانب الشرقي، ووعد أولئك الجند أن يزيدهم على الستين فشتموه،
وقالوا: لا نريد إبراهيم، فقاتلهم ساعة ثم ألقى نفسه في وسطهم حتى أخذوه شبه الأسير،
فأخذه بعض قواده فأتى به منزله ورجع الباقون إلى إبراهيم، فأخبروه بالخبر فاغتم لذلك.

اختفاء ابراهيم

كان سبب ذلك أن حميد بن عبد الحميد تحول فنزل عند أرحاء عبد الله بن مالك، فلما
رأى أصحاب إبراهيم وقواده ذلك تسللوا فصار عامتهم عنده، فأخرج إبراهيم جميع من
بقي عنده فالتقوا واقتتلوا، فهزمهم حميد وتبعهم أصحابه حتى أدخلوهم بغداد، وذلك في
سلخ ذى القعدة، فلما كان الأضحى اختفى الفضل بن الربيع ثم تحول إلى حميد، وجعل
الهاشميون والقواد يأتون حميداً واحداً بعد واحد، فلما رأى إبراهيم ذلك سقط في يده،
وبلغه أن أصحابه يريدون أن يسلموه إليهم فداراهم حتى جنه الليل، واختفى ليلة الأربعاء
لثلاث عشرة ليلة بقيت من ذى الحجة، ولم يزل متوارياً حتى ظفر به المأمون في سنة عشر
ومائتين على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وكانت أيام إبراهيم سنة وأحد عشر شهراً واثني عشر يوماً، واستقر بعده علي بن هشام
على شرقي بغداد، وحميد على غربيها. نعود إلى بقية حوادث سنة اثنتين ومائتين خلاف
أخبار إبراهيم بن المهدي.
قتل ذو الرئاستين
الفضل بن سهل
وفي سنة اثنتين ومائة سار المأمون من مرو إلى العراق، واستخلف على خراسان غسان
بن عباد، وكان مسيره أن علي بن موسى الرضا أخبره ما الناس فيه من الفتنة منذ قتل
الأمين، وبما كان الفضل بن سهل يستر عنه من أخبار الناس وأهل بيته، وأن الناس قد نقموا
عليه أشياء، وأنهم يقولون مسحور مجنون، وأنهم قد بايعوا إبراهيم بن المهدي بالخلافة،
فقال له المأمون: لم يبايعوه بالخلافة وإنما صيروه أميراً، يقوم بأمرهم على ما أخبر به الفضل،
فأعلمه أن الفضل قد كذبه، وأن الحرب قائمة بين الحسن وإبراهيم، وأن الناس ينقمون
عليك مكانه ومكان أخيه الفضل ومكاني وبيعتك لي من بعدك، فقال المأمون: ومن يعلم
ذلك؟ فقال يحيى بن معاذ وعبد العزيز بن عمران وغيرهم من وجوه العسكر، فأمر
بإدخالهم فدخلوا فسألهم عما أخبر به علي بن موسى، فلم يخبروه حتى يجعل لهم الأمان
من الفضل أن لا يعرض إليهم، فضمن لهم ذلك وكتب لهم خطه به، فأخبروه بما أخبره به
علي بن موسى، وأخبروه أن أهل بغداد يسمون إبراهيم الخليفة السني، وأنهم يتهمون
المأمون بالرفض لمكان علي بن موسى، وأعلموه ما الناس فيه وبما موه عليه الفضل من أمر
هرثمة، وأن هرثمة إنما جاءه لينصحه فقتله الفضل، وأنه إذا لم يتدارك أمره وإلا خرجت
الخلافة من يده، وأن طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعته ما يعلمه، وأخرج من الأمر كله
وضعف أمره، وشغبت عليه جنده، وأنه لو كان ببغداد ضبط الملك، وأن الدنيا قد تفتقت
من أطرافها وأقطارها، وسألوه أن يخرج إلى بغداد فإن أهلها لو رأوه أطاعوه، فلما تحقق
ذلك أمر بالرحيل فعلم الفضل بالحال، فضرب بعضهم وحبس بعضهم ونتف لحى بعضهم،

فذكر علي بن موسى ذلك للمأمون، فقال: أنا أداري، ثم أرتحل، فلما أتى سرخس وثب قوم
بالفضل بن سهل فقتلوه في الحمام، وكان قتله لليلتين خلتا من شعبان، وكان الذين قتلوه
أربعة: أحدهم غالب المسعودي الأسود، وقسطنطين الرومي، وفرج الديلمي، وموفق
الصقلبي وكان عمره ستين سنة، وهربوا بعد قتله فجعل المأمون لمن جاء بهم عشرة آلاف
دينار، فجاء بهم العباس بن الهيثم الدينوري، فقالوا للمأمون: أنت أمرتنا بقتله، فأمر بهم
فضربت رقابهم، ثم أحضر عبد العزيز بن عمران وغيره، وسألهم فأنكروا أن يكونوا علموا
بشيء من ذلك، فلم يقبل منهم وقتلهم وبعث برءوسهم إلى الحسن بن سهل، وأعلمه ما
دخل عليه من المصيبة بقتل الفضل، وأنه قد صيره مكانه، ورحل المأمون إلى العراق.
وفيها تزوج المأمون بوران بنت الحسن بن سهل، وفيها زوج المأمون ابنته أم حبيب من
علي بن موسى الرضا، وحج بالناس في هذه السنة إبراهيم بن موسى بن جعفر، ودعا
لأخيه بعد المأمون بولاية العهد.
ودخلت سنة ثلاث ومائتين.
وفاة علي الرضا
ولي العهد
كانت وفاته في آخر صفر بمدينة طوس، وكان سبب ذلك أنه أكل عنباً فأكثر منه فمات
فجأة، وصلى عليه المأمون ودفنه عند قبر أبيه الرشيد، وقيل إن المأمون سمه في عنب،
واستبعد ذلك جماعة وأنكروه. قال: ولما مات كتب المأمون إلى الحسن بن سهل يعلمه
بموته، وما دخل عليه من المصيبة بموته، وكتب إلى أهل بغداد وبني العباس والموالي يعلمهم
بموته، وأنهم إنما نقموا بيعته وقد مات، وسألهم الدخول في طاعته فأغلظوا له في الجواب،
وكان مولد علي بن موسى بالمدينة سنة ثمان وأربعين ومائة.
وحج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي، وفيها غلبت السوداء على الحسن
بن سهل وتغير عقله حتى شد في الحديد وحبس، فكتب القواد إلى المأمون بذلك فجعل في
عسكره دينار بن عبد الله.
ودخلت سنة أربع ومائتين.
قدوم المأمون بغداد

في هذه السنة قدم المأمون بغداد وانقطعت الفتن، وخرج إليه أهل بيته والقواد ووجوه
الناس، وكان كتب إلى طاهر وهو بالرقة ليوافيه بالنهروان فأتاه بها، ودخل بغداد في
منتصف صفر ولباسه ولباس أصحابه الخضرة، فنزل الرصافة ثم تحول فنزل قصره على
شاطيء دجلة، وأمر القواد أن يقيموا في معسكرهم، وكان الناس يحرقون كل ملبوس يرونه
من السواد على إنسان، فمكثوا ثمانية أيام كذلك، فتكلم بنو العباس وقواد خراسان، فقيل
إنه أمر طاهر بن الحسين أن يسأل حوائجه، فكان أول حاجة سألها أن يلبس السواد،
فأجابه إلى ذلك وجلس المأمون للناس وأحضر سواداً فلبسه، ودعا بخلعة سوداء فألبسها
طاهراً، وخلع على قواده السواد، وذلك لسبع بقين من صفر منها.
وفي هذه السنة أمر المأمون بمقاسمة أهل السواد على الخمسين، وكانوا يقاسمون على
النصف. وحج بالناس في هذه السنة عبيد الله بن الحسن بن عبيد الله بن العباس بن
علي بن أبي طالب، واستعمله المأمون على الحرمين، وفي هذه السنة أعني سنة أربع ومائتين
مات الإمام محمد بن إدريس الشافعي بمصر، ومولده سنة خمسين ومائة رحمه الله ورضي
عنه.
ودخلت سنة خمس ومائتين.
ولاية طاهر
بن الحسين خراسان
في هذه السنة استعمل المأمون طاهر بن الحسين على المشرق - من مدينة السلام إلى
أقصى عمل المشرق، وكان قبل ذلك يتولى الشرط بجانبي بغداد، فشخص طاهر من يومه
وذلك لليلة بقيت من ذى القعدة، وقدم طاهر البلد فأقام شهراً فحمل إليه عشرة آلاف ألف
درهم التي تحمل لصاحب خراسان، وجعل المأمون على الشرط عبد الله بن طاهر بعد
أبيه وحج بالناس عبيد الله العلوي.
ودخلت سنة ست ومائتين.
ولاية عبد الله بن طاهر الرقة وغيرها
في هذه السنة ولى المأمون عبد الله بن طاهر من الرقة إلى مصر، وأمره بحرب نصر بن

شبث، وقال له: يا عبد الله إني أستخير الله منذ شهر وأكثر وأرجو أن يكون قد خار لي،
وقد وليتك هذه الأعمال ومحاربة نصر بن شبث، فقال: السمع والطاعة، وأرجو أن يجعل
الله لأمير المؤمنين الخيرة وللمسلمين، فعقد له، وقيل كانت ولايته سنة خمس ومائتين، لما سار
استخلف على الشرط إسحاق بن إبراهيم بن الحسين بن مصعب - وهو ابن عمه، وسار
عبد الله إلى عمله، وكان من أمره ما نذكره إن شاء الله تعالى.
وحج بالناس عبيد الله العلوي.
ودخلت سنة سبع ومائتين.
في هذه السنة خرج عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عمر بن علي بن أبي
طالب ببلاد عك من اليمن، يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه وسلم، وكان
سبب خروجه أن عمال اليمن أساءوا السيرة في الناس، فبايعوا عبد الرحمن فوجه المأمون
إليه دينار بن عبد الله في جيش كثيف، وكتب معه بأمانه، فحضر دينار الموسم وحج
بالناس، ثم سار إلى اليمن فبعث إلى عبد الرحمن بأمانه فقبله، ودخل في طاعة المأمون
ووضع يده في يد دينار، فخرج به إلى المأمون، فمنع المأمون عند ذلك الطالبيين من الدخول
عليه، وأمرهم بلبس السواد.
وفاة طاهر بن الحسين أمير خراسان واستعمال ابنه طلحة
كانت وفاته في جمادى الأولى من هذه السنة، قال كلثوم بن ثابت بن أبي سعيد: كنت
على بريد خراسان، فلما كان في سنة سبع ومائتين حضرت الجمعة، فصعد طاهر المنبر
فلما بلغ ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له، وقال: اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به
أولياءك، واكفها مؤونة من بغى عليها وحشد فيها، بلم الشعث وحقن الدماء وإصلاح
ذات البين، قال: فقلت في نفسي أنا أول مقتول لأني لا أكتم الخبر، فانصرفت فاغتسلت
غسل الموتى وتكفنت، وكتبت إلى المأمون، فلما كان العصر دعاني طاهر، وحدث به
حادث في جفن عينيه فسقط ميتاً، فخرج إلي ابنه طلحة فقال: هل كتبت بما كان؟ قلت:
نعم، قال: فاكتب بوفاته وبقيام طلحة بأمر الجيش، فوردت الخريطة على المأمون بخلعه،

فدعا أحمد بن أبي خالد فقال: سر فإيت بطاهر - كما زعمت وضمنت، وكان هو قد
أشار على المأمون بولاية طاهر خراسان وضمنه، فقال: يا أمير المؤمنين أبيت الليلة، قال:
لا، فلم يزل به حتى أذن له في المبيت، ووافت الخريطة الأخرى ليلاً بموته، فدعاه فقال: قد
مات طاهر فمن ترى؟ قال: ابنه طلحة، قال: اكتب بتوليته فكتب بذلك، ولما ورد الخبر
بموت طاهر قال المأمون: لليدين والفم، الحمد لله الذي قدمه وأخرنا. وكان طاهر أعور
وفيه يقول بعضهم:

يا ذا اليمينين وعين واحده نقصان عين ويمين زائده

وكان لقبه ذا اليمينين وكنيته أبا الطيب. وقيل إن المأمون استعمل على أعمال طاهر ابنه
عبد الله، فسير إلى خراسان أخاه طلحة، وكان عبد الله بالرقة يحارب ابن شبث، فلما
وجه طلحة إلى خراسان سير المأمون إليه أحمد بن أبي خالد ليقوم بأمره، فعبر أحمد إلى
ما وراء النهر وافتتح أشروسنة، وأسر كاوس بن خارخره وابنه الفضل وبعث بهما إلى
المأمون، ووهب طلحة لأحمد بن أبي خالد ثلاثة آلاف ألف درهم وعروضاً بألفي ألف
درهم، ووهب لإبراهيم بن العباس كاتبه خمسمائة ألف.
وحج بالناس في هذه السنة أبو عيسى بن الرشيد.
ودخلت سنة ثمان ومائتين.
في هذه السنة سار الحسن بن الحسين بن مصعب من خراسان إلى كرمان فعصى بها،
فسار إليه أحمد بن أبي خالد فأخذه، وأتى به المأمون فعفا عنه، وحج بالناس في هذه
السنة صالح بن الرشيد.
ودخلت سنة تسع ومائتين.
في هذه السنة حصل الظفر بنصر بن شبث، وقد قدمناه في أخباره. وحج بالناس صالح
بن العباس بن محمد بن علي.
ودخلت سنة عشر ومائتين.
في هذه السنة ظفر المأمون إبراهيم بن محمد بن عبد الوهاب بن إبراهيم الإمام المعروف
بابن عائشة ومحمد بن إبراهيم الأفريقي ومالك بن شاهي ومن كان معهم ممن سعى في بيعة
إبراهيم بن المهدي، فأقيم ابن عائشة على باب دار المأمون ثلاثة أيام في الشمس. ثم ضربه

بالسياط وحبسه، وضرب مالك بن شاهي وأصحابهما، ثم قتل ابن عائشة وابن شاهي
ورجلين من أصحابهما صبراً، وصلب ابن عائشة - وهو أول عباسي صلب في الإسلام،
ثم أنزل وكفن وصلي عليه ودفن بمقابر قريش.
ظفر المأمون بإبراهيم
بن المهدي
في هذه السنة في شهر ربيع الآخر أخذ إبراهيم بن المهدي، وهو متنقب في زي امرأة بين
امرأتين، أخذه حارس أسود ليلاً وقال له ولهن: أين تردن في هذا الوقت؟! فأعطاه إبراهيم
خاتم ياقوت كان في يده، فاستراب منه الحارس ورفعهن إلى صاحب المسلحة، فأمرهن أن
يسفرن عن وجوههن، فامتنع إبراهيم فجذبه فبدت لحيته، فدفعه إلى صاحب الجسر
فعرفه، فذهب به إلى المأمون وأعلمه به، فأمره بالاحتفاظ به إلى باكر النهار، فلما كان الغد
أقعد إبراهيم في دار المأمون. والمقنعة في عنقه والملحفة على صدره ليراه بنو هاشم
والناس ويعلموا كيف أخذ، ثم حوله إلى أحمد بن أبي خالد فحبسه عنده، ثم شفع فيه
الحسن بن سهل - وقيل ابنته بوران لما بنى بها المأمون. وقيل إن إبراهيم لما أخذ حمل إلى
دار أبي إسحاق المعتصم، وكان المعتصم عند المأمون فحمل رديفاً لفرج التركي، فلما دخل
على المأمون قال له: هيه يا إبراهيم، فقال: يا أمير المؤمنين ولي الثأر محكم في القصاص،
والعفو أقرب للتقوى، ومن تناوله الأغترار - بما مد له من أسباب الشقاء - أمكن عادية
الدهر من نفسه، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب، كما جعل كل ذي ذنب دونك فإن
تعاقب فبحقك وإن تعف فبفضلك، فقال: بل أعفو يا إبراهيم، فكبر وسجد. وقيل بل
كتب إبراهيم هذا الكلام إلى المأمون وهو مختف، فوقع المأمون في رقعته: القدرة تذهب
الحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله عز وجل، وهو أكبر ما نسأله، فامتدحه إبراهيم بن
المهدي بقصيدته التي هي:

يا خير من رفلت يمانيه به بعد النبي لآيس أو طامع
وأبر من عبد الإله على التقى غيباً وأقوله بحق صادع
عسل الفوارع ما أطعت فإن تهج فالصاب يمزج بالسمام الناقع

متيقظاً حذراً وما تخشى العدى نبهان من وسنان ليل الهاجع
ملئت قلوب الناس منك مخافة وتبيت تكلؤهم بقلب خاشع
بأبي وأمي فدية وبنبهما من كل معضلة وريب واقع
منها:
نفسي فداؤك إذ تضل معاذري وألوذ منك بفضل حلم واسع
أملاً لفضلك والفواضل شيمة دفعت بناءك للمحل اليافع
فبذلت أفضل ما يضيق ببذله وسع النفوس من الفعال البارع
وعفوت عمن لم يكن عن مثله عفو ولم يشفع إليك بشافع
إلا العلو عن العقوبة بعدما ظفرت يداك بمستكين خاضع
فرحمت أطفالاً كأفراخ القطا وعويل عانسة كقوس النازع
الله يعلم ما أقول فإنها جهد الألية من حنيف راكع
ما إن عصيت والغواة تقودني أسبابها إلا بنية طائع
حتى إذا علقت حبائل شقوتي بردىً إلى حفر المهالك هائع
لم أدر أن لمثل جرمي غافراً فوقفت أنظر أي حتف مصارعي
رد الحياة علي بعد ذهابها ورع الإمام القادر المتواضع
ومنها:
كم من يد لم تحدثني بها نفسي إذا آلت إلي مطامعي
أسديتها عفواً إلي هنيئة وشكرت مصطنعاً لأكرم صانع
إن الذي قسم الخلافة حازها من صلب آدم في الإمام السابع
جمع القلوب عليك جامع أمرها وحوى رداؤك كل خير جامع
قال: فلما أنشدها قال المأمون: أقول كما يوسف لإخوته "لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله
لكم وهو أرحم الراحمين"
وروى أبو الفرج الأصفهاني بسنده عن محمد بن عمرو الأنباري قال: لما ظفر المأمون
بإبراهيم بن المهدي أحب أن يوبخه على رءوس الناس، فجيء بإبراهيم يحجل في قيوده،
فوقف على طرف الإيوان وقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال له
المأمون: لا سلم الله عليك ولا حفظك ولا كلأك ولا رعاك يا إبراهيم، فقال له: على
رسلك يا أمير المؤمنين، فلقد أصبحت ولي ثأري، والقدرة تذهب الحفيظة، ومن مد له
الأغترار في الأمل هجمت به الأناة على التلف، وقد أصبح ذنبي فوق كل ذي ذنب، كما أن
عفوك فوق كل ذي عفو. ومن رواية أخرى أنه قال: وقد أصبحت فوق كل ذي ذنب، كما

أصبح كل ذي عفو دونك، فإن عاقبت فبحقك وإن تعف فبفضلك، قال: فأطرق ملياً ثم
رفع رأسه فقال: إن هذين أشارا علي بقتلك، فالتفت فإذا العباس بن المأمون والمعتصم،
فقال: يا أمير المؤمنين أما حقيقة الرأي في معظم تدبير الخلافة والسياسة فقد أشارا عليك
به، وما غشاك إذ كان مني ما كان، ولكن الله عودك من العفو عادة جريت عليها، دافعاً ما
تخاف بما ترجو، فكفاك الله يا أمير المؤمنين، فتبسم المأمون ثم أقبل على ثمامة فقال: إن من
الكلام ما يفوق الدر ويغلب السحر، وإن كلام عمي منه، أطلقوا حديده وردوه إلي مكرماً،
فلما رد إليه قال: يا عم، صر إلى المنادمة وارجع إلى الأنس، فلن ترى مني أبداً إلا ما
تحب، فلما كان من الغد بعث إليه بدرج فيه هذه القصيدة التي تقدم ذكرها، لكن
اختصرها أبو الفرج فذكر بعضها، فلما قرأها المأمون بكى وقال علي به فخلع عليه، وأمر
له بخمسة آلاف دينار، ودعا بالفراش فقال له: إذا رأيت عمي مقبلاً فاطرح له متكأً، وكان
ينادمه لا ينكر منه شيئاً. قال أبو الفرج: وروى بعض هذا الخبر عن محمد بن الفضل
الهاشمي، فقال فيه: لما فرغ المأمون من خطابه دفعه إلى ابن أبي خالد الأحول، وقال: هذا
صديقك فخذه إليك، قال: وما تغني صداقتي عنه وأمير المؤمنين ساخط عليه، أما إني -
وإن كنت صديقاً له - لا أمتنع عن قول الحق فيه، قال له: قل فإنك غير متهم، فقال - وهو
يريد التسلق على العفو عنه: إن قتلته فقد قتلت الملوك قبلك أقل جرماً منه وإن عفوت عنه
عفوت عمن لم يعف قبلك عن مثله، فسكت المأمون ساعة ثم تمثل

قومي هم قتلوا أميم أخي فإذا رميت يصيبني سهمي
فلئن عفوت لأعفون جللا ولئن سطوت لأوهنن عظمي

خذه إليك يا أحمد مكرماً، فانصرف به ثم كتب إلى المأمون قصيدته المذكورة، فلما قرأها
رق له وأمر برده إلى منزله، ورد ما قبض من أملاكه وماله. وفي خبر عن أبي داود أن
المأمون تقدم إلى محمد بن يزداد - لما أطلق إبراهيم - أن يمنعه من داري الخاصة والعامة،
ووكل به رجلاً من قبله يثق به ليعرفه أخباره وما يتكلم به، فكتب إليه الموكل أن إبراهيم

- لما بلغه المنع من داري الخاصة والعامة - تمثل:
يا سرحة الماء قد سدت مواردها أما إليك طريق غير مسدود
لحائم حام حتى لا حيام به محلاً عن طريق الماء مردود
فلما قرأها المأمون بكى وأمر بإحضاره من وقته مكرماً، وأنزله في مرتبته، فلما دخل على
المأمون قبل البساط وقال:
البر بي منك وطا العذر عندك لي دون اعتذاري فلم تعذر ولم تلم
وقام علمك بي فاحتج عندك لي مقام شاهد عدل غير متهم
رددت مالي ولم تمنن علي به وقبل ردك مالي قد حقنت دمي
فبؤت منك وقد كافأتها بيد هي الحياتان من موت ومن عدم
تعفو بعدل وتسطو إن سطوت به فلا عدمناك من عارف ومنتقم
فقال: اجلس يا عم آمناً مطمئناً. فلن ترى أبداً مني ما تكرهه، إلا أن تحدث حدثاً أو
تتغير عن طاعة، وأرجو ألا يكون ذلك إن شاء الله تعالى. وروى الفضل بن مروان قال: لما
دخل إبراهيم بن المهدي على المأمون - لما ظفر به - كلمه بكلام كان سعيد بن العاص
كلم به معاوية بن أبي سفيان في سخطة سخطها عليه واستعطفه به، وكان المأمون يحفظ
الكلام فقال المأمون: هيهات يا إبراهيم، هذا كلام سبقك به فحل بني أمية وقارحهم سعيد
بن العاص وخطب به معاوية بن أبي سفيان، فقال له إبراهيم: يا أمير المؤمنين - وأنت أيضاً
إن عفوت فقد سبقك فحل بني حرب وقارحهم إلى العفو، فلا تكن حالي عندك في ذلك
أبعد من حال سعيد عند معاوية، فإنك أشرف منه وأنا أشرف من سعيد، وأنا أقرب
إليك من سعيد إلى معاوية، وإن أعظم الهجنة تسبق أمية هشاماً إلى مكرمة فقال له:
صدقت يا عم قد عفوت عنك.
بناء المأمون ببوران
ابنة الحسن بن سهل
في هذه السنة بنى المأمون بها في شهر رمضان، وكان المأمون قد سار من بغداد إلى فم
الصلح إلى معسكر الحسن، فنزله وزفت إليه بوران، فلما دخل إليها المأمون كان عندها
حمدونة بنت الرشيد وأم جعفر زبيدة والدة الأمين وجدتها - أم الفضل وأم الحسن ابني

سهل، فلما دخل نثرت عليه جدتها ألف لؤلؤة من أنفس ما يكون، فأمر المأمون بجمعه
وأعطاه لبوران، وقال: سلي حاجتك فأمسكت، فقالت جدتها: سلي سيدك فقد أمرك،
فسألته الرضا عن إبراهيم بن المهدي، فقال: قد فعلت، وسألته الإذن لأم جعفر في الحج
فأذن لها، وألبستها أم جعفر البدنة اللؤلؤ الأموية، وأوقد المأمون في تلك الليلة شمعة عنبر
فيها أربعون مناً، وأقام المأمون عند الحسن سبعة عشر يوماً، يعد له كل يوم ولجميع من معه
ما يحتاج إليه، وخلع الحسن على القواد على مراتبهم وحملهم ووصلهم، وكتب الحسن
أسماء ضياعه ونثرها. وحكى عبد الملك بن عبد الله بن عبدون الحضرمي الشبلي، في
كتابه المترجم بكمامة الزهر وصدفة الدرر، قال حكى إسحاق بن إبراهيم بن ميمون
الموصلي قال: قال لي المأمون يوماً: هذا يوم سرور، ثم قال للغلمان: خذوا علينا الباب
واحضروا بالشراب، فبقينا بقية يومنا في أنس وشرب، فلما كان الليل قال لي: يا إسحاق
إني أريد الصبوح، فكن بمكانك حتى أدخل إلى الحرم وأخرج إليك، فاستبطأت خروجه
فقلت: اشتغل وغلب عليه النبيذ ونسيني، وكانت عندي جارية بكر كنت اشتريتها
فتطلعت لها نفسي، فنهضت فقال لي العبد: قد انصرف عبدك بدابتك، فمشيت فلما
صرت ببعض الطريق أحسست بالبول، فعدلت عن الطريق وقضيت حاجتي، فلما أردت
أن أستجمر عدلت إلى حائط، وإذا بزنبيل كبير معلق، قد ألبس بالديباج وفيه أربعة أحبل
من الابريسم، فقلت: إن له لأمراً، ثم تجاسرت وجلست فيه فجذب، وإذا أربع جوار يقلن
بالسعة: أصديق أم جديد؟ فقلت جديد، فسارت إحداهن بين يدي حتى أدخلتني إلى
مجلس لم أر مثله، فجلست في أدنى مجالسه، وإذا بوصائف بأيديهن الشمع والمجامر يتبخر
فيها العود، وبينهن جارية كالبدر الطالع ذات دل وشكل، فنهضت لدخولها فقالت مرحباً
بالضيف، وسألتني عن دخولي، فقلت: عن غيرما قصد، قالت فما السبب؟ قلت انصرفت
من عند بعض أصحابي فلما رأيت الزنبيل حملني النبيذ على الدخول فيه، قالت: فما

صناعتك؟ قلت: بزاز، قالت: ومولدك؟ قلت: بغداد، قالت: من أي الناس؟ قلت من
أوسطهم، قالت: حياك الله، عل رويت من الأشعار شيئاً؟ قلت: شيء ضعيف، قالت:
فذاكرني، قلت: إن للداخل دهشة، ولكن ابدأيني فالشيء بالمذاكرة، قالت: هل تحفظ
قصيدة فلان التي يقول فيها كذا وكذا، فأنشدتني لجماعة من الشعراء القدماء والمحدثين، وأنا
مستمع أنظر من أي أحوالها أعجب: من حسنها أو من حسن إنشادها أو من حسن
أدبها أو ضبطها للغريب من النحو واللغة!! ثم قالت: قد ذهب عنك بعض الحصر، قلت:
إن شاء الله لقد كان ذلك، قالت: فأنشدني، فأنشدتها فجعلت تسألني عن أشياء تمر في
الشعر كالمختبرة، ثم قالت: والله ما قصرت ولا توهمت أن فيك هذا!! ولا رأيت في أبناء
التجار مثلك! فكيف معرفتك بالأخبار وأيام الناس؟! قلت: نظرت في شيء من ذلك،
فأمرت بإحضار الطعام فأكلنا، ثم أحضرت نبيذاً فشربت قدحاً، وقالت: هذا أوان
المذاكرة، فاندفعت وقلت: بلغني كذا وكذا، وكان رجل من قصته كذا وكذا، فسرت بذلك،
وقالت: ليس هذا من أمر التجار، وإنما هي من أحاديث الملوك، قلت: إنه كان لي جار
ينادم بعض الملوك فكنت أدعوه في بعض الأوقات إلى منزلي، فما تسمعين مني فمن عنده
أخذته، قالت: يمكن هذا!! ثم قالت: لو كان عندك شيء واحد لكنت كاملاً! فحرك
بعض الملاهي أو ترنم، قلت: لا أحسن من هذا شيئاً على أني مولع بسماعه، فقالت: يا
جارية - عودي، فضربت فأحسنت وغنت غناء بديعاً، ثم قالت: هذا الغناء لإسحاق،
فلم تزل على ذلك حتى إذا كان عند الفجر قالت: المجالس بالأمانات، ثم أخذت وأخرجت
إلى باب صغير، فانتهيت إلى داري فأرسل المأمون إلي فمشيت إليه، وبقيت عنده إلى وقت
البارحة ودخل إلى حرمه، فخرجت إلى ذلك الموضع ودخلت الزنبيل، فقالت: ضيفنا!!
قلت: منوا بالصفح، قالت: فعلنا ولا تعد، فلما كان عند الصباح فعلت فعلة البارحة،
وخرجت فأتيت المأمون، فقال: أين كنت!! فاعتذرت إليه، فلما كان الليل صنع صنعه

وصنعت كذلك، فلما دخلت في الزنبيل قالت: ضيفنا!! قلت: أي ها الله!!، قالت:
أجعلتها دار مقام!! قلت: الضيافة ثلاث فإن رجعت فأنت من دمي في حل، فلما كان
عند الوقت أفكرت في المأمون، وعلمت أنه لا يخلصني منه إلا أن أخبره، وعلمت من شغفه
بالنساء أنه يطالبني بالمشي إليها، فقلت: جلعت فداك - أتأذنين في ذكر شيء حضر؟
قالت: قل، قلت: أراك ممن يحب الغناء ويشغف بالأدب، ولي ابن عم هو من أهل الشعر
والأدب والغناء، هو أعرف خلق الله بغناء إسحاق، الذي سمعتك تثنين عليه، فقالت:
طفيلي ويقترح، قلت: إنما ذكرت ذلك لك وأنت المحكمة، قالت: فإذا كان كما ذكرت فما
نكره أن نعرفه، قلت: فالليلة، قالت: نعم، ثم انصرفت على عادتي فلما وصلت داري أتاني
رسول المأمون، فمشيت إليه وهو حنق علي، فقال: يا إسحاق آمرك بشيء فلا تقف
عنده، وكان لا يدخل إلى حرمه حتى يأمرني بانتظاره، فأتذكر مجالسة الجارية فأنسى
عقوبته، فقلت: لي قصة أحتاج فيها إلى خلوة، فأومأ بيده إلى من كان واقفاً فتنحوا،
فذكرت له القصة فلما فرغت من كلامي قال: كيف لي بمشاهدة ذلك الموضع؟ قلت: قد
علمت أنك تطالبني بهذا، وقد قلت لها لي ابن عم من صنعته ومن حديثه، ثم جلسنا
على عادتنا في الأيام الخوالي - وهو يسألني عن حديثها، فلما جاء الليل صرنا إلى ذلك
الموضع، فألفينا فيه زنبيلين فدخل في واحد ودخلت في الآخر، فلما صرنا في البيت
جلست في صدره، وجلس المأمون دوني، فلما أتت قالت: حيا الله ضيفينا بالسلام، ثم
رفعت مجلسه وقالت: هذا ضيف وأنت من أهل البيت، ولكل جديد لذة، فجلس المأمون
في صدر البيت وأقبلت عليه تحدثه، وهو يأخذ معها في كل فن فيسكتها، فالتفتت إلي
وقالت: وفيت بوعدك، ثم أحضرت النبيذ وجعلنا نشرب وهي مقبلة عليه، ثم قالت:
وابن عمك هذا من أولاد التجار؟! إن حديثكما وأدبكما لمن أدب الملوك، وليس للتجار
هذه المنزلة في الأحاديث والآداب، ثم قالت لي: موعدك؟ قلت: إنه ليجيب ولكن حتى

يسمع شيئاً، فأخذت العود وغنت فشربنا عليه رطلاً ثم ثانياً وثالثاً، فلما شرب المأمون
ثلاثة أرطال ارتاح وطرب، وكان الصوت الثالث ما يقترحه علي أبداً، فلما سمعه نظر إلي
نظر الأسد إلى فريسته، وقال لي: يا إسحاق غن لي هذا الصوت، فلما رأتني وقفت بين يديه
علمت أنه المأمون وأنني إسحاق، فنهضت فقال لها: ها هنا وأومأ إلى كلة مضروبة
فدخلتها، فلما فرغت من ذلك الصوت قال: يا إسحاق: انظر من صاحب هذه الدار؟
فسألت عجوز فقالت الحسن بن سهل وهذه ابنته بوران، فرجعت فأعلمته فقال: علي به
الساعة فأحضرته فوقف بين يديه فقال: لك بنت؟ قال نعم يا أمير المؤمنين، قال: زوجنيها،
قال هي أمتك وأمرها إليك، قال: فإني أتزوجها على ثلاثين ألفاً نحملها إليك صبيحة غد،
فإذا وصل إليك المال فاحملها إلينا، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، ثم نهض وفتح الباب
وخرجنا، فلما صرنا إلى الدار قال لي: يا إسحاق لا يقفن أحد على ما وقفت عليه فإن
المجالس بالأمانات، فقلت: يا أمير المؤمنين - ومثلي يحتاج إلى وصية! قال: فلما أصبحنا
أمر بحمل المال إليه، ونقلت إليه من يومها، قال إسحاق فما فهت بالخبر إلا بعد موت
المأمون.
قال ابن عبدون: وذكر أنه لما أراد أن يعرس بها أمر بإخراج الفساطيط والقباب، وأن
تضرب على ضفة دجلة في موضع منخفض، وخرج وجوه الناس لحضور ذلك وعامة الناس
للتنزه، وكانت النفقة من عند الحسن بن سهل على كل من حضر. قال: وكان عدد
الملاحين منهم خاصة أرباب الزلاليات والزواريق وما شاكلها - الذين يحملون الناس في
مراكبهم إلى موضع العرس - عشرة آلاف، ويقال إنه لما بسطت القبة التي دخل فيها المأمون
على بوران خير الحسن الخاصة - ممن حضر ذلك العرس - بين مائة دينار وحلة أو قبضة
من أرض تلك القبة، فيقال إن القابض بكفه من أرض القبة كان أرجح ممن أخذ مائة دينار
وحلة، فإنه ربما كان يخرج من قبضته حجر ياقوت أو حجر زمرد أو درة نفيسة تساوي
أضعاف ذلك القدر.

فتح الإسكندرية ومصر

وفي سنة عشر ومائتين سار عبد الله بن طاهر إلى مصر وافتتحها، واستأمن له عبيد الله بن السري، وكان سبب مسيره أن عبيد الله بن السري كان قد تغلب على مصر وخلع الطاعة، وخرج جمع من الأندلس فغلبوا على الإسكندرية، واشتغل عبد الله بن طاهر عنهم بحرب نصر بن شبث، فلما فرغ منه سار نحو مصر، فلما قرب منها قدم قائداً من قواده إليها لينظر موضعاً يعسكر فيه، وكان ابن السري قد خندق على مصر، فاتصل الخبر به فخرج إلى القائد وقاتله قتالاً شديداً، والقائد في قلة فسير بريداً إلى عبد الله بن طاهر يخبره، فحمل عبد الله الرجال على البغال وجنبوا الخيل، وأسرعوا السير فلحقوا القائد وهو يقاتل، فلما رأى ابن السري ذلك لم يثبت بين أيديهم، وانهزم وتساقط أكثر أصحابه في الخندق، فهلك منهم بالسقوط أكثر ممن قتل بالسيف، ودخل ابن السري مصر وأغلق الباب، وحاصره عبد الله فأرسل إليه في الليل ألف وصيف ووصيفة مع كل واحد منهم ألف دينار، فردهم ابن طاهر وكتب إليه: لو قبلت هديتك نهاراً لقبلتها ليلاً. "بل أنتم بهديتكم تفرحون. ارجع إليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون". فعندها طلب ابن السري الأمان فأمنه. ثم بعث عبد الله بن طاهر إلى الإسكندرية يؤذن الذين تغلبوا عليها بالحرب أو الدخول في الطاعة. وكانوا قد أقبلوا من الأندلس في مراكب، والناس في تلك الفتن التي ذكرناها، فأرسوا بالإسكندرية وتغلبوا عليها، وكان رئيسهم يدعى أبا حفص. فلما أتتهم رسالته سألوا الأمان، على أن يرحلوا عنها إلى بعض أطراف الروم التي ليست من بلاد الإسلام، فأمنهم على ذلك فرحلوا ونزلوا بجزيرة اقريطيش. واستوطنوها وأعقبوا وتناسلوا.

قال: وبعث ابن طاهر عبيد الله بن السري إلى بغداد، فقدمها في سنة إحدى عشرة ومائتين، وأنزل مدينة المنصور، وأقام ابن طاهر بمصر والياً عليها وعلى الشام وعلى الجزيرة، إلى أن نقل إلى خراسان على ما نذكره إن شاء الله تعالى.

وروى أبو الفرج الأصفهاني أن

المأمون أعطى عبد الله بن طاهر مال لسنة خراجها وضياعها، فوهبه كله وفرقه في
الناس. ورجع صفراً من ذلك فغاظ المأمون فعله، فدخل إليه يوم مقدمه وأنشد أبياتاً قالها
في هذا المعنى يقول منها:

إليك أقبلت من أرض أقمت بها حولين بعدك في شوق وفي ألم
أقفو مساعيك اللاتي خصصت بها حذو الشراك على مثل من الأدم
وكان فضلي فيها أنني تبع لما سننت من الإنعام والنعم
ولو وكلت إلى نفسي غنيت بها لكن بدأت فلم أعجز ولم ألم

فضحك المأمون وقال: والله ما نفست عليك بمكرمة نلتها، ولا أحدوثة حسن عنك
ذكرها، ولكن هذا شيء إذا عودته نفسك افتقرت، ولم تقدر على لم شعثك وإصلاح
حالك، وزال ما كان في نفسه. قال: وكان المال الذي فرقه عبد الله بن طاهر - وهو على
المنبر - ثلاثة آلاف ألف دينار، أجار بها قبل نزوله عن المنبر، قال معلى الطائي -وقد بلغه
ما صنع عبد الله بن طاهر - فقال: أصلح الله الأمير، وأنا معلى الطائي وقد بلغ مني ما
كان منك إلي من جفاء وغلظ، فلا يغلظن على قلبك، ولا يستخفنك الذي بلغك، فأنا
الذي أقول:

لو يصبح النيل يجري ماؤه ذهباً لما أشرت إلى خزن بمثقال
تغلى بما فيه رق الحمد تملكه وليس شيء أعاض الحمد بالغالي

في أبيات أخر، قال: فضحك عبد الله وسر بما كان منه، وقال: يا فلان أقرضني عشرة
آلاف دينار - فما أمسيت أملكها - فأقرضه، فدفعها إليه.

خلع أهل قم المأمون
وما كان من أمرهم

في هذه السنة خلع أهل قم المأمون ومنعوا الخراج، وكان سبب ذلك أن المأمون لما سار
من خراسان إلى العراق أقام بالري عدة أيام، وأسقط عنهم شيئاً من خراجهم، فطمع أهل
قم أن يضع عنهم كذلك، فكتبوا إليه يسألونه الحطيطة، وكان خراجهم ألفي ألف درهم،
فلم يجبهم المأمون إلى ما سألوا فامتنعوا من أدائه، فوجه المأمون إليهم علي بن هشام
وعجيف بن عنبسة فحاربوهم فظفروا بهم، وقتل يحيى بن عمران وهدم سور المدينة

وجباها على سبعة آلاف ألف درهم، وكانوا يتظلمون من ألفي ألف درهم.
وحج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد أمير مكة.
ودخلت سنة إحدى عشرة ومائتين.
في هذه السنة قتل السيد بن أنس الأزدي أمير الموصل، وسبب قتله أن زريق بن علي بن
صدقة الأزدي الموصلي كان قد تغلب على الجبال ما بين الموصل وأذربيجان، وجرى بينه
وبين الرشيد حروب كثيرة، فلما كان في هذه السنة جمع زريق جمعاً كثيراً، قيل كانوا أربعين
ألفاً، وبعثهم إلى الموصل لحرب السيد فخرج إليهم في أربعة آلاف، فالتقوا واقتتلوا فحمل
السيد بنفسه وكانت عادته، وحمل عليه رجل من أصحاب زريق، فقتل كل منهما صاحبه،
ولما بلغ المأمون قتله غضب لذلك، وولى محمد بن حميد الطوسي حرب زريق وبابك
الخرمي، واستعمله على الموصل. وفيها قدم عبد الله بن طاهر بغداد، فتلقاه العباس بن
المأمون والمعتصم وسائر الناس. وفيها أمر المأمون منادياً برئت الذمة ممن ذكر معاوية بخير
أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وحج بالناس صالح بن العباس وهو أمير مكة.
ودخلت سنة اثنتي عشرة ومائتين.
استيلاء الموصل
قد قدمنا أن المأمون استعمله على حرب بابك الخرمي، وأمره أن يجعل طريقه على
الموصل ليصلح أمرها، ويحارب زريق بن علي، فسار إلى الموصل ومعه جيشه، وجمع فيها
الرجال من اليمن وربيعة وسار نحوه، فالتقوا على الزاب فدعاه محمد إلى الطاعة فامتنع،
فناجزه واقتتلوا فانهزم زريق وأصحابه، ثم أرسل بطلب الأمان فأمنه محمد، فنزل إليه
وسيره إلى المأمون، وكتب المأمون إلى محمد يأمره بأخذ ما لزريق من قرى ورستاق ومال
وغيره. يأخذ ذلك لنفسه، فجمع محمد أولاد زريق وإخوته وأهله وأخبرهم بما أمر به
المأمون، فأطاعوه لذلك، ثم قال لهم: إن أمير المؤمنين قد أمر لي به، وقد قبلته ورددته
عليكم فشكروه، ثم سار إلى أذربيجان واستخلف على الموصل محمد بن السيد، وقصد
المخالفين المتغلبين على أذربيجان، فأخذهم وسيرهم إلى المأمون، وسار لمحاربة بابك.

وفيها أظهر المأمون القول بخلق القرآن، وتفضيل علي بن أبي طالب على جميع الصحابة
رضي الله عنهم، وكان ذلك في شهر ربيع الأول.
وحج بالناس عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد.
ودخلت سنة ثلاث عشرة ومائتين.
في هذه السنة ولى المأمون ابنه العباس الجزيرة والثغور والعواصم، وولى أخاه أبا إسحاق
المعتصم الشام ومصر، وأمر لكل واحد منهما ولعبد الله بن طاهر بخمسمائة ألف درهم.
وفيها خلع عبد السلام وابن جليس المأمون بمصر في القيسية واليمانية، وظهرا بها ووثبا
بعامل المعتصم وهو عمير بن الوليد الباذغيسي، فقتلاه في شهر ربيع الأول سنة أربع عشرة،
فسار المعتصم إلى مصر وقاتلهما فقتلهما وافتتح مصر واستقامت أمورها، واستعمل عليها
عماله.
ودخلت سنة أربع عشرة ومائتين.
في هذه السنة قتل محمد الطوسي في حرب بابك، فلما بلغ خبر قتله المأمون استعمل عبد
الله بن طاهر على قتاله.
ذكر استعمال عبد الله بن طاهر على خراسان
في هذه السنة استعمل المأمون عبد الله بن طاهر على خراسان، فسار إليها وكان أخوه
طلحة مات بخراسان في سنة ثلاث عشرة، فولي خراسان علي بن طاهر خليفة لأخيه
عبد الله، وكان عبد الله بالدينور فجهز العساكر إلى بابك، فأوقع الخوارج بخراسان بأهل
قرية الحمراء من نيسابور، فأكثروا فيهم القتل فاتصل ذلك بالمأمون، فأمر عبد الله بالمسير
إليها،
وحج بالناس في هذه السنة إسحاق بن العباس بن محمد.
ودخلت سنة خمس عشرة ومائتين.
غزاة المأمون إلى الروم
في هذه السنة سار المأمون من بغداد لغزو الروم في المحرم، واستخلف على بغداد إسحاق
بن إبراهيم بن مصعب، وولاه مع ذلك السواد وحلوان وكور دجلة، وسار المأمون على
طريق الموصل إلى منبج، ثم إلى دابق ثم إلى أنطاكية ثم إلى المصيصة وطرسوس، ودخل
منها إلى بلاد الروم في جمادى الأولى، ودخل ابنه العباس من ملطية، فأقام المأمون على

حصن قرة حتى افتتحه عنوة وهدمه لأربع بقين من جمادى الأولى، وقيل إنه فتحه بالأمان،
وفتح قبله حصن ماجدة بالأمان، ووجه إشناس إلى حصن سندس فأتاه برئيسه، ووجه
عجيفاً وجعفراً الخياط إلى حصن سنان فسمع وأطاع، وتوجه المأمون بعد خروجه من
بلاد الروم إلى دمشق.
وحج بالناس في هذه السنة عبد الله بن عبيد الله بن العباس بن محمد.
ودخلت سنة ست عشرة ومائتين.
فتح هرقلة
في هذه السنة عاد المأمون إلى بلاد الروم، وسبب ذلك أنه بلغه أن ملك الروم قتل ألفاً
وستمائة من أهل طرسوس والمصيصة، فسار حتى دخل أرض الروم في جمادى الأولى، إلى
منتصف شعبان، وقيل كان سبب دخوله إليها أن ملك الروم كتب إليه بدأ بنفسه، فسار
إليه ولم يقرأ كتابه، وسار إلى هرقلة فخرج أهلها على صلح، ووجه أخاه أبا إسحاق
المعتصم فافتتح ثلاثين حصناً ومطمورة ووجه يحيى بن أكثم من طوانة فأغار وقتل وسبى
وحرق ورجع، ثم عاد المأمون إلى دمشق.
وفيها ظهر بمصر عبدوس الفهري، ووثب على عمال المعتصم فقتل بعضهم في شعبان،
فسار المأمون من دمشق إلى مصر في منتصف ذى الحجة، فوصل إليها في المحرم سنة سبع
عشرة فأتى بعبدوس الفهري فضرب عنقه، وعاد إلى الشام، وفيها قدم الأفشين من برقة إلى
مصر، فأقام بها ثم كان من أمره وتمكنه ما نذكره، وفيها كتب المأمون إلى إسحاق بن
إبراهيم يأمره بأخذ الجند بالتكبير إذا صلوا، فبدلوا بذلك في منتصف شهر رمضان،
فقاموا قيامه وكبروا ثلاثاً، ثم فعلوا ذلك في الصلوات المكتوبة، وفيها ماتت أم جعفر زبيدة
ابنة جعفر بن المنصور أم الأمين.
وحج بالناس سليمان بن عبد الله بن سليمان وقيل عبد الله بن عبيد الله.
ودخلت سنة سبع عشرة ومائتين.
وفي هذه السنة ظفر الأفشين بالفرما من أرض مصر، ونزل أهلها بأمان على حكم المأمون،
وفيها قتل المأمون علي بن هشام، وكان قد استعمله على أذربيجان والجبال وقم وأصفهان

في سنة أربع عشرة، فبلغ المأمون أنه ظلم وأخذ الأموال وقتل الرجال، فوجه إليه المأمون
عجيف بن عنبسة في سنة ست عشرة، فثار به علي بن هشام وأراد قتله واللحاق ببابك،
فظفر به عجيف وقدم به على المأمون فقتله، وقتل أخاه حسيناً في جمادى الأولى، وطيف
برأس علي في العراق وخراسان والشام ومصر، ثم ألقي في البحر.
وفيها عاد المأمون إلى بلاد الروم، فأناخ عجيف على لؤلؤة مائة يوم، ثم رحل عنها فخدع
أهلها عجيفاً حتى أسروه، وبقي عندهم ثمانية أيام ثم أخرجوه، وجاء توفيل - ملك الروم
- فأحاط بعجيف فسير المأمون إليه الجنود فارتحل ملك الروم قبل موافاتهم. وخرج أهل
لؤلؤة إلى عجيف بأمان.
وحج بالناس في هذه السنة سليمان بن عبد الله بن سليمان بن علي.
ودخلت سنة ثماني عشرة ومائتين.
المحنة بالقرآن
في هذه السنة كتب المأمون إلى إسحاق بن إبراهيم ببغداد في امتحان القضاة والفقهاء
والمحدثين بالقرآن، فمن أقر أنه مخلوق محدث خلى سبيله، ومن أبى أعلمه به ليأمر فيه برأيه،
وطول كتابه بإقامة الدليل على خلق القرآن وكان الكتاب في شهر ربيع الأول، وأمره بإنفاذ
سبعة نفر منهم محمد بن سعد كاتب الواقدي، وأبو مسلم مستملي يزيد بن هارون، ويحيى
بن معين وأبو خيثمة زهير بن حرب، وإسماعيل بن أبي مسعود، وأحمد الدورقي.
فأشخصوا إليه فامتحنهم وسألهم عن القرآن. فأجابوا جميعاً أن القرآن مخلوق فأعادهم إلى
بغداد. وأحضرهم إسحاق بن إبراهيم داره وشهر قولهم بحضرة المشايخ من أهل
الحديث. فأقروا بذلك فخلى سبيلهم. وورد كتاب المأمون بعد ذلك إلى إسحاق بن
إبراهيم بامتحان القضاة والفقهاء. فأحضر أبا حسان الزيادي، وبشر بن الوليد الكندي،
وعلي بن أبي مقاتل، والفضل بن غانم، والذيال بن الهيثم وسجادة، والقواريري، وأحمد بن
حنبل، وقتيبة، وسعدويه الواسطي، وعلي بن الجعد، وإسحاق بن أبي إسرائيل، وابن

الهرش، وابن علية الأكبر ويحيى بن عبد الرحمن العمري، وشيخاً آخر من ولد عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه - كان قاضي الرقة، وأبا نصر التمار، وأبا معمر القطيعي،
ومحمد بن حاتم بن ميمون، ومحمد بن نوح المضروب، وابن الفرخان، وجماعة منهم النضر
بن شميل، وابن علي بن عاصم، وأبو العوام البزاز، وابن شجاع، وعبد الرحمن بن إسحاق،
فأدخلوه جميعاً على إسحاق فقرأ عليهم كتاب المأمون مرتين حتى فهموه، ثم قال لبشر بن
الوليد: ما تقول في القرآن؟ فقال: قد عرف أمير المؤمنين مقالتي غير مرة، قال: قد تجدد من
كتاب أمير المؤمنين ما ترى، قال: أقول القرآن كلام الله، قال: لم أسألك عن هذا أمخلوق هو؟
قال: الله خالق كل شيء، قال: والقرآن شيء؟ قال: نعم، قال: فمخلوق هو؟ قال: ليس
بخالق، قال: ليس عن هذا سألتك - أمخلوق هو؟ قال: ما أحسن غير ما قلت لك، وقد
استعهدت أمير المؤمنين ألا أتكلم فيه، وليس عندي غير ما قلت لك، فأخذ إسحاق رقعة
فقرأها عليه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله أحد فرد، لم يكن قبله شيء ولا يشبهه شيء
من خلقه، في معنى من المعاني ووجه من الوجوه، قال للكاتب: اكتب ما قال. ثم قال لعلي
بن أبي مقاتل: ما تقول؟ قال: قد سمعت كلامي في هذا لأمير المؤمنين غير مرة، وما عندي
غيره، فامتحنه بالرقعة فأقر بما فيها، ثم قال له: القرآن مخلوق؟ قال: القرآن كلام الله، قال: لم
أسألك عن هذا، قال: القرآن كلام الله، فإن أمرنا أمير المؤمنين بشيء سمعناه وأطعنا، فقال
للكاتب اكتب مقالته، ثم قال للذيال نحواً من مقالته لعلي بن أبي مقاتل، فقال مثل ذلك، ثم
قال لأبي حسان الزيادي: ما عندك؟ قال: سل عما شئت، فقرأ عليه الرقعة فأقر بما فيها،
قال: ومن لم يقل هذا القول فهو كافر، فقال له: القرآن مخلوق؟ قال: القرآن كلام الله، والله
خالق كل شيء، وأمير المؤمنين إمامنا، وبسببه سمعنا عامة العلم، وقد سمع ما لم نسمع،
وعلم ما لم نعلم، وقلده الله أمرنا فصار يقيم حجتنا وصلواتنا، ونؤدي إليه زكاة أموالنا،
ونجاهد معه، ونرى إمامته، فإن أمرنا ائتمرنا وإن نهانا انتهينا، قال: والقرآن مخلوق؟ فأعاد

مقالته، قال إسحاق فإن هذا مقالة أمير المؤمنين، فقال: قد تكون مقالته ولا يأمر بها الناس،
وإن أخبرتني أن أمير المؤمنين أمرك أن أبلغك شيئاً، فقال أبو حسان: وما عندي إلا السمع
والطاعة، فأمرني أأتمر، فقال: ما أمرني أن آمركم، وإنما أمرني أن أمتحنكم، ثم قال لأحمد
بن حنبل: ما تقول في القرآن؟ قال: كلام الله، قال: أمخلوق هو؟ قال: هو كلام الله ما أزيد
عليها، فامتحنه بالرقعة، فلما أتى إلى "ليس كمثله شيء وهو السميع البصير" وأمسك عن
لا يشبهه شيء من خلقه في معنى من المعاني ولا وجه من الوجوه فاعترض عليه ابن
البكاء الأصغر فقال: أصلحك الله - إنه يقول سميع من أذن، بصير من عين، فقال إسحاق
لأحمد: ما معنى قولك سميع بصير؟ قال: كما وصف نفسه، قال: فما معناه؟ قال: لا
أدري - كما هو وصف نفسه، ثم دعاهم رجلاً رجلاً - كلهم يقول القرآن كلام الله إلا
قتيبة، وعبيد الله بن محمد بن الحسن، وابن عليه الأكبر، وابن البكاء، وعبد المنعم بن
إدريس بن بنت وهب بن منبه، والمظفر بن مرجا، ورجلاً من ولد عمر بن الخطاب قاضي
الرقة، وابن الأحمر، فأما ابن البكاء فإنه قال: القرآن مجعول لقوله عز وجل " إنا جعلناه قرآناً
عربياً"، والقرآن محدث لقوله عز وجل "ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث"، قال إسحاق:
فالمجعول مخلوق، قال: نعم، قال: والقرآن مخلوق قال: لا أقول مخلوق ولكنه مجعول، فكتب
مقالته ومقالات القوم ووجهها إلى المأمون، فأجاب المأمون يذمهم ويذكر كلاً منهم ويعيبه ويقع
فيه بشيء، وأمره أن يحضر بشر بن الوليد وإبراهيم بن المهدي ويمتحنهما، فإن أجابا وإلا
ضرب أعناقهما، وأما من سواهما فمن أجاب إلى القول بخلق القرآن، وإلا حملهم موثقين
بالحديد إلى عسكره مع نفر يحفظونهم، فأحضرهم إسحاق وأعلمهم بما أمر المأمون فأجاب
القوم كلهم إلا أربعة نفر: منهم أحمد بن حنبل، وسجادة، والقواريري، ومحمد بن نوح
المضروب، فأمر بهم إسحاق فشدوا في الحديد، فلما كان الغد دعاهم في الحديد وأعاد
عليهم المحنة، فأجاب سجادة والقواريري، وأصر أحمد بن حنبل ومحمد بن نوح على

قولهما، فشدوا في الحديد ووجهما إلى طرسوس، وكتب إلى المأمون بتأويل القوم فيما
أجابوه، فأجابه المأمون أنه بلغني عن بشر بن الوليد أنه تناول الآية التي أنزلها الله عز وجل
في عمار بن ياسر "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" فقد أخطأ التأويل، إنما عنى الله تعالى
بهذه الآية من كان معتقداً للإيمان مظهراً للشرك، وأما من كان معتقداً للشرك مظهراً للإيمان
فليس هذا له، فأشخصهم جميعهم إلى طرسوس ليقيموا بها إلى أن يخرج أمير المؤمنين من
بلاد الروم، فأحضرهم إسحاق وسيرهم جميعاً إلى العسكر وهم: أبو حسان الزيادي،
وبشر بن الوليد، والفضل بن غانم، وعلي بن أبي مقاتل، والذيال بن الهيثم، ويحيى بن عبد
الرحمن العمري، وعلي بن الجعد، وأبو العوام، وسجادة، والقواريري، وابن الحسن بن علي
بن عاصم، وإسحاق بن أبي إسرائيل، والنضر بن شميل، وأبو نصر التمار، وسعدويه
الواسطي، ومحمد بن حاتم بن ميمون، وأبو معمر بن الهراش، وابن الفرخان، وأحمد بن
شجاع، وأبو هارون بن البكاء، فلما صاروا إلى الرقة بلغهم موت المأمون فرجعوا إلى
بغداد.

وفاة المأمون

كانت وفاته بالبذندون من أرض الروم لثمان خلون من شهر رجب، وقيل لاثنتي عشرة
بقيت منه، سنة ثماني عشرة ومائتين، وكان ابتداء مرضه لثلاث عشرة خلت من جمادى
الآخرة منها، وكان سبب مرضه ما ذكره سعيد بن العلاف القاريء، قال: دعاني المأمون
يوماً فوجدته جالساً على شاطيء البذندون، والمعتصم عن يمينه، وقد دليا أرجلهما في
الماء، فأمرني أن أضع رجلي في الماء، وقال: ذقه - هل رأيت أعذب منه! أو أصفى أو
أشد برداً؟ ففعلت وقلت ما رأيت قط مثله، فقال: أي شيء أن يؤكل ويشرب عليه هذا
الماء؟ فقلت: أمير المؤمنين أعلم، فقال: الرطب الآزاذ، فبينما هو يقول ذلك إذ سمع وقع
لجم البريد، فالتفت فإذا بغال البريد عليها الحقائب فيها الألطاف، فقال لخادم: انظر إن كان
في هذه الألطاف رطب آزاذ فأت به؟ فمضى وعاد ومعه سلتان فيهما منه، كأنما جني

تلك الساعة، فأظهر شكر الله تعالى وتعجبنا جميعاً، وأكلنا وشربنا من ذلك الماء، فما قام
منا أحد إلا وهو محموم، ودامت العلة بالمأمون حتى مات، ولما اشتدت عليه قال لأبي
إسحاق: يا أبا إسحاق أدن مني واتعظ بما ترى، وخذ بسيرة أخيك في القرآن، واعمل في
الخلافة - إذا طوقكها الله - عمل المريد لله، الخائف من عذابه وعقابه، ولا تغتر بالله
ومهلته، ولا تغفل أمر الرعية الرعية الرعية - العوام العوام فإن الملك بهم وبتعهدك لهم، الله
الله فيهم وفي غيرهم من المسلمين، ولا ينتهين إليك أمر فيه صلاح للمسلمين ومنفعة إلا
قدمته وآثرته على غيره من هواك، وخذ من أقويائهم لضعفائهم، ولا تحمل عليهم في شيء،
وانصف بعضهم من بعض بالحق بينهم، وعجل الرحلة عني إلى دار ملكك بالعراق، وانظر
هؤلاء القوم الذين أنت بساحتهم فلا تغفل عنهم في كل وقت، والخرمية فاغزهم ذا حزامة
وصرامة وجلد، واكنفه بالأموال والسلاح والجنود، فإن طالت مدتهم فتجرد لهم فيمن معك
من أنصارك وأوليائك، واعمل في ذلك عملاً مقدم النية فيه راجياً ثواب الله عليه، ثم دعاه
بعد ساعة حين اشتد وجعه وأحس بمجيء أمر الله، فقال: يا أبا إسحاق عليك عهد الله
وميثاقه وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم لتقومن بحق الله في عباده، ولتؤثرن طاعة الله
على معصيته، إذ أنا نقلتها من غيرك إليك، قال: اللهم نعم، قال: هؤلاء بنو عمك ولد أمير
المؤمنين علي رضي الله عنه فأحسن صحبتهم وتجاوز عن مسيئهم، واقبل من محسنهم،
ولا تغفل صلاتهم في كل سنة عند محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى، اتقوا الله
ربكم حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، واتقوا الله واعملوا له، اتقوا الله في أموركم
كلها، أستودعكم الله ونفسي وأستغفر الله بما سلف مني إنه كان غفاراً، فإنه ليعلم كيف
ندمي على ذنوبي فعليه توكلت من عظيمها وإليه أنيب، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم،
حسبي الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد نبي الهدى والرحمة.
قال: ولما اشتد مرضه وحضره الموت كان عنده ابن ماسويه، فجاء من يلقنه فعرض عليه

الشهادة، فقال الطبيب: دعه فإنه لا يفرق في هذه الحال بين ربه ومماني، ففتح المأمون عينيه
وأراد أن يبطش به فعجز، وأراد الكلام فعجز عنه، ثم قال: يا من لا يموت ارحم من يموت،
ومات من ساعته. ولما توفي حمله ابنه العباس وأخوه المعتصم إلى طرسوس، فدفناه بها
بدار خاقان خادم الرشيد، وصلى عليه المعتصم ووكلوا به حرساً من أبناء طرسوس
وغيرهم - مائة رجل، وأجرى لكل منهم تسعين درهماً. وكان مولده للنصف من شهر ربيع
الأول سنة سبعين ومائة، ومدة خلافته عشرون سنة وخمسة أشهر وثلاثة وعشرون يوماً،
سوى تلك المدة التي كان فيها الاختلاف بينه وبين أخيه الأمين محصور.

أخباره وسيرته

كان المأمون ربعة أبيض طويل اللحية دقيقها قد وخطه الشيب، وقيل كان أسمر تعلوه
صفرة أجنى أعين ضيق الجبهة بخده خال أسود، وهو أول من اتخذ الأتراك للخدمة وتغالى
في أثمانهم، فكان يشتري الواحد منهم بمائة ألف ومائتي ألف درهم، وكان يحب سماع
أخبار الناس، حتى جعل برسم الأخبار ببغداد ألف عجوز وسبعمائة عجوز، وكان كريماً
وقع في يوم واحد بثلاثمائة ألف دينار، وكان يقول: لو علم الناس ما عندي من حلاوة العفو
لما تقربوا إلي إلا بالذنوب. وقال العتبي صاحب إسحاق بن إبراهيم كنت مع المأمون
بدمشق، وكان المأمون قد قل عنده المال حتى ضاق وشكى ذلك إلى المعتصم، فقال له: يا
أمير المؤمنين، كأنك بالمال وقد وافاك بعد جمعة، وكان قد حمل إليه من خراج ما يتولاه
ثلاثون ألف ألف ألف درهم، فلما ورد عليه المال قال ليحيى بن أكثم: اخرج بنا ننظر إلى
هذا المال، فخرجا ينظرانه وكان قد هيىء بأحسن هيئة وحليت أباعره، فنظر المأمون إليه
واستكثره واستبشر به الناس، فقال المأمون: يا أبا محمد - ننصرف بالمال ويرجع أصحابنا
خائبين!! إن هذا للؤم، ودعا محمد بن يزداد فقال له: وقع لآل فلان بألف ألف ولآل فلان
بمثلها ولآل فلان بمثلها، فما زال كذلك حتى فرق أربعة وعشرين ألف ألف ألف - ورجله

في الركاب، ثم قال: ادفع الباقي إلى المعلى يعطيه جندنا، قال: فقمت نصب عينيه فلما رآني وقع لي بخمسين ألفاً فقبضتها.
وكان أمر المأمون نافذاً من أفريقية المغرب إلى أقصى خراسان وما وراء النهر وولاية السند، وقدم ملك التبت ومعه صنم من ذهب على سرير من ذهب مرصع بالجوهر فأسلم الملك، وأخذ المأمون الصنم وأرسله إلى الكعبة وكتب إليه ملك الهند مع هدية نفيسة أهداها إليه، من دهمى - ملك الهند وعظيم أركان المشرق، وصاحب بيت الذهب وأبواب الياقوت وفرش الدر - الذي قصره مبني من العود الذي يختم عليه، فيقبل الصورة قبول الشمع، والذي تؤخذ رائحة قصره من عشرة فراسخ - والذي يسجد أمام البد، الذي وزنه ألف ألف مثقال من ذهب، عليه مائة ألف حجر من الياقوت الأحمر والدر الأبيض - الذي كان يركب في ألف مركب وألف راية مكللة بالدر، تحت كل راية ألف فارس معلمين بالذهب والحرير - والذي في مربطه ألف فيل، حزائمها أعنة الذهب - والذي يأكل في صحاف الذهب على موائد الدر، والذي في خزانته ألف تاج وألف حلة جوهر لألف ملك من آبائه، والذي يستحيي من الله أن يراه خائناً في رعيته، إذ خصه بالأمانة عليهم والرياسة فيهم - إلى عبد الله ذي الشرف والرياسة على أهل مملكته، في كلام طويل في آخره - وقد افتتحنا إهدائك بأن وجهنا إليك كتاباً، ترجمته صفوة الأذهان، وكانت الهدية جم ياقوت أحمر، فتحه شبر في غلظ الأصبع مملوءًا درراً، وزن كل درة مثقال - والعدد مائة، وفراشاً من جلد حية بوادي الدهراج تبلغ الفيل، ووشي جلدها دارات سود كالدراهم، في أوساطها نقط بيض، لا يتخوف من جلس عليه مرض السل، وإن كان به سل وجلس عليه سبعة أيام بريء، وثلاث مصليات من جلد السمندل فراوزها در، ومائة مثقال من العود الهندي يختم عليه فيقبل الصورة، وثلاثة آلاف منّ من الكافور المحبب، كل حبة أكبر من اللوزة، وجارية طولها سبعة أذرع تسحب شعرها، طول كل شفر من أشفار عينيها أصبع،

تبلغ إذا أطرقت نصف خدها، ناهداً لها ثمان عكن، في نهاية الحسن والجمال ونقاء البشرة،
وكان الكتاب من لحاء شجر الكادي، لونه إلى الصفرة والخط باللازورد مفتح بالذهب.
فأجابه المأمون من عبد الله الإمام أمير المؤمنين - الذي وهب الله له ولآبائه الشرف بابن
عمه النبي المرسل صلى الله عليه وسلم وأعلى ذكره،
والمصدق بالكتاب المنزل - إلى ملك
الهند وعظيم من تحت يده من أركان المشرق، سلام عليك - وأهدى له هدية وهي فرس
بفارسه، وجميع ما آلاته عقيق، ومائدة جزع فيها خطوط سود وحمر وخضر على أرض
بيضاء، فتحها ثلاثة أشبار وغلظها أصبعان، قوائمها ذهب، وثمانية أصناف من بياض
مصر وخز السوس ووشي اليمن وملحم خراسان، والديباج الخرسواني، وفرش سوسنجرد،
ووشي تستر، من كل صنف مائة قطعة، ومائة طنفسه جنوية بوسائدها، وجام زجاج
فرعوني فتحه شبر، في وسطه صورة أسد أمامه رجل قد برك على ركبتيه. وفوق السهم
نحو الأسد في قوس، وكان الكتاب في طومار ذي وجهين.
وكان للمأمون من الأولاد: محمد الأكبر وعبد الله ومحمد الأصغر والعباس وعلي والحسن
وإسماعيل والفضل وموسى وإبراهيم ويعقوب والحسين وسليمان وجعفر وإسحاق وأحمد
وعيسى وهارون وعشر بنات نقش خاتمه: سل الله يعطك
وزراؤه: ذو الرئاستين الفضل بن
سهل ثم أخوه الحسن بن سهل ثم أحمد بن أبي خالد الأحوال ثم أحمد بن يوسف وجماعة،
قيل إنه ما استوزر بعد الفضل أحداً، وإنما كانوا كتاباً. حجابه: عبد الحميد بن شبث ثم
محمد وعلي ابنا صالح مولى المنصور ثم إسماعيل بن محمد بن صالح. قضاته: محمد بن
عمر الواقدي ثم محمد بن عبد الرحمن المخزومي ثم بشر بن الوليد ثم يحيى بن أكثم.
الأمراء بمصر: عباد بن محمد البلخي ثم المطلب بن عبد الله بن مالك بن الهيثم ثم العباس
بن موسى بن عيسى الهاشمي ثم عاد المطلب ثم السري ثم الحكم مولى بني ضبة من أهل
بلخ - باجتماع من الجند عليه - ثم سليمان بن غالب ثم السري بعهد من المأمون ثم مات

فوليها أبو نصر محمد بن السري ثم مات فوليها أخوه عبيد الله بن السري - بايعه الجند -
ثم عبد الله بن طاهر بن الحسين مضافة للشام وغيره، فلما سار إلى العراق استخلف
عيسى بن يزيد الجلودي، ثم أبو إسحاق المعتصم مضافة إلى الشام فأقر الجلودي، ثم صرفه
بعمير بن الوليد التميمي ثم أعاد الجلودي ثم عبدويه بن جبلة ثم عيسى بن منصور، فلما
قدم المأمون مصر عزل عيسى وولى نصر بن عبد الله الصغدي ويعرف بكيدر. القضاة
بها: لهيعة بن عيسى الحضرمي ثم الفضل بن غانم ثم عاد لهيعة ثم إبراهيم بن إسحاق
القاري ثم إبراهيم بن الجراح ثم عيسى بن المنكدر ثم عاد إلى بغداد، ووصل المأمون إلى
مصر وليس بها قاض، فأمر يحيى بن أكثم أن يحكم بين الناس إلى أن سار عنها، وولى
هارون بن عبد الله من ولد عبد الرحمن بن عوف.

خلافة المعتصم بالله

هو أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد وأمه ماردة أم ولد، وهو الثامن من الخلفاء
العباسيين، وهو أول من أضاف إلى لقبه اسم الله تعالى من الخلفاء فقيل المعتصم بالله
وتداوله من بعده، بويع يوم وفاة المأمون بطرسوس لثمان خلون من شهر رجب أو لاثنتي
عشرة بقيت منه سنة ثماني عشرة ومائتين، ولم يقل ابن الأثير في تاريخه غيره.
قال: ولما بويع له شغب الجند ونادوا باسم العباس بن المأمون فأرسل إليه المعتصم
فأحضره فبايعه، ثم خرج العباس إلى الجند فقال: ما هذا الحب البارد! قد بايعت عمي
فسكتوا، وكان المأمون قد وجه ابنه العباس إلى طوانة، وأمره ببنائها في هذه السنة،
وجعلها ميلاً في ميل وجعل سورها على مسافة ثلاثة فراسخ، وجعل لها أربعة أبواب على
كل باب حصن، فأول ما بدأ به المعتصم أن أمر بإخراب ما كان قد بنى منها، وحمل ما
أطاق من السلاح والآلة التي بها، وأحرق الباقي وانصرف إلى بغداد ومعه العباس بن
المأمون، فقدمها في مستهل شهر رمضان من هذه السنة.
وفيها دخل كثير من أهل الجبال وهمذان وأصبهان وماسبذان وغيرها في دين الخرمية،

وتجمعوا فعسكروا في عمل همذان، فوجه إليهم المعتصم العساكر، وكان منهم إسحاق بن
إبراهيم بن مصعب وعقد له على الجبال في شوال، فسار إليهم فأوقع بهم في أعمال همذان،
فقتل منهم ستين ألفاً وهرب الباقون إلى بلد الروم.
وحج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد.
ودخلت سنة تسع عشرة ومائتين.
خلاف محمد العلوي
في هذه السنة ظهر محمد بن القاسم بن عمر بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب
رضي الله عنه بالطالقان من خراسان، يدعو إلى الرضا من آل محمد صلى الله عليه
وسلم، وكان ابتداء أمره أنه كان ملازماً لمسجد النبي صلى الله عليه وسلم حسن السيرة،
فأتاه إنسان من خراسان اسمه أبو محمد كان مجاوراً، فلما رآه أحبه وأعجبته طريقته، فقال
له: أنت أحق بالإمامة من كل أحد، وحسن له ذلك وبايعه، وصار الخراساني يأتيه بالنفر
بعد النفر من حجاج خراسان يبايعونه، فلما رضي بكثرة من بايعه من خراسان سارا
جميعاً إلى الجوزجان، واختفى هناك وجعل أبو محمد يدعو الناس إليه فعظم أصحابه،
وحمله أبو محمد على إظهار أمره فأظهره بالطالقان، وكان بينه وبين قواد عبدالله بن طاهر
وقعات، فانهزم هو وأصحابه وخرج هارباً، يريد بعض كور خراسان كان أهلها كاتبوه، فلما
صار بنسأ وبها والد لبعض من معه، فمضى الرجل الذي معه يسلم على أبيه فسلم عليه،
فسأله أبوه عن الخبر فأخبره به، فمضى الأب إلى عامل نسا وأخبره بأمر محمد بن القاسم،
فأعطاه العامل عشرة آلاف درهم، وجاء العامل إلى محمد فأخذه وبعثه إلى عبد الله بن
طاهر، فسيره إلى المعتصم فوصل إليه في منتصف شهر ربيع الأول فحبس عند مسرور
الكبير، فلما كان ليلة الفطر اشتغل الناس بالعيد، فدلى إليه حبل من كوة فخرج منها، فأتوه
بالطعام في يوم الفطر فلم يجدوه، وبذل لمن أتى به مائة ألف درهم فلم يعرف له خبر بعد
ذلك.
محاربة الزط
في هذه السنة وجه المعتصم عجيف بن عنبسة في جمادى الأولى لحرب الزط، وكانوا قد

غلبوا على طريق البصرة، وعاثوا وأخذوا الغلات من البيادر بكسكر وما يليها من
البصرة، وأخافوا السبل، فسار عجيف حتى نزل واسط على نهر يقال له بردودا فسده
وسد أنهاراً أخر، كانوا يخرجون منها ويدخلون وأخذ عليهم الطرق، ثم حاربهم فقتل في
معركة واحدة ثلاثمائة وأسر خمسمائة، فضرب أعناقهم وبعث الرءوس إلى باب المعتصم،
وأقام عجيف بإزائهم خمسة عشر يوماً، فظفر منهم بخلق كثير، وكان رئيس الزط يقال له
محمد بن عثمان، وصاحب أمره رجل يقال له سملق، ثم استوطن عجيف وأقام بإزاء الزط
ستة أشهر، وقاتلهم فطلبوا الأمان وخرجوا إليه في ذى الحجة، وكان عدتهم بالنساء
والصبيان سبعة وعشرين ألفاً، المقاتلة منهم اثنا عشر ألفاً، فجعلهم عجيف في السفن
وعبأهم على تعبئتهم في الحرب ومعهم البوقات، فأدخلهم بغداد يوم عاشوراء سنة عشرين
ومائتين، فخرج المعتصم إلى الشماسية في سفينة حتى مرت به سفن الزط وهم ينفخون في
البوقات، وأقاموا في سفنهم ثلاثة أيام ثم نقلوا إلى الجانب الشرقي، فسلموا إلى بشر بن
السميدع فذهب بهم إلى خانقين، ثم نقلوا إلى الثغر إلى عين زربة، فأغارت الروم عليهم فلم
يفلت منهم أحد.
وفي هذه السنة أحضر المعتصم أحمد بن حنبل وامتحنه بالقرآن فلم يجب إلى القول بخلقه،
فأمر به فجلد جلداً شديداً حتى غاب عقله، وتقطع جلده وحبس مقيداً.
ودخلت سنة عشرين ومائتين.
في هذه السنة عقد المعتصم للأفشين حيدر بن كاووس على الجبال، ووجهه لحرب بابك
الخرمي فسار لذلك، فكان بينهما من الحروب ما نذكره في سنة اثنتين وعشرين، عند الظفر
ببابك ونذكر أخباره هناك إن شاء الله تعالى.
بناء سامرا
وهي سرمن رأى
في هذه السنة خرج المعتصم إلى سامرا، وكان سبب ذلك أنه قال: إني هاهنا أتخوف
الحربية أن يصيحوا صيحة فيقتلوا غلماني، فأريد أن أكون فوقهم فإن رابني منهم شيء

قاتلتهم في البر والماء حتى آتي عليهم، وقيل كان سبب ذلك أن المعتصم كان قد أكثر من
الغلمان الأتراك، وكانوا لا يزالون يرون الواحد منهم بعد الواحد قتيلاً، وذلك أنهم كانوا جفاة
يركبون الدواب فيركضونها في الشوارع، فيصدمون الرجل والمرأة والصبي فيأخذهم الأبناء
عن دوابهم فيضربونهم، وربما هلك أحدهم، ثم إن المعتصم ركب يوم عيد فقام إليه شيخ،
فقال له: يا أبا إسحاق لا جزاك الله عن الجوار خيراً، جاورتنا وجئت بهؤلاء العلوج من
غلمانك الأتراك، فأسكنتهم بيننا فأيتمت بهم صبياننا، وأرملت نساءنا وقتلت رجالنا -
والمعتصم يسمع كلامه، ولم ير راكباً بعدها أبداً بل صلى العيد وسار إلى ناحية القاطول ولم
يرجع إلى بغداد.
قال: ولما خرج المعتصم من بغداد استخلف بها ابنه الواثق، وكان المعتصم قد اصطنع
قوماً من أهل الحوف بمصر واستخدمهم وسماهم المغاربة، وجمع خلقاً من سمرقند وأشرو
سنة وفرغانة وسماهم الفراغنة، وكانوا من ثقاته فتركهم بعده بها.
وكان ابتداء العمارة بسامرا في سنة إحدى وعشرين ومائتين، وبنيت في أسرع مدة وهي
على شاطيء دجلة، وقيل إنه أنفق على جامعها خمسمائة ألف دينار، وانتقل إليها وجعلها
مقر خلافته، وقيل إنه سماها بهذا الاسم لأنه لما انتقل إليها بعساكره سر كل منهم برؤيتها،
فسماها سر من رأى، ولما خرج المعتصم من بغداد نزل القاطول.
ذكر القبض على الفضل بن مروان بن أحمد بن عمارة الوزير
كان الفضل من البردان وكان حسن الخط، فاتصل بيحيى الجرمقاني كاتب المعتصم قبل
خلافته، فلما هلك الجرمقاني صار الفضل مكانه، وتوجه مع المعتصم إلى الشام ومصر
فحصل أموالاً كثيرة، فلما صار المعتصم خليفة صار له اسمها وللفضل معناها، واستولى
على الدواوين كلها وكنز الأموال.
وكان المعتصم يأمره بإعطاء المغني والنديم فلا ينفذ الفضل ذلك، فثقل على المعتصم،
وكان له مضحك اسمه إبراهيم، فأمر له المعتصم بمال فلم يعطه الفضل، فداعب المعتصم

يوماً إبراهيم فقال له إبراهيم: والله لا أفلحت، فضحك وقال: وهل بقي من الفلاح شيء لم
أدركه بعد الخلافة؟ فقال: أتظن أنك أفلحت؟! لا والله - ما لك من الخلافة إلا اسمها،
والله ما يجاوز أمرك أذنيك - إنما الخلافة الفضل، فقال: وأي أمر لي لم ينفذ؟ فقال: أمرت
لي من شهرين بكذا وكذا فلم أعط حبة، فحقدها المعتصم على الفضل ثم نكبه هو وأهل
بيته في صفر من هذه السنة، وصير مكانه محمد بن عبد الملك الزيات فصار وزيراً وكاتباً.
وحج بالناس في هذه السنة صالح بن العباس بن محمد.
ودخلت سنة إحدى وعشرين ومائتين.
حج بالناس في هذه السنة محمد بن داود بن عيسى بن موسى، وكان فيها من محاربة بغا
الكبير وبابك ما نذكره إن شاء الله تعالى.
ودخلت سنة اثنتين وعشرين ومائتين.
بابك الخرمي
وفتح البذ وأسر بابك وقتله
كان ابتداء أمر بابك في سنة إحدى ومائتين في خلافة المأمون، وتحرك في الجاويدانية -
أصحاب جاويدان بن سهل صاحب البذ، وادعى أن روح جاويدان حلت فيه، وتفسير
جاويدان: الدائم الباقي، ومعنى خرم: الفرج، والرجل منهم ينكح أمه وأخته وابنته - ولهذا
يسمونه دين الفرج، ويعتقدون التناسخ وأن الأرواح تنتقل من حيوان إلى غيره، وكان لبابك
في أيام المأمون حروب مع جيشو المأمون، كان الظفر فيها لبابك وأصحابه، وقتل محمد
الطوسي عامل المأمون على الموصل، في سنة أربع عشرة ومائتين في حرب كانت بينهم ولما
حضرت المأمون الوفاة كان من جملة وصيته للمعتصم غزو الخرمية كما ذكرنا ذلك، فلما
أفضت الخلافة إلى المعتصم عقد للأفشين حيدر بن كاووس على الجبال، ووجهه لحرب
بابك في سنة عشرين ومائتين، وكان قبل ذلك قد وجه المعتصم - أبا سعيد محمد بن
يوسف إلى أردبيل، وأمره أن يبني الحصون التي خربها بابك فيما بين زنجان وأردبيل، ويجعل
فيها الرجال لحفظ الطريق لمن يجلب الميرة إلى أردبيل، فتوجه أبو سعيد لذلك وبنى
الحصون، ووجه بابك سرية في بعض غاراته فأغارت ورجعت، فبلغ ذلك أبا سعيد فخرج

في طلب السرية، فاعترضها في بعض الطريق فظفر بهم وقتل وأسر منهم، وبعث بالرءوس
والأسرى إلى المعتصم، وكانت هذه أول هزيمة على أصحاب بابك، ثم كانت الأخرى لمحمد
بن البعيث، وذلك أن محمداً كان في قلعة له حصينة تسمى شاهي من أذربيجان، وله
حصن آخر في أذربيجان يسمى تبريز، وكان مصالحاً لبابك تنزل سراياه عنده فيضيفهم
حتى أنسوا به، ثم وجه بابك قائداً من قواده اسمه عصمة في سرية، فنزل بمحمد بن
البعيث فأنزل له الضيافة على عادته، واستدعاه إليه في خاصته ووجوه أصحابه فصعدوا
إليه، فغذاهم وسقاهم الخمر حتى سكروا، ثم وثب على عصمة فاستوثق منه وقتل من
كان معه من أصحابه، وأمره أن يسمي له رجلاً رجلاً من أصحابه، فكان يدعو الرجل
باسمه فيصعد فيضرب عنقه حتى علموا بذلك، وسير عصمة إلى المعتصم، فسأله عن
بلاد بابك فأعلمه طرقها ووجوه القتال فيها، ثم حبسه فبقي إلى أيام الواثق، ثم سار
الأفشين بعد ذلك إلى بلاد بابك، فنزل برزند وعسكر بها وضبط الطرق والحصون فيما
بينه وبين أردبيل، ثم سار الأفشين والتقى ببابك واقتتلوا قتالاً شديداً، وكانت وقعة عظيمة
في سنة عشرين ومائتين، قتل فيها كثير من أصحاب بابك الذين كانوا معه، وأفلت هو في نفر
يسير، واستمرت الحرب بينه وبين بابك المرة بعد المرة إلى سنة اثنتين وعشرين ومائتين، ففتح
الأفشين البذ - مدينة بابك - وأسر بابك، وخرب المسلمون المدينة واستباحوها وذلك
لعشر بقين من شهر رمضان في هذه السنة، وكانت حروب يطول شرحها انجلت عن ظفر
المسلمين.
قال: وكان الأفشين قد قصر في الحصار، فرأى رجل من أصحابه في منامه رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهو يقول له: قل للأفشين - إن أنت حاربت هذا الرجل وجددت في
أمره وإلا أمرت الجبال أن ترجمك بالحجارة، وشاعت هذه الرؤيا فثار المتطوعة وصمموا
على الحصار، وحاصروا وكانت حروب عظيمة انجلت عن الفتح في التاريخ المذكور،

وهرب بابك ثم أحضر هو وأخوه عبد الله لعشر خلون من شوال، وكان وصولهما إلى
المعتصم بسامرا في صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين. ولما وصل إلى سامرا أمر المعتصم
أن يركب فيلاً والناس ينظرونه، وأدخل دار المعتصم فأمر بإحضار سياف، وأمره أن يقطع
يديه ورجليه فقطعهما فسقط، ثم أمر به فذبح وشق بطنه، وأنفذ رأسه إلى خراسان
وصلب بدنه بسامرا، وأمر بحمل أخيه عبد الله إلى بغداد، وأن يفعل له كما فعل ببابك،
ففعل به ذلك وصلب في الجانب الشرقي بين الجسرين، وكان من قتله بابك في عشرين سنة
مائتي ألف وخمسة وخمسين ألفاً وخمسمائة إنسان، هذا ما كان أمره على سبيل
الاختصار.
ثم دخلت سنة ثلاث وعشرين ومائتين.
قدوم الأفشين
إلى سامرا وما عامله به المعتصم
في هذه السنة قدم الأفشين ببابك إلى سامرا، فكان من أمر بابك وأخيه ما ذكرناه، وأما
الأفشين فإن المعتصم كان يوجه إليه في كل يوم من حين سار من برزند إلى أن وافى سامرا
خلعة وفرساً، فلما صار الأفشين بقناطر حذيفة تلقاه هارون الواثق بن المعتصم وأهل بيته،
فلما وصل إليه توجه المعتصم وألبسه وشاحين، ووصله بعشرين ألف ألف درهم وعشرة
آلاف ألف درهم ففرقها في عسكره، وعقد له على السند وأدخل عليه الشعراء يمدحونه.
قال: وكان الذي أخرج الأفشين من المال مدة مقامه بإزاء بابك - سوى الأرزاق والأنزال
والمعاون في كل يوم يركب فيه - عشرة آلاف، وفي غيره خمسة آلاف. قال: وأسر مع بابك
ثلاثة آلاف وثلاثمائة وتسعة نفر، واستنقذ ممن في يده من المسلمات وأولادهن سبعة آلاف
وستمائة، وصار في يد الأفشين من بني بابك سبعة عشر رجلاً ومن البنات والكنات ثلاث
وعشرون امرأة.
خروج الروم إلى زبطرة
في هذه السنة خرج توفيل بن ميخائيل - ملك الروم - إلى بلاد الإسلام، وأوقع بأهل زبطرة
وغيرها، وكان سبب ذلك أن بابك لما ضيق عليه الأفشين كتب إلى ملك الروم، يعلمه أن

المعتصم قد وجه عساكره إليه، وجمع مقاتلته حتى وجه خياطه وطباخه يعني جعفر بن
دينار الخياط ويعني بالطباخ إيتاخ، ولم يبق على بابه أحد، فإن أردت الخروج إليه فليس في
وجهك أحد يمنع، فخرج توفيل في مائة ألف - وقيل أكثر من ذلك، فبلغ زبطرة فقتل من بها
من الرجال وسبى الذرية والنساء، وأغار على أهل ملطية وغيرها من حصون الإسلام،
وسبى المسلمات ومثل بمن صار في يده من المسلمين، وسمل أعينهم وقطع أنوفهم وآذانهم،
فخرج أهل الثغور من الشام والجزيرة إلا من لم يكن له دابة ولا سلاح.

فتح عمورية

قال: لما فعل توفيل ما فعل واتصل الخبر بالمعتصم كبر لديه واستعظمه، وبلغه أن امرأة
هاشمية صاحت وهي في أيدي الروم - وامعتصماه!! فأجابها - وهو على سريره -
لبيك لبيك، ونهض من ساعته وصاح في قصره: النفير النفير، ثم ركب دابته وسمط خلفه
شكالاً وسكة حديد وحقيبة فيها زاده، ولم يمكنه المسير إلا بعد التعبئة وجمع العساكر،
ثم جلس في دار العامة وأحضر قاضيي بغداد عبد الرحمن بن إسحاق وشعيب بن سهل،
ومعهما ثلاثمائة وثمانية وعشرون رجلاً من أهل العدالة، فأشهدهم على ما وقف من
الضياع، فجعل ثلثاً لولده وثلثاً لله تعالى وثلثاً لمواليه، ثم سار فعسكر بغربي دجلة لليلتين
خلتا من جمادى الأولى، ووجه عجيف بن عنبسة وعمرو الفرغاني وجماعة من القواد إلى
زبطرة معونة لأهلها، فوجدوا ملك الروم قد انصرف إلى بلاده بعد أن فعل ما ذكرناه، فوقفوا
حتى تراجع الناس إلى قراهم واطمأنوا، ثم سار المعتصم وسأل: أي بلاد الروم أمنع
وأحصن؟ فقيل عمورية لم يعرض لها أحد منذ كان الإسلام، وهي عين النصرانية وأشرف
عندهم من قسطنطينية، فسار المعتصم من سامرا - وقيل كان مسيره في سنة اثنتين
وعشرين، وقيل سنة أربع وعشرين ومائتين وتجهز جهازاً لم يتجهزه خليفة قبله قط من سلاح
وآلات وعدد وغير ذلك، وبث سراياه فيها وجيوشه - يغير ويقتل ويأسر ويغنم، ثم نزل

بعمورية لست خلون من شهر رمضان وحاصرها ونصب عليها المجانيق، ووالى الزحف
والقتال ودام عليها خمسة وخمسين يوماً وكان بطارقة الروم قد اقتسموا الأبراج، وكان وندوا
موكل ببعضها ومعناه بالعربية ثور، فقاتل قتالاً شديداً وكثرت الجراحات في أصحابه، فمشى
إلى الروم وقال: إن الحرب علي وعلى أصحابي، ولم يبق معي أحد إلا جراح، فإما أن
تمدوني وإلا ذهبت المدينة فلم يمدوه، وكان المسلمون قد هدموا ثلمة من السور مما يلي
جهة وندوا، فعزم هو وأصحابه على الخروج إلى المعتصم، يسألونه الأمان على الذرية
ويسلمون إليه الحصن بما فيه، فلما أصبح أوقف أصحابه بجانبي الثلمة وأمرهم ألا يحاربوا،
فخرج إلى المعتصم فصار بين يديه، والناس يتقدمون إلى الثلمة وقد أمسك الروم عن القتال،
ووصل المسلمون إلى الثلمة ووندوا بين يدي المعتصم، والناس يتقدمون حتى دخلوا المدينة،
فالتفت وندوا وضرب بيده على لحيته، فقال له المعتصم: مالك؟! قال: جئت أسمع
كلامك فغدرت بي، فقال له المعتصم: كل شيء تريده فهو لك.
قال: ولما دخل المسلمون
المدينة صارت طائفة من الروم إلى كنيسة كبيرة، فأحرقها المسلمون عليهم فهلكوا بأجمعهم،
وجاء ناطس - وهو من البطارقة - فوقف بين يدي المعتصم، فضربه المعتصم سوطاً
وأخذ الروم السيف، وأقبل الناس بالأسرى والسبي من كل وجه، وكثرت الغنائم حتى كان
ينادى الرقيق خمسة خمسة وعشرة عشرة، لا ينادى على الشيء أكثر من ثلاث أصوات
طلباً للسرعة، وأمر المعتصم بعمورية فهدمت وأحرقت، وفرق الأسرى على القواد وسار
نحو طرسوس.
ذكر القبض على العباس بن المأمون وحبسه والأمر بلعنه ووفاته
وفي هذه السنة حبس المعتصم - العباس بن المأمون وأمر بلعنه، وسبب ذلك أن عجيف
بن عنبسة اجتمع به ووبخه، كونه بايع المعتصم وكونه لم يطلب الأمر لنفسه، وحثه على
طلب الأمر لنفسه، فقبل العباس قوله وأخذ يدبر في قتل المعتصم، وشرع في طلب البيعة

ووافقه جماعة من القواد، فنمى الخبر إلى المعتصم فأحضر العباس وسقاه حتى سكر
ولطف به واستعلم الخبر منه فذكر له الحال على غرة، فقيده وسلمه للأفشين فحبسه، فلما
نزل منبج طلب العباس الطعام فقدم إليه طعام كثير، فأكل ومنع الماء وأدرج في مسح، فمات
بمنبج وصلى عليه بعض إخوته، وتتبع المعتصم من كان قد وافقه على ذلك من القواد،
فمنهم من فعل به مثل ذلك ومنهم من دفنه حياً، وعاد المعتصم إلى سامرا وأمسك أولاد
المأمون فحبسهم في داره حتى ماتوا.
ودخلت سنة أربع وعشرين ومائتين.
مخالفة مازيار
بطبرستان وأسره
في هذه السنة أظهر مازيار بن قارن بن ونداهرمز الخلاف على المعتصم، وعصى وقاتل
عساكره، وسبب ذلك أنه كان منافراً لعبد الله بن طاهر لا يحمل إليه خراجه، فكاتبه
المعتصم في ذلك فقال: لا أحمله إلا إليك، وكان المعتصم يأمر بأخذه من أصحاب مازيار
بهمذان، ويسلمه لوكيل عبد الله بن طاهر، فلما ظفر الأفشين ببابك وعظم محله طمع في
ولاية خراسان، فراسل الأفشين مازيار في الخلاف والخروج، على أنه إذا خرج احتاج
المعتصم إلى إرسال الأفشين لحربه، فينتقل من ذلك إلى ولاية خراسان، فخالف مازيار
فكتب المعتصم لعبد الله بن طاهر بحربه، فأرسل ابن طاهر عمه الحسن بن الحسين في
جيش كثيف لحفظ جرجان، فنزل مقابل سرخاستان، وقد بنى سرخاستان سوراً على
طميس وجعل له خندقاً، ومقدار السور ثلاثة أميال ليمنع من الدخول إلى طبرستان،
وكانت الأكاسرة تبنيه لتمنع الترك من الدخول إليها، ووجه حيان بن جبلة في أربعة آلاف
إلى قومس، فعسكر على حد جبال شروين، ووجه المعتصم من عنده محمد بن إبراهيم بن
مصعب ومعه الحسن بن قارن الطبري، ووجه منصور بن الحسن صاحب دنباوند إلى الري
ليدخل طبرستان من ناحية الري، ووجه أبا الساج إلى اللازر ودنباوند، فلما أحدقت الخيل
بالمازيار من كل جانب وكان أصحاب سرخاستان يتحدثون مع أصحاب الحسن بن الحسين

على غفلة من الحسن - ونظر الناس بعضهم إلى بعض فثاروا - وبلغ الحسن الخبر فجعل
يصيح بالقوم ويمنعهم خوفاً عليهم فلم يقفوا - ونصبوا علمه على معسكر سرخاستان وهو
في الحمام - فهرب في غلالة، ودخل أصحاب الحسن السور وهو يقول: اللهم إنهم عصوني
وأطاعوك فانصرهم، واستولوا على عسكر سرخاستان وأسر أخوه شهريار فقتله الحسن،
وسار سرخاستان حتى أجهده العطش، فنزل عن دابته وشدها، فضربه غلام له اسمه
جعفر وجماعة من أصحابه، فسألهم الماء فأمسكوه وقالوا: نتقرب به إلى السلطان، فرجعوا
به نحو العسكر فلقيتهم خيل الحسن بن الحسين فأخذوه منهم، وأتوا به الحسن فقتله ووجه
برأسه إلى عبد الله بن طاهر.
وأما حيان بن جبلة - مولى ابن طاهر - فإنه كاتب قارن بن شهريار - وهو ابن أخي
مازيار، ورغبه في الملك وضمنه له، وكان قارن من قواد مازيار وقد أنفذه مازيار مع أخيه
عبد الله بن قارن ومعه عدة من القواد فضمن له قارن عند ذلك أن تسلم إليه الجبال
ومدينة سارية واتخذ قارن طعاماً ودعا عمه عبد الله والقواد فأتوه، ووضعوا سلاحهم
فأحدق بهم أصحابه وقبضوا عليهم ووجه بهم إلى حيان فاستوثق منهم، وركب في
أصحابه ودخل جبال قارن، وبلغ الخبر مازيار فاغتم له، قال: ولما بلغ الخبر أهل سارية أخذ
سرخاستان ودخول حيان جبال شروين وثبوا على عامل مازيار بها فهرب منهم، وأتى
حيان المدينة، وبلغ قوهيار أخو مازيار الخبر، فأرسل إلى حيان يطلب منه الأمان، وأن
يملك على جبال أبيه وجده ويسلم إليه مازيار، ثم مات حيان قبل الاتفاق فوجه عبد الله
مكانه عمه محمد بن الحسين، ثم صار الحسن بن الحسين إلى خرماباذ، فأتته رسل قوهيار
ثم جاءه بنفسه فأكرمه وأجابه إلى جميع ما طلب، وتواعدوا يوماً فحضر مازيار عنده،
ورجع قوهيار إلى أخيه مازيار فأعلمه أنه أخذ له الأمان واستوثق له، فركب الحسن يوم
الميعاد ومعه ثلاثة غلمان أتراك - وإبراهيم بن مهران يدله على الطريق، حتى أتيا هرمز

أباذ فأتاه المازيار مع القوهيار، فأخذه ووجهه إلى سارية، وسار الحسن إلى هرمز أباذ
فأحرق قصر المازيار وانتهب ماله، وسار إلى خرماباذ إخوة المازيار وحبسهم، وسار إلى
مدينة سارية فأقام بها، وأمره عبد الله بن طاهر بإرسال المازيار إلى المعتصم وأهله معه،
وأن يسلمه إلى محمد بن إبراهيم ليسير به ففعل ذلك، وأمره أن يستصفي أمواله ويحرزها،
فأحضره وسأله عن أمواله فذكر أنها عند خزانة فضمن القوهيار ذلك، وقال المازيار:
اشهدوا على أن جميع ما أخذت من أموالي ستة وتسعون ألف دينار وسبع عشرة قطعة
زمرد، وست عشرة قطعة ياقوت، وثمانية أحمال من ألوان الثياب، وتاج وسيف مجوهر،
وخنجر من ذهب مكلل بالجوهر، وحق كبير مملوء جوهراً - قيمته ثمانية عشر ألف ألف
درهم، وقد سلمت ذلك إلى خازن عبد الله بن طاهر وصاحب خبره على عسكره،
وكان المازيار قد أخذ هذا ليوصله إلى الحسن بن الحسين ليظهر للناس أنه أمنه على نفسه
وماله وولده، وأنه جعل له جبال أبيه فامتنع الحسن من قبوله - وكان من أعف الناس، ثم
أمر الحسن قوهيار أن يتوجه لحمل مال المازيار، وأعطاه من البغال ما يحملها عليها، وأراد
أن ينفذ معه جيشاً فقال: لا حاجة لي بهم، وسار في غلمانه ففتح الخزائن وأخذ الأموال،
فلما عبأها وثب عليه مماليك المازيار - وكانوا ديالم، فقالوا: إنك غدرت بصاحبنا وأسلمته
إلى العرب، وجئت لتحمل أمواله!! وكانوا ألفاً ومائتين فأخذوه وقيدوه، فلما جنهم الليل
قتلوه وانتهبوا المال، وانتهى الخبر إلى الحسن فوجه جيشاً ووجه قارن جيشاً، وبلغ محمد بن
إبراهيم الخبر فأرسل في أثرهم فأخذوا، وبعثهم إلى مدينة سارية قال: وقد قيل إن سبب
أسر المازيار أنه كان له ابن عم اسمه قوهيار، كان له جبال طبرستان وللمازيار السهل،
فألزمه مازيار بابه وولى الجبال غيره، فلما خالف مازيار دعا قوهيار ابن عمه - وقيل كان
أخاه، وقال له: أنت أعرف بجبلك من غيرك، واظهره على أمر الأفشين وكتبه، وأمره بالعود
إلى جبله وحفظه، وأمر الذي ولاه بعده على الجبل واسمه دري وأمره بالانضمام إليه

بالعساكر، ووجهه إلى محاربة الحسن بن الحسين، وبقي
المازيار في مدينته في نفر يسير، فدعا
قوهيار الحقد الذي في قلبه أن كاتب الحسن وكاتبه الحسن،
وضمن له ما يريد وأن يعيد
إليه جبله وما كان في يده لا ينازع فيه، فرضي بذلك ووعده
بتسليم الجبل، فلما جاء
الميعاد تقدم الحسن فحارب دري، وكان دري قد انفرد بالمواضع
المخوفة، وأرسل عبد الله
بن طاهر جيشاً كثيفاً فوافوا قوهيار، فسلم إليهم الجبل
فدخلوه، ودري يحارب الحسن
ومازيار في قصره، فلم يشعر إلا والخيل على باب قصره
فأخذوه أسيراً، وقيل أخذ وهو
يتصيد، وقصدوا به نحو دري وهو يقاتل، فلم يشعر هو وأصحابه
إلا والخيل من ورائهم
ومعهم مازيار، فانهزم دري فأدركوه وقتلوه وحملوا رأسه إلى
عبد الله بن طاهر، وحملوا
المازيار فأوعده عبد الله - إن هو أظهره على كتب الأفشين -
أن يسأل فيه المعتصم
ليصفح عنه، فأقر المازيار بذلك وأحضر الكتب فسيرها إلى
المعتصم، فلما توجه مازيار إلى
المعتصم سأله عن الكتب فأنكرها، فضربه حتى مات وصلبه إلى
جانب بابك، وقيل إنه
اعترف للمعتصم بالكتب والله أعلم، وكان قتله في سنة خمس
وعشرين.
عصيان منكجور
قرابة الأفشين والظفر به
قال: وكان الأفشين قد استعمل منكجور - وهو من أقاربه -
على أذربيجان، فوجد في
بعض قرى بابك مالاً عظيماً فأخذه، ولم يطالع به المعتصم ولا
الأفشين، فكتب صاحب
البريد بذلك إلى المعتصم، فطولب بالمال فأنكره وكذب صاحب
البريد وهم بقتله، فمنعه
أهل أردبيل منه فقاتلهم منكجور، فأمر المعتصم الأفشين بعزله
فعزله، ووجه قائداً من القواد
إليه فخلع منكجور يده من الطاعة، وجمع إليه الصعاليك وخرج
من أردبيل، والتجأ إلى
حصن من حصون بابك الذي كان قد خربها بابك فعمره وأقام به،
فبقي شهراً ثم وثب
عليه أصحابه فسلموه للقائد، فقدم به إلى سامرا في سنة
خمس وعشرين. وقيل إن القائد
كان بغا الكبير وأن منكجور خرج إليه بأمان، واتهم الأفشين
بمباطنته.

وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود.
ودخلت سنة خمس وعشرين ومائتين.
ذكر القبض على الأفشين وحبسه ووفاته وصلبه
في هذه السنة غضب المعتصم على الأفشين وحبسه، وذلك لما ظهر عنه من مباطنة
المازيار وغيره، فأحضره وقوبل على ذلك وحوقق على ما كان قد قصده من الخلاف،
وحبس إلى أن مات في سنة ست وعشرين ومائتين، وقيل منه عنه الطعام حتى مات، ولما
مات أمر المعتصم بإخراجه وصلبه على باب العامة، ووجد بقلفته، ثم ألقى وأحرق وأخذ
ماله، ووجد في داره أصناماً وكتاباً من كتب المجوس، ورتب المعتصم بعده على الحرس
إسحاق بن يحيى بن معاذ. وفيها استعمل إيتاخ على اليمن وحج بالناس في هذه السنة
محمد بن داود.
ودخلت سنة ست وعشرين ومائتين.
في هذه السنة حج بالناس محمد بن داود بأمر إشناس، وكان إشناس حاجاً وقد جعل
إليه ولاية كل بلد يدخله، وخطب له على منابر مكة والمدينة وغيرها من البلاد التي اجتاز
بها إلى مدينة سامرا.
ودخلت سنة سبع وعشرين ومائتين.
خروج المبرقع بفلسطين
وفي هذه السنة خرج أبو حرب اليماني المبرقع بفلسطين على المعتصم، وكان سبب
خروجه أن بعض الجند أراد النزول في داره وهو غائب، فمنعه بعض نسائه فضربها
الجندي بسوط فأصاب ذراعها، فلما رجع أبو حرب إلى داره اشتكت إليه ما فعل بها
الجندي، فقتله أبو حرب وهرب وتبرقع، وقصد بعض جبال الأردن فأقام به، وكان يظهر
بالنهار متبرقعاً فإذا جاءه أحد أمره بالمعروف ونهاه عن المنكر، ويذكر الخليفة ويعيبه
فاستجاب إليه قوم من فلاحي تلك الناحية، وكان يزعم أنه أموي فقال أصحابه هذا
السفياني، فلما كثر أتباعه من هذه الطبقة، دعا أهل البيوتات فاستجاب له جماعة من
رؤساء اليمانية، منهم رجل يقال له ابن بيهس - كان مطاعاً في أهل اليمن، ورجلان من
أهل دمشق، فاتصل خبره بالمعتصم في مرضه الذي مات فيه، فسير لحربه رجاء بن أيوب

الحضاري في زهاء ألف رجل من الجند فرآه في عالم كثير يبلغون مائة ألف رجل، فكره
رجاء مواقعته وعسكر في مقابلته، حتى كان أوان الزراعة وعمل الأرضين فانصرف من
كان مع المبرقع إلى عملهم، وبقي في زهاء ألف أو ألفين، وتوفي المعتصم وولي الواثق وثارت
الفتنة بدمشق على ما نذكره فأمر الواثق رجاء بقتال من أثار الفتنة، والعود إلى المبرقع
ففعل ذلك، وعاد والتقى العسكران، فقال رجاء لأصحابه: ما أرى في عسكره رجلاً له
شجاعة غيره، وأنه سيظهر لأصحابه بعض ما عنده، فإذا حمل فأفرجوا له، فما لبث أن
حمل المبرقع فأفرجوا له فجاوزهم ورجع إلى أصحابه، ثم حمل الثانية فلما أراد الرجوع
أحاطوا به وأخذوه أسيراً. وقيل إن خروجه كان في سنة ست وعشرين بنواحي الرملة،
وصار في خمسين ألفاً، فوجه المعتصم إليه رجاء الحضاري فقاتله وأخذ ابن بيهس أسيراً،
وقتل من أصحاب المبرقع نحواً من عشرين ألفاً، وأسر المبرقع فيمن أسر، وحمل إلى سامرا
والله تعالى أعلم.

وفاة المعتصم
وشيء من أخباره

كانت وفاته في يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة سبع وعشرين
ومائتين، وكان بدء علته أنه احتجم في أول يوم من المحرم فاعتل ومات، وكان أبيض أصهب
اللحية طويلها، مربوعاً مشرب اللون بحمرة حسن العينين وكان شديد القوة، قيل إنه كان
يرفع بيده ألف رطل ويمشي بها خطوات، وكان من أشجع الناس، وقيل إنه كان أمياً لا
يكتب، ومن العجب أن الرشيد أخرجه من الخلافة وعهد إلى الأمين والمأمون والمؤتمن،
فساق الله الخلافة إليه، وجعل الخلافة في ولده ولم يكن من نسل أولئك خليفة، والمعتصم هو
المثمن من اثني عشر وجهاً: هو الثامن من ولد العباس، الثامن من الخلفاء منهم، وولي سنة
ثماني عشرة ومائتين، وكانت خلافته ثماني سنين، وثمانية أشهر، ومات وهو ابن ثمان وأربعين
سنة، وولد في شعبان وهو الشهر الثامن من الشهور، وخلف ثمانية ذكور: منهم هارون

الواثق وجعفر المتوكل ومحمد المستعين، وثماني بنات، وغزا ثماني غزوات، وخلف ثمانية
آلاف ألف دينار ومثلها من الدراهم.
قال بعض المؤرخين: كان له من المماليك سبعون ألفاً سوى الأحرار، وكان نقش خاتمه: الله
ثقة أبي إسحاق بن الرشيد وبه يؤمن، وزراؤه: الفضل بن مروان بن أحمد بن عمارة إلى أن
نكبه كما ذكرنا، ثم محمد بن عبد الملك الزيات، وهو الذي رثاه بقوله:

قد قلت إذ غيبوك واصطفقت عليك أيد بالترب والطين
اذهب فنعم المعين كنت على ال دنيا ونعم الظهير للدين
لن يجبر الله أمة فقدت مثلك إلا بمثل هارون

حجابه: وصيف مولاه ثم محمد بن حماد. قضاته: شعيب بن سهل ثم محمد بن سماعة
ثم عبد الله بن غالب، وقيل إن أحمد بن أبي دؤاد الإيادي كان قاضي القضاة، وأن جعفر
بن عيسى من ولد الحسن البصري كان من قضاته، الأمراء بمصر: كيدر ثم ولده المظفر، ثم
ردت مصر إلى اشناس فاستخلف عليها موسى بن ثابت الحنفي من أهل الشاش، ثم مالك
بن كيدر ثم علي بن يحيى الأرمني. القضاة بها: هارون الزهري ثم محمد بن أبي الليث
الخوارزمي.
قال: ومن أخبار المعتصم الدالة على كرمه ومكارم أخلاقه أنه بينما هو يسير وحده -
وقد انفرد عن أصحابه - إذ مر بشيخ معه حمار عليه شوك. وقد زلق الحمار من المطر
وسقط حمله، فسأله المعتصم عن حاله، فأخبره أنه ينتظر من يعينه على رفع الشوك على
ظهر الحمار، فنزل المعتصم عن دابته وخلص الحمار من الوحل، ورفع عليه الحمل -
والشيخ يقول: بأبي أنت وأمي - لا تهلك ثيابك، فيقول: لا عليك ثم غسل يديه وركب،
فقال له الشيخ: غفر الله لك يا شاب، ثم لحقه أصحابه فأمر للشيخ بأربعة آلاف درهم،
ووكل به من يوصله إلى بيته، وقال ابن أبي دؤاد: تصدق المعتصم ووهب على يدي مائة
ألف ألف درهم، هذا على يد رجل واحد فما ظنك بغيره!! قال بعض المؤرخين: إنه لما
فتح عمورية امتدحه أبو تمام حبيب بن أوس الطائي بقصيدته التي أولها:

السيف أصدق إنباء من الكتب

فأعطاه عن كل بيت بها ألف درهم، وقيل إنه أقطعه مدينة الموصل رحمه الله تعالى.

خلافة الواثق بالله

هو أبو جعفر هارون بن المعتصم بن الرشيد هارون بن المهدي بن المنصور، وأمه أم ولد اسمها قراطيس، وهو التاسع من الخلفاء العباسيين، بويع له في يوم وفاة أبيه لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شهر ربيع الأول سنة تسع وعشرين ومائتين.

الفتنة بدمشق

قال: لما توفي المعتصم ثارت القيسية بدمشق وعاثوا وأفسدوا وحصروا أميرهم، فبعث الواثق إلى رجاء بن أيوب الحضاري، وكان قد توجه لحرب المبرقع بفلسطين كما قدمناه، فرجع إليهم فنزل بدير مران، وكانوا معسكرين بمرج راهط فدعاهم إلى الطاعة، فلم يرجعوا وتوعدوا الحرب بدومة يوم الإثنين، فلما كان يوم الأحد تفرقت القيسية، وسار رجاء إلى دومة الجندل وبعضهم في حوائجه، فقاتلهم فهزمهم وقتل منهم ألفاً وخمسمائة، وقتل من أصحابه ثلاثمائة، وهرب مقدمهم وهو ابن بيهس، وصلح أمر دمشق وعاد رجاء إلى حرب المبرقع فأسره كما ذكرناه.

وحج بالناس في هذه السنة جعفر بن المعتصم.

ودخلت سنة ثمان وعشرين ومائتين.

في هذه السنة أعطى الواثق لإشناس تاجاً ووشاحين. وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود، وغلا السعر بطريق مكة، فبلغ رطل خبز بدرهم ورواية ماء بأربعين درهماً، وأصاب الناس في الموقف حر شديد، ثم أصابهم مطرفية برد، فاشتد البرد عليهم بعد ساعة من ذلك الحر الشديد، وسقطت قطعة من الجبل عند جمرة العقبة فقتلت عدة من الحجاج.

ودخلت سنة تسع وعشرين ومائتين.

في هذه السنة حبس الواثق الكتاب وألزمهم أموالاً عظيمة، فأخذ من أحمد بن إسرائيل ثمانين ألف دينار بعد أن ضربه، ومن سليمان بن وهب - كاتب إيتاخ- أربعمائة ألف دينار، ومن الحسن بن وهب أربعة عشر ألف دينار، ومن إبراهيم بن رباح وكتابه مائة ألف دينار، ومن أحمد بن الخصيب وكتابه ألف ألف دينار، ومن نجاح ستين ألف دينار ومن أبي الوزير

مائة ألف دينار وأربعين ألف دينار. وكان سبب ذلك أنه ذكر عنده نكبة البرامكة، وما
حصل الرشيد من أموالهم، فنكبهم بعد جمعة وحج بالناس في هذه السنة محمد بن داود.